

# الإسلام والشعر

## دراسة موضوعية

د. إخصاص فخرى عمارة

مكتبة الآداب  
٤٢٠٠٨٦٨ - ٢٩٠٠٨٦٨



0122967

Bibliotheca Alexandrina



# الأسلاف والشجر دراسة موضوعية

د. إخصاص فخرى عمارة

كلية الآلسن — جامعة عين شمس

مكتبة الأوقات

٤٢ ميلاد الدوبرا — القاهرة

ت: ٣٩٠٠٨٦٨ — ٣٩١٩٣٧٧



## إهداء

إلى والدي رحمه الله

فكثيرا ما عارض اتجاهي لدراسة الأدب ، وتمنّيت لو تخصصت  
في أحد علوم الدين .

وعزمت أن أرضيه ما أمكنتني ، حين أحاول الإفادة من دراسة  
الأدب لحماية اللمة ، والدود عن الدين ، وهذه إحدى محاولاتي ، مقرّبي  
لله ، وإرضاء لأبي .

د . إخلاص شكري عمارة



## مقدمة

حين هممت بتناول موضوع الإسلام والشعر ، كنت أعلم أن عشرات من الباحثين ومؤرخي الأدب قد سبقوني إلى تناوله ، واطلعت على وجهات نظرهم في أغلب المؤلفات ، وأفدت منها ، ومع ذلك قويت رغبتي في معاودة النظر لهذه القضية وكلني ثقة في أن أقدم جديدا ، وأحسبني فعلت .

لقد جمعت كل الآيات التي تحدثت عن الشعر والشعراء في القرآن الكريم ، وفسرتها واستخلصت ما عاجلته من نقاط ، مستعينة بآراء السابقين وشروحهم .

ثم عرضت أغلب ما أثر عن الرسول - ﷺ - من قول أو فعل يتعلق بالقضية وقسمته إلى أنواع واجتهدت في فهم الموقف الحقيقي من خلال المتعارض والمتفق من الأحاديث والمواقف النبوية .

وأكملت بذكر أمثلة من الأقوال والأفعال المروية عن صحابة رسول الله - عليه السلام - وخلفائه الراشدين - رضوان الله عليهم جميعا . وبعد ذلك استعرضت آراء المؤيدين والمعارضين في مناقشة تفصيلية منسقة .

وخلال المناقشة أسهبت في مواضع لم يوفها الآخرون حتها ، ورددت على شبهات لم يتوقفوا أمامها ، وصححت مفاهيم وأفكارا غابت عنهم ، أو تجاوزوها .

ذلك هو الجانب النظري في القضية ، لسكنى أضمت لها جانباً تطبيقياً .  
 كي أبرهن على ما توصات إليه من نتائج . لقد انتهيت في المجال النظري  
 إلى أن للإسلام أثر إيجابي محمود على الشعر العربي ، وأنه ازدهر وتطور  
 في ظل الإسلام فأسفقت مجالاته وتمددت أغراضه ، كما ارتقت أساليبه ،  
 حين تفتت - بفضل القرآن والحديث - مقاييس البلاغة ، وشروط  
 البيان والفصاحة .

وإثباتاً لما ذهبت إليه قدمت عدداً من النماذج الشعرية في عهد  
 النبوة والراشدين ، وعرضتها على مقاييس النقد والدراسة الفنية ، كي  
 أكشف ما طرأ على الشعر الإسلامي من تطور وتجدد وحيوية .  
 إنني لأرجو أن أكون قد حققت بعض ما تطلعت إليه ، حين عاودت  
 الكتابة في موضوع سبقني إليه الكثيرون .  
 والله الهادي سواء السبيل .

د . إخلاص نحري عمارة

روكسى ت : ٢٥٦٢١٥



## تهم باطلة

دأب المغرضون من أعداء الإسلام والعروبة (١) على النيل منهما بشق السبل وكافة الوسائل ، فإن أعيانهم العداء السافر والحرب الضروس ، لجأوا إلى مقاتل خفية وإلى طرق ملتوية ، فهذا إغراء بما عندهم من بضاعة مادية ومعنوية حتى ينجذب إليها المسلمون والعرب ويمرضون عما لديهم ، ثم ينكرونها ويتجاهلونها ، ومن ثم ينسونه فيتغربون ، ويتشتتون ويضيعون بدداً .

(١) للمغرضون يتمشون في : المشركين والمنافقين ، ثم الشغوبيين ، فلا يستعارو المستشرقين ، ثم من مدار فيركابهم عن جهل أو عن سذاجة من العرب والمسلمين الذين استغربوا لأنهم تلقوا عليهم وثقافتهم في الغرب فتشربوا روحه وفكره ، فضعفت عروبتهم ووهن إسلامهم .

وأنا لا أفصل بين العروبة والإسلام ، فكل مسلم عربي ، لأنه كي يحسن إسلامه لا بد أن يعرف العربية - لغة القرآن والحديث - فإذا عرفها تعرب لسانه وفكره ، وبالتالي تعرب وجدانه وهواه فصار عربياً وإن لم ينتسب للأصول العربية من جهة الجنس .

أما من يخشون الجمع بين العروبة والإسلام ، لوجود عرب غير مسلمين ، فليطمئنوا لأننا نرحب بغير المسلمين بيننا ما داموا عرباً بالفكر والقلب ، وكل ما قصده هو أن دائرة العروبة أوسع من دائرة الإسلام ، فكل مسلم عربي وإن لم يكن بالضرورة كل عربي مسلم .

وهذا انتقاص مما عند المسلمين والعرب من بضاعة معنوية ومادية.  
وازاراء بها وتحقير لها ، حتى يعانها أصحابها ويتخلوا عنها ، فيلقدوا  
هويتهم وأصالتهم .

وقد تكون الوسيلة هي إثبات العرب والمسلمين من حيث لا يحتسبون  
وطعنهم في ظهورهم وهم لا يشعرون ، وذلك ما تمثّل في إبداء الآراء  
وعرض وجهات النظر حول أدبهم وحضارتهم وتراثهم ، فإذا كان الشعر  
مفخرة العرب ونفهم الأول ومجال نبوغهم ، فإن هناك شكوكا حول نشأته  
البعيدة ، وتأثره بأشعار الأمم الأخرى ، ثم هناك ريب ، بل تأكيدات  
حول انتكاسه وضعفه بعد ظهور الإسلام لأنه عاداه وحقره وهاجمه  
مبدعيه .

وإذا كانت الثقافة العربية الإسلامية قد بلغت ذروة لم تبلغها ثقافة  
أخرى في العصر الإسلامي أيام بني أمية والعباسيين ، فقد انهارت وتراجعت  
في العصر التالي أيام الدويلات والمماليك ، ثم انطمست تماما وخذ كل بصيص  
لها في ظل الخلافة التركية ، وإذا كانت الحضارة العربية الإسلامية قد  
تميزت بسمات فريدة وتألقت بخصائص يعز على الغربيين فهمها واستيعابها ،  
فليكن غمزها من حيث كونها جامدة متخلفة ، تتنافى مع التقدم ،  
ونخاصم الحداثة .

وإذا كانت اللغة العربية هي جوهر العروبة ورابطة الإسلام ، وهي  
النسب الحقيقي لكل عربي ومسلم ، هي لغة القرآن وحافظة الدين ، وهي  
أعرق اللغات الحية ، وأعظمها ثراء ، وأفصحها بيانا ، وهي الوحيدة

التي قاومت كل عوامل الفناء ، وتطورت مع الزمن دون أن تفقد جوهرها أو تتغير خصائصها - إذا كانت اللغة العربية كذلك - فليكن البحث عن محاولات خبيثة لإضعافها تدريجيا حتى يتم القضاء عليها ، لتسكن الدعوة إلى كتابتها بالحروف اللاتينية مرة ، والمناداة بكتابتها كما تنطق مرة أخرى<sup>(١)</sup> ولنكن الثالثة - القاسمة - هي الدعاية لتوسيع نفوذ اللهجات المحلية ، وكتابة الأدب بها ، حتى تسود لهجة كل إقليم فينعدم التفاهم ويتم الانفصال ، وتموت الرابطة التي تجمع المسلمين والعرب على امتداد أوطانهم وألسعاهم .

وأقوى وأوجع ما في تلك المحاولات أن القائمين بها ليسوا أجنب وأعداء فقط ، ولكن يشاركونهم ويُشبههم معهم للأسف وللخجل عرب ومسلمون .

وفي تصوري أن من أوجب واجبات المثقف المسلم ، التصدي لتلك المحاولات ، وإمالة اللثام عنها وكشف أهدافها الأصلية ، وهذا التصدي لا يقتصر على مقالات ودراسات صريحة مباشرة متجذبة لها ، ولكنه يجب أن يتم في كل لحظة ، وعلى كافة المستويات وفي شتى المجالات ، ولا إخال مجال الأدب إلا أوسع المجالات وأهمها ، لذلك تأتي الصفحات التالية لمعالجة زعم وادعاء - بل الأخرى أن يقال افتراء - شارك فيه الكثيرون عن سذاجة وعدم تبصر ، أو عن سوء قصد وخبث نية ، ذلك الزعم

---

(١) صاحب الدعوة الأولى هو عبد الميزر فهمي وبغده سلامه موسى ، وصاحب الثانية هو طه حسين الذي كتب اسمه أيامها هكذا : طاهما .

الذى نال من الشعر العربى فى عصر النبوة والراشدين بترديد مقولات خاطئة ، مثل عداوة الإسلام للشعر ، وانشغال المسلمين عن نظامه وروايته ، وقلة عدد الشعراء ، وضمف المستوى الفنى . وليس فى مناقشة هذه الادعاءات ما يثبت من الاسلام أو يضعه موضع الاتهام الذى يتطلب دفاعا وتفنيدا وتبرئة<sup>(١)</sup>

بل هو تمديد للغباء الذى قد يحجب الرؤية الصحيحة عن الناشئة ، ودحض لمزاعم قد تكدر نضاعة الحق ولو للحظات .

\* \* \*

---

(١) قراءة فى الأدب الإسلامى والأموى : د . محمد عبد العزيز الموانى .

أولا : موقف القرآن الكريم

خير ما نستعمل به حديثنا في قضية الإسلام والشعر هو استعراض الآيات التي حوت لفظ شعر أو شاعر أو شعراء ، لأن القرآن دستور الإسلام ومنبع الأحكام ، ومنه ينهل الجميع ويستمدون .

لقد وردت الألفاظ الثلاثة في ستة مواضع عبر كتاب الله الكريم ، وهي على الترتيب :

١ — قال تعالى : ﴿ بل قالوا أضغاث أحلام ، بل افتراء ، بل هو شاعر ، فليأتنا بآية كما أرسل الأولون ﴾ (١) .

٢ — ويقول عز شأنه ﴿ والشعراء يتبعهم الغاؤون ، ألم تر أنهم في كل واد يهيمون ، وأنهم يقولون ما لا يفعلون ، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا ، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ﴾ (٢) .

٣ — كما قال جات حكمته ﴿ وما علمناه الشعر وما ينبغي له ، إن هو إلا ذكر وقرآن مبين ﴾ (٣) .

٤ — وقال — وهو أصدق القائلين — ﴿ ويقولون أننا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون ، بل جاء بالحق وصدق المرسلين ﴾ (٤) .

---

(١) سورة الأنبياء ، آية ٥ (٢) الشعراء ، آيات ٢٢٤/٢٢٧

(٣) سورة يس آية ٦٩ (٤) سورة الصافات ، آية ٣٦/٣٧

٥ - ويقول سبحانه ﴿ فذكر فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون ، أم يقولون شاعر تترصص به ريب اللذون أن ترهبوا فإني معكم من المتربصين ﴾ (١) .

٦ - وقال الحق - تبارك وتعالى ﴿ فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون ، إنه لقول رسول كريم ، وما هو بقول شاعر قليل ما نؤمنون ، ولا بقول كاهن قليل ما نذكرون ، تنزيل من رب العالمين ﴾ (٢) .

وحين نتدبر معاني الآيات الكريمة فسنجد أنها تتجه إلى ثلاثة اتجاهات ، أو تتعرض لثلاث قضايا هي :

١ - اتهام الكفار للرسول - ﷺ - بأنه شاعر ، ونفي القرآن لهذه التهمة الباطلة .

٢ - ادعاء الكفار والمشركين أن القرآن العظيم شعر أو من كلام الشعراء ، ودفع الآيات البينات لهذا الادعاء .

٣ - أما القضية الثالثة التي تناولها الآيات فهي حديث عن الشعراء وسلوكهم ، فتقسمهم إلى فئتين بحسب سلوك كل فئة ، ثم تجدد هدير المشركين الظالمين .

١ - القضية الأولى : نفي صفة الشاعرية عن الرسول - ﷺ -  
فلا هو شاعر يمتلك سوهبة الشعر ، ولا هو قد تعلم وأجاد أدوات الشعر

(١) الطور : آية ٣٩/٣٠

(٢) الحاقة : آيات ٣٨/٤٣

وعلموه . وقد تكررت مناقشة هذه القضية في عدة آيات هي قوله سبحانه :

- (١) ﴿ بل هو شاعر . . ﴾ الأنبياء ، آية ٥
  - (٢) ﴿ وما علمناه الشعر وما ينبغي له ﴾ يس ، آية ٦٩
  - (٣) ﴿ ويقولون أننا لئاركو آلهتنا لشاعر مجنون ﴾ الصافات آية ٣٦
  - (٤) ﴿ أم يقولون شاعر نترصد به ريب المنون ﴾ الطور ، آية ٣٠
- لقد بهت الكافرون حين واجههم الرسول - صلوات الله وسلامه عليه بالقرآن ، كلام إلهي لا يأتيه الباطل ، ولا يدانيه في البلاغة والبيان أى كلام آخر ، وأسقط في يد المكابرين لأنهم لم يجدوا ما يردون به عليه من منطق سليم وحجة واضحة ، فليس إلا المناد والمكبرة ، والانحراف إلى قضايا فرعية ، وادعاءات كاذبة ، واتهموا الرسول - وهو الصادق الأمين - بأنه شاعر ، مثلما اتهموه بأنه ساحر ، أو كاهن ، أو مجنون ، أو يتلقى عن الشياطين ، أو يعرف أساطير عن الأمم الغابرة فيحكىها ، أكاذيب وافتراءات يتصدى لها القرآن العظيم بآياته البينات فيفندها واحدة بعد أخرى ، نافيا تلك الصفات التي يحاول المشركون إلصاقها بالرسول الكريم بغيا وهدوانا .

ولو رجعنا للآية رقم واحد - وهي من سورة الأنبياء - لوجدنا قبلها آيات كثيرة تحكى إعراض الكفار عن ذكر الله ، وإصرارهم على رفض ما يأتيهم به الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - لأنه - كما يدعون - بشر مثلهم ، ولا بد أن القرآن - حسب ظنهم مدحج أو شعر أو خيالات نائم ، يقول - جلت حكمته -



﴿ ما يأتيهم من ذكر من ربهم مُحدث إلا استمعوه وهم يلعبون ،  
 لاهية قلوبهم وأسروا النجوى الذين ظلموا هل هذا إلا بشر مثلكم  
 أفنتأتون السحر وأنتم تبصرون ، قال ربى يعلم القول فى السماء والأرض  
 وهو السميع العليم ، بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراء بل هو شاعر فليأتنا  
 بآية كما أرسل الأولون ﴾ .

أما الآية رقم ثلاثة فهى نفى صريح لمعرفة الرسول الكريم بفن  
 الشعر وأدواته ﴿ وما علمناه الشعر وما ينبغي له ﴾ ثم تأكيد جازم  
 بأن ما يأتى به هو قرآن يبين الحق ، ويهذى إلى سواء السبيل ليذكر  
 أولوا الألباب ، وقد استخدم أسلوب الحصر فنهى أن يكون أى شىء  
 مما عرفه البشر ﴿ إن هو إلا ذكر وقرآن مبين ﴾

وفى الآيات رقم خمسة يدعى الكفار والمشركون على الرسول  
 عليه السلام ، صفة الجنون زيادة على الشاعرية ويعود القرآن  
 من جديد إلى نفى الادعاء بالمنطق الواضح والحجة البينة ﴿ بل جاء  
 بالحق وصدق المرسلين ﴾ ثم تتوالى التهم فتجذب السكينة  
 بالإضافة إلى الشاعرية والجنون ، ويأتى النفى صريحا قاطعا ﴿ فذكر فما  
 أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون ﴾ .

ولا تتوقف الافتراءات بل تزداد ، فـ يكون السحر والكذب :  
 ﴿ وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب ﴾ (١)  
 ولم يكن كفار مكة ومشركو قريش هم أول من ائترى على الرسل تلك

---

(١) سورة ص ، آية ٤

الصفات ، لقد حكى الله جل شأنه عن تكذيب الكفار لأنبيائهم منذ إبراهيم وموسى وصالح ونوح - عليهم جميعاً صلوات الله وسلامه (كذلك ما أنى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون) (١) .

إن الجوهر في هذا النفي ، والمهدف الأسمى منه هو إثبات نبوة محمد عليه السلام ، وكونه رسولا من عند الله ، فلا هو شاعر ولا ساحر ، وليس بكاهن ولا مجنون ، إنه رسول الله ، وهذا التأكيد على نفي جميع الصفات غير صفة النبوة والرسالة هو في نفس الوقت إثبات للوحي ، وأن ما جاء به قرآن تلقاه عن ربه بطريق جبريل عليه السلام .

فليس في نفي الشاعرية غض من شأن الشعر ، أو تقليل لقيمة الشعراء ، فلقد كان ، عليه سلام الله أمياً ، ومع ذلك رفع الإسلام العلم والعلماء إلى أعلى الدرجات .

وقد نسر د ابن رشيق « الآية قائلاً (وما علمناه الشعر وما ينبغي له) معناها : ما الذي علمناه شعراً ، وما ينبغي له أن يبلغ عنا شعراً . ولو أن كون النبي ﷺ غير شاعر غض من الشعر ، لسكّفت أمميته غضا من السكتابة (٢) ولو تروى الشعر كون قليلاً لما اندفعوا إلى وصف النبي الكريم بالشاعرية ، فهو لم يؤثر عنه نظم الشعر أبداً قبل البعثة أو بعدها ،

---

(١) سورة الفاريات ، آية ٥٢

(٢) العمدة لابن رشيق : ج ١ ص ٣١ من قراءة في الأدب الاسلامي والاموى : د . عبد العزيز المواقى ص ٧

كان يسمعه فقط ولكنه لا يشده ، وحين يريد الاستشهاد بشيء عنه ، كان يطلب من أحد الصحابة قوله ، أو يشده بعد تغيير ترتيب الجمل والكلمات حتى يختل وزنه ويفقد خاصية الشاعرية .

وقد حاول بعض الدارسين تقصى الحكمة الإلهية في حفظ الرسول منزها عن قول الشعر ، فقالوا إنه بعث بين قوم يفخرون بروعة البيان ومجهر الشعر ويزهون بالبلاغة ، وكانت معجزة الرسول وبرهات رسالته - القرآن - معجزة بيان ساحر وبلاغة رائمة ، فاوكان الرسول ينظم الشعر لا يختلط نظمه مع القرآن ، والتبس على الناس .

وفي رأي أن هذا غير لازم لسببين : أولهما أن القرآن لون من البيان يخالف الشعر تماما ، فلن يختلط به ولن يلتبس على قوم تهرسوا قروناً بالشعر وفنونه كعرب الجزيرة .

وثانيهما : أن الله تعالى قد عهد بحفظ القرآن من التحريف والتزييف ، ومن الخاط والالتباس ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (١) وكان نزول القرآن بالنص (٢) ومنهجاً ، وتحفيظ الرسول إياه ، ومراجعته فيه مرة بعد أخرى وتوجيهه الله له بالتريث والأناة : ﴿ لَا تَحْرُكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَمِيزَ بِهِ ، إِنْ عَلَيْنَا جُمُوعَهُ وَقُرْآنَهُ ، فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ ﴾

---

(١) سورة الحجر ، آية ٩ (٢) كانت الكتب الأخرى تنزل بالمعنى الذي تتمدد صياغاته فيدخله التحريف والادعاء .

قرآنه ، ثم إن علينا بيانه (١) .

وكذلك ذهب البعض إلى أن حكمة نفي الشاعرية عن الرسول تكن في أنه لو نظمه لوجب تفوقه على الجميع لتكون آية ، وإن يكون له التدقيق في نظمه إلا إذا سار على مقاييسهم في الشعر ، من هجاء مدح ، ونثر كاذب وغزل جارح ، وحديث عن الجحر والميسر ، وأوهام وخيالات مضللة ، وكل ذلك يتعارض مع طريق النبوة ومبادئ الإسلام ، ولو كان الرسول شاعراً لظن السكهار أن بلاغة حجته وجوامع كلمه تألفه من الشعر وتأثيره ، وسوف يدعون أن بلاغة القرآن وإعجازه البياني هو من وحى الشياطين الذين يوحون للشعراء أيضاً ، وقد كان نفي الشاعرية عنه كذلك دحضا للظن بأن رسالته خيالات ورؤى ، وأن القرآن شعر من نوع جديد ، وكان نفي الشاعرية عن الرسول ضرورياً لما عرف عن بعض الشعراء من سلوك شائن ، فلا يصح أن يتصف الرسول بصفة تضعه موضع ريبة واتهام .

والمهم في كل ذلك أن النفي لا يتوجه إلى الشعر في ذاته ، ولكن هدفه تنزيه الرسول عن كونه شاعراً ، لأن الشعر يقوم على التخيل والوهم والمبالغة ، بينما يقوم منهج الرسالة على اليقين وقوة الإقناع ، ووضوح المنطق ، ونصاعة الحجج ، فمنهج الشعر يختلف ويتعارض مع منهج الرسالة بصرف النظر عن انصافه بالحسن أو القبح .

(١) سورة القيامة آية ١٦ - ١٩

## ٢ — القضية الثانية : مناقشة الادعاء بأن للقرآن شعر . ومن

الواضح ارتباطها بالسابقة وتداخلها فيها ، إذ من المنطقي أنه ما دام الرسول الكريم ليس شاعراً ، فإن القرآن ليس شعراً ، وبمعبر آخر ، ليس القرآن شعراً ولا يشبه الشعر ، لأن النبي الذي بعثه عن ربه لم يكن ينظم الشعر ، ولا يعرف أساليبه وفنونه .

وقد وردت هذه القضية واضحة بيّنة في الآيات رقم (٦) ﴿ألا أنسم بما نبصرون وما لا تبصرون ، إنه لقول رسول كريم ، وما هو بقول شاعر قليل ما تؤمنون ، ولا بقول كاهن قليل ما تذكرون ، تنزيل من رب العالمين ﴾ .

على أن الآيات رقم (١) تتناول القضية أيضاً في قوله تعالى ﴿بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراء ﴾ ثم يؤكد سبحانه ﴿بل جاء بالحق ﴾ .

لقد كان الهدف من نفي الشعارية عن الرسول الكريم هو إثبات نبوته ، وتلقيه الوحي عن ربه ليبعثه إلى أمته ، ثم إلى البشرية كافة ، وهذا الوحي هو القرآن الكريم - كلام الله - نقله جبريل - عليه السلام - إلى محمد ﷺ فهو ليس تغيلات وأوهام نائم ، كما ادّعى في الآيات رقم (١) ولا هو قول شاعر أو كاهن كزعمهم في الآيات رقم (٦) ، وهو كذلك ليس مسجراً أو أساطير كما تخرصوا في آيات آخر ، ولكنه الحق الذي يتفق مع ما جاء به الرسل السابقون حسب ما تؤكد الآيات رقم (٤) ، ثم هو قول رسول كريم ، منزل عليه من رب العالمين كما تقطع الآيات رقم (٦) . وتنزيه القرآن عن أن يكون شعراً غاية إثبات أنه كلام الله فقط ، ولم

يكن قصده التهوين من قيمة الشعر ، والامر في ذلك مثله مثل تنزيه القرآن الكريم عن كونه سحراً ( وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم إن هذا الا سحر مبين ) (١) وكذلك نفى ما ادعوه من أن القرآف قول من الشيطان ( وما هو بقول شيطان رجيم ) (٢) وادعى الكفار فيما ادعوه أن القرآن من الاساطير ( واذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين ) (٣) .

ولا مرء في أن هدف الكفار والمشركين من ادعاءاتهم ، هو تكذيب الرسول - ﷺ ورفض نبوته ، فكان المنطق هو رد القرآن الكريم بتنفيذ افتراءهم وإثبات نبوة محمد الآمين ، وصدقه فيما بانءه عن ربه . وحول ادعاء الكفار بأن القرآن شعر ، يبدي باحث فاضل ملاحظة تقول م من الغريب أن الرسول الكريم الذي لم يكن يعلم الشعر ، كان يدرك أن ما يوحى إليه ليس شعراً ، على حين أن أهل مكة الذين يفترض أنهم كانوا يعرفون الشعر حين يسمونه أو يروونه ، ظنوا بأن هذا الوحي كان شعراً ، وكان المتوقع عكس ذلك - انظار دراسات المستشرقين حول صفة الشعر الجاهلى ، ترجمة د . عبد الرحمن بدوى (٤) ونرد على تساؤله في نقطتين :

- 
- (١) سورة سبأ ، آية ٤٣ (٢) سورة التكموير ، آية ٢  
(٣) سورة النحل ، آية ٢٤ (٤) قراءة في الأدب الاسلامى  
والأموى ، د . عبد العزيز الموائى ، ص ٦ الهامش .

(١) لا أظن أنه من الصواب القول عن عربي عاش في مكة أيام الجاهلية «لم يعلم الشعر» ، إلى الدرجة التي لا تمكنه من التمييز بينه وبين فنون القول الأخرى ، والرسول - صلوات الله وسلامه عليه - قد سمع الشعر طوال حياته ، وكان يحب بالحب منه ويستنشد ، ويفاضل بين الشعراء . حقيقة أن المفاضلة قد تسكون على أسس خلقية ودينية غالباً ، لكنهما لا تخلو عن معايير فنية أيضاً بدليل أنه حين أراد اختيار شاعر مسلم للرد على هجاء قريش له ، استمع إلى «عبد الله بن رواحة وكعب بن مالك وحسان بن ثابت» ، وفضل اختيار حسان رغم تساوي الثلاثة في اعتناق الإسلام ، والإيمان بقيمه والاستعداد للدفاع عنه وعن رسوله عليه السلام ، فلا شك أنه وجد في حسان مقدرة فنية ، وتمكناً من أدوات الشعر ، يؤهله للنجاح في أداء المهمة أكثر من رفيقيه ، أما قوله تعالى ﴿وما علمناه الشعر﴾ فلا يعني بالتأكيد - جهل الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - بالتفريق بين الشعر وغيره ، وإنما يعني أن الرسول لا ينظم الشعر ولا يمتلك الموهبة .

(٢) وكون الكفار يظنون أن القرآن شعر ، تعبير غير دقيق ؛ لأنهم في قرارة نفوسهم متأكدون أن القرآن ليس شعراً ، وإنما أرادوا بهذا الادعاء إثارة غبار الأكاذيب حول النبي الكريم ، وحول القرآن مكبرة وعناداً ، وشغلاً للناس عن قضية الإيمان بالدين الجديد بقضايا فرعية ، فهم لا يظنون ولا يلتبس عليهم أمر القرآن وكونه ليس شعراً ، ولكنهم يدعون ويكذبون ، بدليل ادعائهم بأنه سحر واساطير وخيالات نائم ،

وهم حين أطلعتوا تلك الافتراءات كانوا قد خططوا لها وكشاوروا فيها ،  
لقد حكى أنهم اجتمعوا يتداولون أمرهم حول كيفية مواجهة الرسول  
الكريم ، وتكذيبه ، لصرف الناس عنه وعن رسالته ، فقالوا ننتهمه  
بالكهانة ، فرد الوليد بن المغيرة قائلاً والله ما هو بكاهن ، لقد رأينا  
الكهان ، فما هو بزمزمة الكاهن ولا سحبه . قالوا : فنقول جهنون ،  
قال : ما هو بجهنون ، لقد رأينا الجنون وعرفناه ، فما هو بخنقة  
ولا تخالجه ولا وسوسته .

قالوا : فنقول شاعر ، قال : ما هو بشاعر ، لقد عرفنا الشعر كله :  
رجزه وهزجه وقريضه ، ومقبوضه وبسيطه ، فما هو بالشعر ، (١) ومن  
ذلك يتبين أن كفار مكة ومشركيها لم يلبسوا عليهم الأمر ولا ظنوا أن  
القرآن شعر ، ولكنه العناد الذي يورث الكفر ، والمكابرة التي تعمى  
عن الحق ، والجدل الأجوف لا يبنى معرفة الحقيقة أبداً ، وإنما يهدف  
إلى التضليل والبلبله .

وفي مجال الهبللة وإثارة الغبار ، ربما تدخل قضية فرعية أخرى هي  
وجود آيات من الذكر الحكيم على أوزان شعرية معروفة (٢) وربما  
اجتمع إلى الوزن اتفاق الفواصل في آيات كثيرة ، وهو ما يشبه القافية  
في الشعر ومن تلك الآيات قوله تعالى :

- 
- (١) نحو أدب إسلامي معاصر : أسامة يوسف شهاب ص ١١٦  
(٢) دراسات في أدب ونصوص العصر الإسلامي : د . محمد عبد القادر  
أحمد ص ٤٦/٤٧



﴿ إن يفتتحوها يغفر لهم ما قد سلف ﴾ (١)

﴿ هيهات هيهات لما توعدون ﴾ (٢) .

﴿ لمثل هذا فليعمل الماملون ﴾ (٣) .

﴿ ودانية عليهم ظلالها ، وذللت قطوفها تذليلًا ﴾ (٤) .

﴿ والماديات ضبحا ، فالموريات قدحًا ﴾ (٥) .

﴿ تبت يدا أبي لهب وتب ﴾ (٦) .

وآيات أخرى من هذا النوع ، وقد رد الجاحظ علي من يتوهم وجود الشعر في القرآن قائلا « اعلم أنك لو اعترضت أحاديث الناس وخطبهم ورسائلهم ، لوجدت فيها مثل : مستعملان فاعان كثيرا ، وليس أحد في الأرض يجعل ذلك المقدار شعرا . ولو أن رجلا من الباعة صاح : من يشتري بذنجان ، لقد تكلم بكلام في وزن : مستعملان مفعولان ، فكيف يكون هذا شعرا وصاحبه لم يتصد إلى الشعر ؟ ومثل هذا المقدار من الوزن قد يتيأ في جميع الكلام . وإذا جاء المقدار الذي يعلم أنه من نتاج الشعر والمعرفة بالأوزان والقصد إليها كان ذلك شعرا ، (٧) .

ولا ريب أن اشتراك باحثين عرب في مناقشة هذه النقطة قد يوقع البعض في الخطأ ، ولسكننا يجب أن نفرق بين الهدف التعليمي للباحثين

(١) سورة الأنفال ، آية ٣٨ (٢) المؤمنون ، آية ٣٦

(٣) الصافات ، آية ٦١ (٤) الإنسان ، آية ١٤

(٥) الماديات ، آية ١ ، ٢٠ (٦) المسد ، آية ١

(٧) البيان والتبيين : ج ١ ص ١٥٤ دار صعب ، بيروت .

المرب ، وهو الذى يسعى إلى رصد الظواهر الفنية فى القرآن الكريم ، وإثبات أنه معجز ، ورغم وجود آيات على بعض الأوزان الشعرية ، إلا أنها ليست شعراً ، وهى تسمى وتنزه عنه ، والشعر لا يشابهها ولا يداينها ، فى حين أراد المنافقون والمستشرقون من إثارة تلك النقطة إحياء زعم مشركى مكة وكفارها بأن القرآن ليس وحياً من الله ، وأنه من صنع بشر ، وفيه ما يشبه الشعر وعائلته .

والاقرب للهدى أن ندع مثل هذه المناقشات حق لا تقع فى الخطأ .

٣ — القضية الثالثة : حديث عن الشعراء ، وهو ما ورد

فى قوله تعالى ﴿ والشعراء يتبعهم الغاؤون ﴾ ، ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون ، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وذكروا الله كثيراً وانصبروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون ﴾ إن الآيات تحدثت عن فريقين من الشعراء : فريق مذموم مغضوب عليه ، لأسباب تتعلق بسلوكة ، وأسلوب حياته ، ولا تتعلق أبداً بموهبة الشعر ونظمه .

وفريق مرضى عنه محمود عند ربه لأسباب تتعلق هى الأخرى بالتصرفات ومنهاج الحياة ولا تمس الشاعرية من قريب أو بعيد . وقد ذكر صاحب الكشف (١) فى أسباب نزول هذه الآيات ، أنها نزلت فى الشعراء المشركين : عبد الله بن أبى وهب ومسافع بن عبد مناف

(١) تفسير الكشف ، ج ٢ ص ٤٤٠ ، من «نحو أدب إسلامى معاصر»

ص ١١٧

وَأَبَى عَزَّةَ الْجَمْعَى وَأُمِيَّةَ بْنَ أَبِي الصَّاتِ ، قَالُوا لَنَحْنُ نَقُولُ مِثْلَ قَوْلِ مُحَمَّدٍ ،  
وَكُنَّا يَهْجُونَهُ ، وَيَجْتَمِعُ إِلَيْهِمُ الْأَعْرَابُ يَسْتَمِعُونَ إِلَى أَشْأَرِهِمْ وَأَهْأَجِيهِمْ ،  
وَلِذَلِكَ فَهِمُ النَّاوُونَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَهُمْ ، كَمَا يَمْكِي ابْنُ كَثِيرٍ أَنَّهُ بَعْدَ نَزُولِ  
هَذِهِ الْآيَاتِ تَوَجَّهَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ وَكَأَبُ بْنُ مَالِكٍ  
إِلَى الرِّسُولِ وَهُمْ يَبْكُونَ ، قَالُوا قَدْ عَلِمَ اللَّهُ حِينَ أَنْزَلَ هَذِهِ الْآيَةَ أَنَّهَا  
شِعْرَاءُ ، فَتَلَا النَّبِيُّ قَوْلَهُ تَعَالَى ﴿ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾  
وَقَالَ : أَنْتُمْ . ثُمَّ قَوْلَهُ تَعَالَى ﴿ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ .

قَالَ : أَنْتُمْ ، ثُمَّ أَكْمَلَ : ﴿ وَانْتَعَمُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَنَّمُوا ﴾ وَقَالَ : أَنْتُمْ ،  
وَيَعْقِبُ أَبُو هَلَالٍ الْمُسْكِرَى عَلَى هَذِهِ الْآيَاتِ قَائِلًا « وَاسْتِثْنَاءُ اللَّهِ  
عَزَّ وَجَلَّ فِي أَمْرِ الشِّعْرَاءِ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْمَذْمُومَ مِنَ الشِّعْرِ إِنَّمَا هُوَ الْمَعْدُولُ  
مِنْ جِهَةِ الصَّوَابِ إِلَى الْخَطَأِ ، وَالْمَسْرُوقُ مِنْ جِهَةِ الْإِنْصَافِ وَالْمَدْلُ إِلَى  
الظُّلْمِ وَالْجَوْرِ ، وَإِذَا ارْتَفَعَتْ هَذِهِ الصِّفَاتُ ارْتَفَعَ الذَّمُّ ، وَلَوْ كَانَ الذَّمُّ  
لَا زِمًا لَكُونَهُ شِعْرًا لَمَّا جَازَ أَنْ يَزُولَ عَلَى أَىِّ حَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ » (١) .

وَبِالرَّغْمِ مِنْ وَضُوحِ الْآيَاتِ فِي نَصِّهَا عَلَى الْمَذْمُومِ مِنَ الشِّعْرَاءِ  
وَاسْتِثْنَائِهَا لِغَيْرِهِمْ ، لَسَكَنَ الْبَعْضُ قَدْ سَارَعَ إِلَى أَصْوَافٍ خَاطِئَةٍ يَحْمِلُ  
الْقُرْآنُ مَعَادِيهَا لِلشِّعْرِ وَالشِّعْرَاءِ ، وَلِذَلِكَ يَشِيرُ إِلَيْهِمْ « ابْنُ رَشِيْقٍ »  
قَائِلًا : فَأَمَّا احْتِجَاجُ مَنْ لَا يَفْهَمُ وَجْهَ الْكَلَامِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى

---

(١) الصَّنَاعَتَيْنِ ص ١٣٢ ، نَحْوُ أَدَبِ إِسْلَامِيٍّ مَعَاصِرِ ص ١١٠

(والشعراء يتبعهم الغاؤون . .) الآية فهو غلط وسوء تأمل ، لأن المنصود بهذا النص شعراء المشركين الذين تنازلوا الرسول - ﷺ - بالمجاء ومستواه بالأذى ، فأما من سواهم من المؤمنين فغير داخل في شيء من ذلك ، ألا تسمع كيف استثناهم الله عز وجل ونبه عليهم فقال (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا) يريد شعراء النبي ﷺ ، يلتصرون له ويحييون المشركين عنه ، (١) .

ومن عجب أن يقع في هذا الغلط وسوء التأمل منسكروا مثل الجاحظ ، له ذكاؤه وبصيرته ، وقدرته على الفهم ، يقول وقال الله تعالى وقوله الحق (وما علمناه الشعر) ثم قال (وما ينبغي له) ثم قال (ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون) فعم ولم يخص ، وأطلق ولم يقيد ، فمن الخصال التي ذمهم بها تكاف الصنعة والخروج إلى المباهاة ، والتشاغل عن كثير من الطاعة ومناسبة أصحاب التشديد ، (٢) وواصل الجاحظ كلامه مستهاردا مطيلا دون إشارة إلى من استثناهم الله عز وجل في الآية من الشعراء المؤمنين الصالحين والمرضى عنهم ، مما يجعل القارئ يتصور أن الذم للشعراء جميعا ، وهو ما يتعارض وباقي الآية . ولكن الصواب أن نفهم الآية على وجهها الصحيح ، والذي يقسم الشعراء إلى طائفتين :

(١) العمدة ، ج ١ ص ٣١ ، قراءة في الأدب الاسلامي والاموى

ص ٨

(٢) البيان والتنبيه ج ٢ ص ٧٢

طائفة للشركيين الذين صدوا عن دين الله ، وحاربوا النبي وآذوا المسلمين ، فها هموا بواذى الضلالة واتبعوا سبيل الضلالة ، أولئك ساءت عقبتهم ، وإلى جهنم يحشرون .

والطائفة الثانية هم الشعراء المؤمنون الصالحون الذاكرون الله كثيراً ، الذين نصرروا الله ورسوله ، وانتصروا لأنفسهم ممن ظلمهم ، أولئك كمرضى عنهم وإنقر الله لهم وبالجنة يبشرون . وهذه هي الآية الوحيدة التي تتحدث عن الشعراء وسلوكهم ، وهي تعالج الأمر من زاوية إنسانية بحتة : كل إنسان - شاعر أو غير شاعر - إن آمن وعمل صالحاً ونصر الله ورسوله ، فله الجنة .

وكل إنسان - شاعر أو غير شاعر - إذا كفر وصد عن سبيل الله وتعرض بالأذى لرسول والمسلمين ، فله النار وبئس المصير .

خلاصة القول إذن في موقف القرآن الكريم من الشعر والشعراء .

١ - لم ينزل في القرآن تحريم واضح صريح للشعر ، ولا ذم له من حيث كونه فناً تعبيرياً جميلاً ، ولكنه يُذمُّ إذا حاد عن طريق الخير والحق ، وكذلك كل شيء .

٢ - لا يحوى القرآن الكريم نقداً للشعراء من حيث كونهم شعراء ، ولكنهم كبقية البشر : إن أحسنوا أثابوا ونالوا المدح والثناء ، وإن أساءوا عوقبوا واستحقوا الذم والهجاء .

٣ - نفى شاعرية الرسول مثلاً مثل نفى صفات أخرى ، أو تمهين أخرى ، بهدف إثبات النبوة وتكذيب المشركين والكفار في ادعاءاتهم .

وليس نيلًا من الشعر ، ولا خطأ من شأن الشعراء ، إنما إثبات لتلقيه  
الوحي عن ربه .

٤ — تنزيه القرآن عن كونه شعرا هو إثبات لكونه كلام الله ،  
ونفى أى صفة أخرى ادعاها المشركون كالسحر والاساطير والتخييلات ،  
فليس في هذا التنزيه تحقير للشعر أو غرض من قيمته ، هو تنزيه للقرآن  
عن مشابهة كلام البشر .

والقول الحق هو أن الشعر في نظر القرآن — كدأى نشاط  
إنسانى — له حدوده وشرائطه التى تنفق مع مبادئ الإسلام  
وقيمه ، فإن النظم بتلك الحدود ، وراعى هذه الشرائط ، فلم يخرج عن  
الإطار العام للدين ، وجد مكانه فى المجتمع الإسلامى ، ونما وازدهر  
بلا عاربة أو نقد . وإن أعرض عن تلك الشرائط وجاهر بما ينافى  
جوهر الدين ، وبخالف قيمه ومبادئه فلا مكان له ، وهو مطارذ مذموم  
كدأى نشاط هدام مخرب .

بقى أن نتعرف على رأى السنة المطهرة ، وموقفها من الشعر ، فهى  
المصدر الثانى للتشريع بعد القرآن ، وهى مفسرة ومفصلة لما أجمل أو غمض  
من آياته . وقد حثنا الله جل شأنه على الطاعة التامة للرسول الكريم والاخذ  
والسليم بما يحكم ويقول ( والنجم إذا هوى ، ما ضل صاحبكم وما غوى ،  
وما ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحي يوحى ) (١) .  
وعلى ذلك فنحن فى استعراضنا لأحداث الرسول ﷺ — ومواقفه

---

(١) سورة النجم ، آيات ١ ، ٤

من الشعر والشعراء ، نضع في اعتبارنا أنها لا يمكن أن تعارض أو تناقض  
أو تخالف آيات القرآن في نفس المجال ، وإذا بدا في ظاهرها أدنى مخالفة ،  
فالأولى أن نراجع أنفسنا وفهمنا ، ونراجع الرواية ، وكذا بقية  
الاحاديث والمواقف حتى نصل إلى الحق والصواب وإلى المعنى المراد فعلا .

ثانيا : موقف الرسول - عليه السلام - قولاً وفعلًا



سنة النبي - عليه صلوات الله وسلامه - أقوال وأفعال أو هي آراء ومواقف ، أقوال هي ما يعرف بالأحاديث الشريفة ، وقد حفظت ودونت وحقت لتكون مرجعا للأحكام والفتاوى . والأفعال هي تصرفات وأنواع من السلوك صدرت عن الرسول الكريم في ظروف وأحداث فتتألف الرواة لتكون - أيضا - مثالا يحتذى وهديا يتبع . وسوف نتأمل في هذه الأحاديث أو الأفعال ، كما نستقري تلك التصرفات والأفعال حق أصل إلى الحقيقة .

والسنة المطهرة في موقفها من الشمر والشعراء قد ترحب وتحبذ وتثيب ، وقد تقف محايدة موضوعية فترضى عن الشعر إن أصاب طريق الحق ، وتأبأ وترفضه إن ضل وانحرف ، ثم هي قد تعارضه وتطارده لسبب منطقي ودفاعا عن الهدى والدين .

هناك إذن مواقف ثلاثة : كراهة ، موضوعية ، ترحيب . ولنبدأ بموقف الكراهة والمعارضة ، لأن نصوصه قليلة محدودة ، وسوف يفسرها ويرد عليها ما يرد من أحاديث وأفعال في النوعين الآخرين .

أولا : موقف الكراهة ، أقوال وأفعال : عن أبي هريرة .

١ - لأن يمتلىء جوف رجل قيمحا حق يريه ، خير له من أن يمتلىء شعرا (١) .

(١) فيض التقدير : ج ٥ ، ص ٢٥ حديث رقم ٧٢١٨

يريه : يلاحظه ويخرجه من فيه .

(٢) وفي رواية أخرى «لأن يتلى جوف الرجل قبحاً حتى يريه»  
خير له من أن يتلى شعراً» (١) .

(٣) وفي رواية ثالثة «لأن يتلى جوف أحدكم قبحاً خير له من أن  
يتلى شعراً» (٢) .

(٤) وهناك رواية رابعة لنفس الحديث «لأن يتلى جوف أحدكم  
دماً أو قبحاً خير له من أن يتلى شعراً» .

(٥) يروى في نصين فقط أن رسول الله - عليه السلام - قد نبى  
عن رواية قصيدة وأمية بن أبي الصلت «في رثاء قتلى قريش يوم بدر، وقصيدة  
د الأعشى ، التي يرثي بها «علقمة بن علاثة» ، قال البندادي في خزانته :  
ذكر أن النبي - ﷺ - رخص في الأسماء كلها إلا هاتين - وكامتين :  
كلمة أمية بن أبي الصلت في أهل بدر ، وكلمة الأعشى في علقمة  
بن علاثة» (٣) .

(٦) عن أم المؤمنين - عائشة - رضى الله عنها : قال صلوات الله  
وسلامه عليه : «اللهم من هيجاني فاعلمه ، فكأن كل هيجاء هيجانة  
لمنة» (٤) .

(١) سنن ابن ماجه : كتاب الأدب ، باب ما كره من الشعر ص ٤٢

(٢) دراسات في أدب ونصوص العصر الإسلامى ص ٤٣

(٣) نحو أدب إسلامى معاصر .

(٤) دراسات في أدب ونصوص العصر الإسلامى ص ٤٣

(٧) حين أسلم «بجير بن زهير بن أبي سلمى» أرسل إليه أخوه «كعب بن زهير» يلومه على تركه دين آبائه، ويتطاول على الرسول الكريم في شعره، فأهدر الرسول دمه وأباح قتله.

(٨) كذا أثر عن النبي - ﷺ - أنه أهدر دم الشعراء الذين هجوه، واعتقدوا على أعراض المسلمين.

(٩) وأمر الرسول بقتل رجل ممن كانوا يهجون ه و هرب ابن الزبيري السهمي وهبيرة بن أبي وهب الخزومي خوفاً لهجاءاً ما رسول الله (١٠).

ولنناقش هذه النصوص والأخبار نقاش العقل والمنطق:

(١) يقول العلامة «المنائى» صاحب فيض القدير «في شرح الحديث، خير له من أن يتلى شعرا، أنشأه أو أنشده لما يؤول إليه أمره من تشاغله به عن عبادة ربه، قال التاضي: والمراد بالشعر ما تضمن تشبيهاً أو هجاءاً أو مفاخرة، كما هو الغالب في أشعار الجاهلية.

وقال بعضهم: قوله «شعرا» ظاهره العموم في كل شعر، لكنه مخصوص بما لم يشتمل على الذكر والزهد والواعظ والرفائق مما لا إفراط فيه.

وقال النووي: هذا الحديث يحول على التجرد للشعر بحيث يغاب عليه فيشغله عن القرآن والذكر.

---

(١) دراسات في أدب ونصوص العصر الإسلامي ص ٤٣

عن سعد وأبي سعيد قالا : بينما نحن نسير مع رسول الله ﷺ ، إذ  
عرض شاعر ينشد ، فقال رسول الله ﷺ : خذوا الشيطان أو امسكوا  
الشيطان ، ثم ذكر الحديث السابق ، (١) .

كما ورد في سنن ابن ماجه شرحاً للحديث : وقد فسره الفقهاء على  
أنه المقصود أن يذاب الشعر على الرجل يشمله عن ذكر الله وعن القرآن  
والحديث ، (٢) .

وقبل أن نتخذ رأياً في الحديث نشير إلى أن عائشة - أم المؤمنين  
رضي الله عنها - قالت حين سمعت رواية أبي هريرة : لم يحفظ أبو هريرة  
الحديث ، إنما قال رسول الله ﷺ : لأن يمتلىء جوف أحدكم قيحاً ودماً ،  
خير له من أن يمتلىء شعراً مهجيت به ، (٣) .

وبهذا التصحيح من أم المؤمنين ينبغي الحق ، فلا ريب أن السنة  
النبوية تشرح القرآن وتوضحه ، فلو أخذنا برواية أبي هريرة لكان  
الحديث مخالفاً للقرآن ولأقوال وأفعال أخرى للرسول المصطفى ، أما  
رواية عائشة رضي الله عنها فتحدد الشعر المذموم - هجاء الرسول -  
وهو ما يوافق آي القرآن وما يؤكد الحديث رقم (٦) الذي يلعب من

---

(١) فيض القدير ، ج ٥ ص ٢٥٩ - الشرح .

(٢) سنن ابن ماجه ، كتاب الأدب ، باب ما كره من الشعر ص ٤٢ .

(٣) نحو أدب إسلامي معاصر ص ١١١ .

هجا رسول الله ، وهو كذلك لا يتعارض مع رأى النبي وموقفه - <sup>عليه السلام</sup> من الشعر والشعراء عامة ، وبالطبع ينسحب ما قلناه على بقية الروايات الأخرى لنفس الحديث ، وكذا فإن الحديث رقم (٥) يثبت صحة هذا التفسير ، فالتصيدتان المنهى عنهما تخوضان في أعراض المسلمين وتوجدان السكفر وتهاجمان الدين الحنيف ، ودليل ذلك أن أشماراً كثيرة لامية بن أبي الصلت كانت تعجب الرسول عليه السلام ، وأن أشعار الأعشى - غير ما ذكر - كانت تلهث بالأغصانة .

بقيت مواقف الرسول - عليه السلام - بمن هجوه ، حين أهدر دمهم وقتل من بقى على كفره حين ظفربه ، ولا شك أن ذلك يتفق وينسجم مع الحديث رقم (٦) ومع رواية أم المؤمنين للحديث الأول ومع القرآن (وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون) (١) ودليل ذلك أن من تاب منهم عفى عنه الرسول وأكرمه ، مثل كعب ابن زهير وغيره .  
بقي ما ورد في شرح الحديث الأول عند المناوى من حديث سعد وأبي سعيد عن قول المهبطي حين عرض شاعر ينشد : «خذوا أو امسكوا الشيطان ، لم يوضح الراوى نوع ما كان ينشده من شعر ، فاعلمه كان هجاء مرذول لا يكفر صاحبه ، وعلله فحش من القول يستحق قتاله الرجم ، وربما كان هياماً في أودية الضلال يجب أن يحارب ، وما كان رسول الله ليقول عنه «الشيطان» إلا لسبب مما ذكر .

---

(١) سورة الشعراء آية ٢٢٧

- ٢ — الموقف الموضوعى للمهايد : يحسن ما كانت حسنا موافقا لمبادئ الدين وقيمه ، ويحارب ما كان سيئا منافيا للدين و تعاليمه .
- ١ — عن عائشة — رضى الله عنها د الشعر بمنزلة الكلام ، تحسنه كحسن الكلام وقيده كقيده كقبيح الكلام ، (١) .
- ٢ — ورواية أخرى لنفس الحديث ه إنما الشعر كلام مؤلف ، فما وافق الحق منه فهو حسن ، وما لم يوافق الحق منه فلا خير فيه ، (٢)
- ٣ — وتقول أم المؤمنين فى رواية أخرى د الشعر فيه كلام حسن وقبيح ، نخذ الحسن و نترك القبيح ، (٣) .
- ٤ — ولهذا الحديث رواية رابعة أنه عليه السلام قال د إنما الشعر كلام ومن الكلام خبيث وطيب ، (٤) .
- ٥ — لا تدع العرب الشعر حتى تدع الإبل الحنين (٥)
- ٦ — عن ابن عباس د آمن شعر أمية بن أبى الصلت ، وكفر قلبه ، (٦) .

(١) فيض القدير : ج ٤ ص ١٧٥ ، حديث رقم ٤٩٣٩

(٢ ، ٣) دراسات فى أدب ونصوص العصر الإسلامى ص ٤٠

(٤) نحو أدب إسلامى معاصر ص ١١٨

(٥) فيض القدير : ج ١ ص ٥٧ رقم ١٩

(٦) المرجع السابق ج ١ ص ٥٢٤ حديث رقم ١٠٦٧

٧ - عن أبي هريرة د أشعر كلمة تكلمت بها العرب كلمة ليبيد :  
إلا كل شيء ما خلا الله باطل ، (١) .

٨ - عن النبي ﷺ د ما وُصف لي أعرابي قط فأحببت أن أراه  
إلا عنتره ،

٩ - امرؤ القيس صاحب د لواء الشعراء إلى النار ، عن أبي هريرة  
وعنه أيضا د امرؤ القيس قائد الشعراء إلى النار لأنه أول من أحكم  
قوائمه ، (٢)

١٠ - قال يزيد بن مسلم الخزاعي عن أبيه ، عن جده ، قال  
دخلت على النبي ﷺ - ومنشد ينشده قول شريك بن عامر المطلق :

لا تأمنن ، وإن أمسيت في حرم

إن المنايا تحمى كل إنسان

والخير والشرمقرونان في قرن

بكل ذلك يأتيك الجديدان

فقال النبي ﷺ ولو أدرك هذا الإسلام لأسلم ، (٣)

١١ - حين سمع الرسول عليه السلام قول طرفة بن العبد :

منبدي لك الأيام ما كنت جاهلا

ويأتيك بالأخبار من لم تزود

قال عليه السلام : وهذا من كلام النبوة ، (٤)

(١) نحو أدب إسلامي معاصر ص ١١٨ (٢) فيض القدير

ج ٢ ص ١٨٦ (٣ ، ٤) العقد الفريد ج ٣ ص ٩٨ / ١٠١

(١٢) حين أنى الطفيل بن عمرو السدوسي إلى الرسول ﷺ وأنشده  
أبياته :

ولا - وإله الناس - نألم حريمهم  
ولو حاربنا من هيب وبنو فهم  
أسلمًا على خسف ولست بخالد  
وما لي من واق ، إذا جاءني حتمي  
فلا سلم حق تحفز الناس خيفة  
ويصبح طير كائنات على لحم  
فأعرض عنه الرسول الكريم ، لما في شعره من روح جاهلية تعجد  
العدوان وتسعى للانتقام وتشفي بالأذى ، ثم وجهه للسبيل الإهدى فقرأ  
عليه سورة الإخلاص والمودتين .

(١٣) وعن عبد الله بن رواحة أن النبي الكريم سأله ، أخبرني .  
ما الشعر يا عبد الله ؟

فقال : « شيء يختلج في صدري فينطلق به لساني »  
قال « فأنشدي » : فأنشده قصيدته التي يقول فيها :  
قبلت - لله - ما آتاك موث حسن  
فموت عيسى - بإذن الله - والقدر



فقال النبي « وإياك قبلت لله ، وإياك قبلت لله » (١)

لا ريب أن بعض الحيرة ستتمسكنا حين نقرأ هذه الأحاديث فنجد الرسول يرفع بعض الشعراء إلى مصاف النبوة ، ويحكم على البعض بنار جهنم ، لكننا لو تريننا في تفهمها ، واستمعنا بالشروح وفسرنا بعضها ببعض لوصلنا إلى لب الحقيقة .

إن الأحاديث الأربعة الأولى واضحة المعنى : الشعر كأي كلام آخر ، منه الطيب الذي يقبله الرسول ويحسنا على قبوله ، ومنه الخبيث الذي يذم الذي يدينه - صلوات الله وسلامه عليه - ويحذرنا منه .

والحديث الخامس يرى في الشعر فن العرب الأول ، الذي أجادوه ، وتعلقوا به تعلقاً شديداً ، فصار جزءاً من طبيعتهم لا يفارقهم ولا يتركوه ما عاشوا ، وهو قول صادق صحيح ، وفي شرح الحديث رقم (٦) قال الزخشي عن أمية : كان داهية من دواهي ثقيف ، وثقيف دهاة العرب ، ومن دهايته ما هم به من ادعاء النبوة ، وكان جلالة للعلوم جوالاً في البلاد ( وكفر قلبه ) أي اعتقد ما يناقض شعره المشعرون بالإيمان والحكمة والتذكير بآلاء الله وأيامه ، فلم ينفعه ما تلفظ به مع جحد قلبه ، روى مسلم عن عمرو بن الشريد قال « ردفت النبي ﷺ فقال : هل معك من شعر أمية ؟ قلت نعم ، فأشده مائة بيت فقال : لقد كاد أن يسلم في شعره . »

أما شرح الحديث رقم (٧) فهو ، وفي رواية « أصدق كلمة قالها شاعر »

(١) فيض التدبير ج ١ ص ٥٧

وفي أخرى «أصدق بيت قاله للشاعر» ، وفي أخرى «أصدق يده  
قالته الشعراء» ، وفي أخرى «أصدق كلمة قالتها العرب» ، وهذا قريب  
من قوله تعالى (كل شيء هالك إلا وجهه) . . .

وروى السانفي في مشيخته البغدادية عن يعلى بن جراد قال «أنشد  
ليبي النبي ﷺ قوله : «ألا كل شيء ما خلا الله باطل» ، فقال «صدقت»  
فقال : وكل نعيم لا محالة زائل» ، فقال «كذبت» ، فنعيم الآخرة  
لا يزول ، (١) أما الحديث رقم (٨) ورقم (٩) فيفسران بعضهما ، لقد  
كان عنتره مجسداً للقيم النبيلة : الشهامة والروعة والإباء والشجاعة ، وكان  
شعره صورة صادقة لحياته وسلوكه ، فهو يقول ما يفعل ، لا يكذب  
ولا يتقول ، وهو لا يقول هجاء مقذعاً ولا غزلاً فاضحاً أو أي  
كلام يؤذي .

وكان امرؤ القيس على التقيض من ذلك : فاحش القول ، إباحي  
الغزل ، سيء السلوك ، كاذب مدعي .

فلا غرابة أن يحكم النبي ﷺ على امرئ القيس بقيادة الشعراء من أمثاله  
إلى النار ، ويتمنى ﷺ لو كان قد رأى عنتره .

أما بقية المواقف من لقاءات الرسول بالشعراء واعتيابه على أشعارهم  
بما يفيد الإعجاب والتقدير ، فهي تتسجم مع خلاصة الأحاديث السابقة :  
استحسان ما يتفق مع الدين والخلق القويم ، واستهجان ما يخالفهما .

---

(١) فيض للتقدير ج ١ ص ٥٢٤

### الموقف الثالث : ترحيب وإثابة : أقوال وأفعال .

١ — عن كعب بن مالك — رضى الله عنه — قال رسول الله ﷺ :  
 « إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه<sup>(١)</sup> وفي شرح الحديث قال « أراد بالجهاد  
 باللسان هجو الكفر وأهله ، وهذا إلى ظاهر الأخبار أقرب ، ومقصود  
 الحديث أن المؤمن شأنه ذلك فلا ينبغي أن يقتصر على جهاد أعدائه  
 باللسان ، بل يضم إليه جهاد اللسان ، عن كعب بن مالك قال : لما نزلت  
 ﴿ والشعراء يتبعهم الغاؤون ﴾ أتيت رسول الله ﷺ فقلت : ما ترى في الشعراء ؟  
 قال : إن المؤمن يجاهد . . . الحديث .

٢ — وقال صلوات الله عليه — لكعب بن مالك « إن المؤمن يجاهد  
 بسيفه ولسانه ، والذي نفسى بيده ، لكان ما ترمونهم به نضح النبل »<sup>(٢)</sup>  
 ٣ — عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف أنه سمع حسان بن ثابت  
 الأنصارى يستشهد أبا هريرة فيقول : يا أبا هريرة نشدتك بالله ، هل  
 سمعت رسول الله ﷺ يقول : يا حسان أحب عن رسول الله ، اللهم أيده  
 بروح القدس ؟ قال أبو هريرة : نعم ،<sup>(٣)</sup>

(٤) وعن البراء — رضى الله عنه — أن النبي ﷺ قال لحسان « هاجهم  
 — أي قال هاجهم — وجبريل معك »<sup>(٤)</sup> .

---

(١) فيض القدير : ج ٢ ص ٣٨٦ حديث رقم ٢١٠٤

(٢) دراسات في أدب ونصوص العصر الإسلامي ص ٤٠

(٣) صحيح البخارى ج ٨ ص ٤٥

(٤) السابق ج ٨ ص ٤٥

(٥) عن أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - قال رسول الله ﷺ :  
« هجاءم حسان ، فشفي واشتفى » (١) .

(٦) وفي رواية أخرى : قال صلوات الله وسلامه عليه : « أمرت  
عبد الله بن رواحة بهجاء قريش فقال وأحسن ، وأمرت كعب بن مالك  
فقال وأحسن ، وأمرت حسان بن ثابت فشفي واشتفى » (٢) .

(٧) بعد هجرة الرسول الكريم للمدينة المنورة ، اشتد هجاء  
الشعراء المشركين - عبد الله الزبيري وضرار بن الخطاب وأبي سفيان  
بن الحارث بن عبد المطالب وعمرو بن العاص - اشتد هجاءهم للرسول  
والمسلمين ، فقال عليه السلام للأَنْصار : « ما يمنع القوم الذين نصرُوا  
رسول الله ﷺ أن ينصروه بألسنتهم ؟ » فقال حسان : « أنا لعلنا  
يا رسول الله ، قل الرسول الكريم : كيف تمجدهم وأنا منهم ؟ » .

فقال : « والله لأسألك منهم كما تسأل الشعرة من العجين . فيقول له  
الرسول : اذهب إلى أبي بكر فليحدثك حديث القوم وأيامهم وأحسابهم ،  
ثم ارجعهم وجبريل معك » (٣) .

(٨) وجاء في العقد الفريد : « ولو لم يكن من فضائل الشعر إلا أنه

(١) فيض القدير ج ٦ ص ٣٥٢ حديث رقم ٩٥٨٤

(٢) دراسات في أدب ونصوص العصر الإسلامي ص ٤٩

(٣) راجع كتاب الخطبة : د . درويش الجندى ص ٦٤

أعظم جند يحنّده رسول الله ﷺ - على المشركين ، يدل على ذلك قوله لحسان دشن الخطاريّ على بني عبد مناف ، فوالله لشرك أشد عليهم من وقع السهام في غبش الظلام وتخيّط عيشي فيه (٥) .

وقال والذي بعتك بالحق نينا لاسلّك منهم سل الشعرة من المعجين ، ثم أخرج لسانه فضرب به أرنبة أنفه ، وقال والله يا رسول الله انه ليخيل إلىّ أنّي لو وضعته على حجر لفاقه أو على شعرة لفاقه ، فقال النبي ﷺ : أيد الله حسان في هجوه بروح القدس ، (١) .

(٩) وقال ﷺ معقبا على هجاء حسان ولهذا أشد عليهم من وقع النبل ، (٢) .

(١٠) حين أنشد حسان قصيدته التي يردّها بها على أبي سفيان بن الحارث أمام الرسول - ﷺ دعا له بالجنة مرتين ، فعندما قال :

هيجوت حمداً فأجبتُ عنه

وعند الله في ذاك الجزاء

قال صلوات الله وسلامه عليه « جزاؤك عند الله الجنة يا حسان » . ولما وصل إلى قوله :

(٥) أظن المنصور : وتخيّطوا عيشون فيه ، أي بني عبد مناف .

(١) العقد الفريد ص ١٣٠ ج ٣

(٢) دراسات في أدب ونصوص العصر الإسلامي ص ٤٠

## فأنت أبي ووالده وعرضي

لعرض محمد منكم وفاء

قال النبي الكريم: «وقاك الله حر النار».

(١١) عن أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - درووا أولادكم الشعر تعذب ألسنتهم، (١).

أما مواقف الرسول الكريم من إنشاد الشعر ومن الشعراء فهي عديدة يصعب حصرها، ولكننا نستعرض أمثلة منها لاستكمال الصورة .  
(١) يقول جابر بن سمرة د جالست النبي ﷺ أكثر من مائة مرة ، فكان أصحابه يتناشدون الشعر ويتذاكرون أشياء من أمر الجاهلية وهو ما كنت فرعا تبسم معهم، (٢).

(٢) ورد في تفسير القرطبي أن الحليل بن أحمد قال : وكان الشعر أحب إلى رسول الله من كثير من الكلام، (٣).

(٣) سمع رسول الله ﷺ أم المؤمنين عائشة وهي تنشد لزهير بن حبيب قوله :

ارفع ضميمك لا يحل بك ضعفه

يوماً ، فتدركه عواقب ما جفى.

---

(١) المقد الفريد ج ٣ ص ٩٩/١٠٠

(٢، ٣) نحو أدب إسلامي ص ١١٨

يجزيك أو يثني عليك فإن من

أثني عليك بما فعلت كن جزى

فقال النبي : صدقة يا عائشة ، لا شكر الله من لا يشكر الناس ، (١)

٤ - عن الأصمعي أن رجلا جاء إلى النبي الكريم فقال : (٢)  
أنشدك يا رسول الله ؟ قال : نعم ، فأشدد :

تركت القيان وعزف القيان

وأدمنت نصليته وابتهالا

وسكر المشقر في حومة

ونثق على المشركين القتالا

أيا رب لا أغيبن صدقة

فقد بعث مالي وأهلي بدالا

فقال النبي - صلوات الله وسلامه عليه : « ربيع البيع ، ربيع البيع » .

٥ - وجاء في العقد الفريد أيضا أن النبي ﷺ قال لسكعب  
ابن مالك « لقد شكر الله لك قولك » : (٣)

زعمت سخيئة أن تغالب رجا

ولينبلبن مغالب الغلاب

---

(١ ، ٢) - العقد الفريد : ج ٣ ، ص ١٠٠

(٣) العقد الفريد : ج ٣ ، ص ١٠١

٦ - موقف الرسول الكريم من الشاعر كعب بن زهير : كنا قد  
أشرفنا في موقف الكراهة إلى اهدار النبي ﷺ لدم كعب بن زهير بعد  
ما قاله من شعر يمرض فيه بالإسلام ورسوله ، ومنه هذه الآيات (١) :

ألا أبلغنا على بغيراً رسالة

فهل لك فيما قلت بالخيف هل لك

شربت مع المأمون كأساً روية

فأنهلك المأمون منها وعاسك

وخالفت أسباب الهدى وتبعته

على أي شيء - ويب غيرك - ذلكا

على خلق لم تلف أمماً ولا أبا

عليه ، ولم تدرك عليه أخاً لك

وخاف بغير على أخيه فكذب إليه يحذره لأن الرسول يبيع دم من  
يهجوه حرصاً على الدين وحماية لأعراض المسلمين .

وأنه لم يبق من آذوه سوى هبيرة بن وهب وابن الزبير اللذين  
هربا منه د فإن كانت لك في نفسك حاجة فأقدم عليه ، فإنه لا يقتل أحدا

(١) العصر الإسلامي : د ، شوقي ضيف ص ٨٤ ويتصدد بالفظ

المأمون رسول الله ﷺ ، أو أبا بكر رضى الله عنه .



أنا تائباً ، وإن أنت لم تفعل فأنج بنفسك ، فلما ورد على كعب كتاب  
أخيه خاف على نفسه فأعد تصيدته الشهيرة « بانت سعاد » وقدم إلى مكة  
فذهب لأبي بكر الذي صاحبه لمسجد الرسول — وهو متلثم بعمامة —  
وقال : يا رسول الله هذا رجل جاء يبأيك على الإسلام ، فبسط النبي  
يده الشريفة ، وكشف كعب عن رجه وقال : هذا مقام العائذ بك  
يا رسول الله ، وأنا كعب بن زهير ، فأمنه الرسول واستنشدته لأميته :

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول

متيم إثرها ، لم يفد مكبول

وبعد النزول ووصف الرحلة والنافذة يشير إلى خوفه :

يسعى الوشاة جنايبها وقولهم

إنك يا ابن أبي سلمى ، لمقتول

فقلت خلوا سبيلي لا أبا لكم

فشكل ما قدّر الرحمن مفعول

وينتقل إلى الاعتذار وطلب العفو من رسول الله :

أنبتت أنت رسول الله أوعدني

والعفو عند رسول الله مأمول

مهلاً هداك الذي أعطاك نافلة

الفرقان ، فيها مواهظ وتفصيل

لا تأخذنى بأقوال الوشاة فلم  
أذنب ، وإن كثرت فى الأقاويل  
ويثنى بمدح الرسول والمهاجرين :  
إن الرسول لنور يستضاء به  
مهند من سيوف الله مسلول  
فى عصبة من قریش قال قائلهم  
بيطن مكة لما أسلموا ، زولوا  
زالوا فما زال أنكاس ولا كشف  
عند اللقاء ولا ميل معازيل  
شم المرانيف أبطال ، لبوسهم  
من نسج داود فى الهيجا سرايل

د قال كعب بن زهير : فلما ختمت القصيدة رمى على رسول الله —  
ﷺ — بردة كانت عليه . فلما كان زمان معاوية — رضى الله عنه —  
بعث إلى كعب بن زهير : دبعنا بردة رسول الله ﷺ بمشرة آلاف ، فوجه  
إليه الجواب د ما كنت لأوتر بثوب رسول الله ﷺ أحدا . فلما مات  
كعب بعث معاوية إلى أولاده بمشرين ألفاً ، وأخذ منهم البردة (١) .

---

(١) شرح النبريزى على بابت سعاد : د . عبد الرحيم الجليل ص ١

وقبل أن ننتقل لموقف آخر ، نشير إلى قصة تتصل بزهر وقصيدته  
وترويتها معظم الكتّاب ، تقول القصة إن كعباً عرض بالأنصار في البيت  
التالى :

يمشون مشى الجمال الزهر يعصمهم

ضرب إذا ورد السود التنايل

وأن الرسول — عليه السلام — قال له « لولا ذكرت الأنصار  
بخير فإنهم لذلك أهل » ، وقال المهاجرون « ما مدحتنا إذ هجوتهم » ، فقال  
كعب أبيتنا يمدح فيها الأنصار :

من سره كرم الحياة فلا يزل

في مقنب من صالحى الأنصار

ورثوا الكارم كابرأ عن كابر

إن الحيار هم بنو الأخيار

وأرى القصة ملفقة لا يقبلها المنطق للأسباب التالية :

(١) قيل إن تعريضه بالأنصار يرجع إلى تهمتهم له ومحاولة قتله  
لما بدر منه في حق الرسول ، والفروض أن هذا قد حدث حين قابل  
رسول الله ، طي حين أن القصيدة ممددة ومنظومة مسبقة « فقال قصيدته  
التي أولها :

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول

وفيها يقول :

نبئت أن رسول الله أوهدي

والعمو عند رسول الله مأمول

ثم أتى رسول الله . . . (١) أى أنه نظم القصيدة قبل اللقاء وهو أمر طبيعى ، فلا يعقل أن يرسل قصيدة من سبعة وخمسين بيتا فى لحظة اللقاء ، فكيف عرف مقدما أن الأنصار سوف يتجهونه ويرغب أحدهم فى قتله ، فهجوم ؟

(٢) ليس فى البيت أية إشارة إلى الأنصار حتى يعمد موجهها إليهم فضلا عن أن يكون تمرضا بهم .

لقد بدأ مدح المهاجرين بقوله :

فى عصبة من قریش ...

شم العرائن ...

لا يفرحون إذا نالت ...

يمشون مشى الجمال ...

لا يقع الطمن إلا فى نحوهم ..

إنها سبعة أبيات تمضى على نسق واحد ، والضمير فيها للأنابيين (هم) يعود على المهاجرين (٢)

(١) الشعر والشعراء : ابن قتيبة ص ٧٠

(٢) راجع القصيدة فى ديوان كعب بن زهير أو شرح التبريزى .

٣ - في شرح الخطيب التبريزي للقصيد لايشير إلى مسألة التعريض  
قط ، وهو يحكي مناسبة القصيدة في رواية عن كعب نفسه بطريق أبي بكر  
الأنباري عن الحجاج ذي الرقية بن عبد الرحمن بن عقبة بن كعب (١)  
فهو ثقة .

٤ - معنى البيت يقول : إن المهاجرين يمشون إلى الحرب في ثقة  
وثبات وتؤدة - مثل الجمال - وأن هجوماتهم على الأعداء وضربهم إياهم  
يحملهم في منمة وعصمة ، في الوقت الذي يفر ويحزن كل أسود قصير .  
وصفة السواد والقصر هنا تنصرف للأعداء - ربما الكفار -  
الذين يفرّون .

٥ - أما قول المهاجرين « لم تمدحنا إذ هجوتهم » فقد يكون  
تحريفا بسبب التسيان أو لفرض في النفس ، وربما كان القول لم تمدحنا إذ  
نسيتهم أو تجاهلتهم ، لأنه لم يذكر الانصار . وأما قول الرسول الكريم  
« لولا ذكرت الانصار » فهو توجيه نبوي ، لقد آخى الرسول - عليه  
صلوات ربه وسلامه - بين المهاجرين والانصار في كل شيء . فأحب  
الايخص الشاعر فريقا بالمدح دون الآخر ، فيجرح مشاعره ، لذلك  
يلفتة إلى استرضائهم كما استرضى إخوانهم المهاجرين .

ونعود لمواقف الرسول من الشعراء :

مع الناطقة الجمعدى : قدم الناطقة الجمعدى - أبو ليلى - على رسول الله

ﷺ فأنشده :

(١) شرح التبريزي ص ١٥

أتيت رسول الله اذ جاء بالهدى

ويتلو كتابا كالحجزة نيرا

فلمّا وصل إلى قوله مفاخرا :

بلغنا السماء : مجدنا وجدودنا

وإنا لئرجو فوق ذلك مظهرا

فسأله النبي : « إلى أين يا أبا ليلى ؟ »

قال : إلى الجنة - بك يا رسول الله .

فقال النبي : « الجنة إن شاء الله »

وأكمل إنشاده ، فحين بلغ قوله :

ولا خير في حلم إذا لم تكن له

بوادر تيمى صفوه أن يكدرها

ولا خير في جهل إذا لم يكن له

حليم إذا ما أورد الأمر أصدرها

فقال رسول الله - ﷺ - « صدقت ، لا يفضض الله فاك » فماش

مائة وثلاثين سنة لم تنقص له سن (١) .

(٨) موقف الرسول الكريم من أبي جرول الجشمي : وينقل صاحب

(١) الشعر والشعراء : ص ١٧٧ والعقد الفريد ج ٣ ص ١٠٠

المقد عن ابن هشام : حدثني أبو جرجول الجشعي وكان رئيس قومه ،  
قال : أسركنا النبي ﷺ يوم حنين ، فبينما هو يميز الرجال من النساء إذ  
وثبت فوقفت بين يديه وأنشدته :

أمنن علينا رسول الله في حرم

فإنك المرء ترجوه وثلثظر

أمنن علي نسوة قد كنت ترضعها

يا أرجح الناس حلما حين يختبر

إننا لنشكر لهنما إذا كفرت

وعفدنا بعد هذا اليوم مدخر

فذكرته حين نشأ في هوازن وأرضعوه ، فقال عليه السلام : أما  
ما كان لي وأبني عبد المطلب فهو لله ولكم ، فقالت الأنصار : وما كان لنا فهو  
لله ولرسوله ، فردت الأنصار ما كان في أيديها من الدراري والأموال .  
ويعقب ابن عبد ربه — مؤلف المقد — بقوله : « فإذا كان هذا مقام  
للشعر عند النبي ﷺ فأى وسيلة تبلغه أو تعبره ؟ » (١) .

(٩) موقفه — عمر بن الخطاب — من عمرو الخزاعي :

روى أن عمرو بن سالم الخزاعي قدم على الرسول مستنصراً ، وكانت  
خزاعة في حلفه ، فاعتدت عليها قریش — فقال :

(١) المقد المفريد ص ١٠٢

يا رب إني ناشد محمدا  
 حلف أبيه وأبينا الأتلا  
 قد كنت والدا وكنا ولدا  
 تمت أسلمنا فلم نزع يدا  
 فانصر هداك الله نصرأ أعتدا  
 وادع عباد الله يأتوا مددا  
 فيهم رسول الله قد تجردا  
 إن سيم خسفا وجهه تربدا  
 إن قريشا أخلفوك الموعدا  
 ونقضوا ميثاقك المؤكدا  
 وزعموا أن لست أدعو أحدا  
 وهم أذل وأفل عددا  
 هم بيتونا بالوتير هجدا  
 وقتلونا ركسا ومسجدا

فما إن سمع الرسول هذا الشعر حق دمت عيناه وقال « نصرت  
 يا عمرو بن سالم » (١) . ويكمل صاحب المقداد عن ابن هشام دسم عرض

(١) الأدب في عصر النبوة والراشدين : د . صلاح الهادي ص ٢٢٥



عارض من السماء فقال رسول الله ﷺ : إن هذه السحابة تستهل بنفسه  
في كعب ، وتلك الحادثة كانت أحد الأسباب المباشرة لفتح مكة (١) .

(١٠) مع العلاء بن الحصين : جاء العلاء يوما إلى الرسول صلات الله  
عليه ، فسأله : هل تروى من الشعر شيئا ؟

فأنشده : . فحى ذوى الأضنان تسب قلوبهم

تحييتك الحسنى فقد ترفع الشغل

فإن حسوا بالكره فاعف تكرا

وإن حبسوا منك الحديث فلا تسأل

فإن الذى يؤذك منه سماعه

وان الذى قالوا وراءك لم يقل

فلما سمع هذا الشعر قال قولته المشهورة : إن من الشعر لحكمة ، (٢) .

(١١) موقفه من قيس بن الحطيم : ويروى أبو الفرج خبرا عن

أنس بن مالك يقول فيه أن رسول الله جلس في مجلس ليس فيه إلا خزرجى  
واحد ، ثم استنشدهم قصيدة قيس بن الحطيم ، يعنى قوله :

أترى رسما كاطراد المذاهب

لعمرة وحشا غير موقف ركب

---

(١) العقد الفريد ص ١٠٢

(٢) الأدب في عصر النبوة والراشدين ص ٢٢٢

فأنشده بعضهم إياها ، فلما بلغ قوله :

أجاد لهم يوم الحديقة جاسرا

كأن يدي بالسيف محراق لأعب

فالتفت إليهم رسول الله ﷺ وقال : هل كان كما ذكر ؟ ، فشهد له

ثابت بن قيس بن شماس ، وقال : والذي بعثك بالحق يا رسول الله ، لقد خرج إلينا يوم سابع عرسه . . . فجاءنا كما ذكر ، (١)

٢ — موقفه ﷺ من وفد بني تميم : في عام الوفود — بعد فتح

مكة — قدم وفد بني تميم على النبي ﷺ ومعهم خطيبهم عطار بن حاجب

بن زرارة وشاعرهم الزبرقان بن بدر ، فلما خرج إليهم النبي قالوا :

يا محمد جئناك لنفاخر بك . . فأذن لشاعرنا وخطيبنا ، فأذن لهم الرسول

ولما انتهى خطيبهم أمر ثابت بن قيس الأنصاري فرد عليه ، ثم أذن

لشاعرهم الذي قال في قصيدته :

نحن للكرام فلاحى يعادلنا

منا الملوك وفيينا يقسم الربيع

وكم قسمنا من الأحياء كلهم

عند النهاب وفضل العز يتبع

إنا أبينا ، ولم يأت لنا أحد

وأنا كذلك عند الفخر ترتفع

(١) قضايا الشعر في النقد العربي : د . إبراهيم عبد الرحمن ص ٢٨٨

وحين بدأ شاعر بني تميم يمشد ، بعث رسول الله إلى حسان - ولم يكن بالجلوس - فحضر وسمع قول الزبرقان فلما قال رسول الله دقم يا حسان فأجاب الرجل فيها قال : « ونف فارتحل على نفس الوزن والروي :

إن الدوائب من فهر وإخوتهم

قد بينوا سنة للناس تتبع

يرضى بها كل من كانت سريره

تقوى الإله ، بالأمر الذي شرعوا

قوم إذا حاربوا ضروا عدوهم

أو حاولوا النفع في أشياءهم نفعا

إن كان في الناس سباقون بعمهم

فكل سبق لأدنى سبقهم تبع

واستمر إلى نهاية القصيدة ، ولما فرغ حسان قال رئيس الوفد - الأفرع بن حابس - : وأبي ، إن هذا الرجل - يعني رسول الله - لمؤتي له بخطيبه أخطب من خطيبنا ، وأشاعره أشعر من شاعرنا ، ولأصواتهم أعلى من أصواتنا ، ولم ينفذ المجلس إلا بدخولهم في الإسلام وتبديدهم الرسول ﷺ (١)

(١) دراسات في أدب ونصوص العصر الإسلامي ص ١٦٠/١٦٤

(١٣) دحين دخل مكة معتمراً ( عمرة القضاء ٥٧ ) قدم بين يديه عبد الله بن رواحة ، فأخذ بخطام نافته مرتجذاً بأبيات منها ، (١) :

خلوا بى الكفار عن سبيله

خلوا فكل الخير مع رسوله

يا رب لى مؤمن بقيلة

أعرف حق الله فى قبوله

خلاصة موقف السنة النبوية : لو تأملنا الأحاديث السابقة بأنجاهانها للثلاثة . واستقرأنا مواقف الرسول — صلوات ربه عليه — فسوف نخرج بمدة نتائج ، نوضح وتدعم ما عرفناه قبلاً حين تأملنا آيات الله البينات حول الشعر :

(١) موقف السنة يتسق مع موقف القرآن الكريم ، فهى تسكره من الشعر ما تضمن هجاء الرسول وحرباً على الإسلام ونيلاً من المسلمين ، وتكره من الشعراء من حاد عن طريق الحق وخالف مبادئ الإسلام . وتنكر للخلق القويم .

(٢) أحاديث النهى والكراهة لا تخرج عن ثلاثة : أولها بعدة روايات ومنها رواية أم المؤمنين عائشة وهى تنهى على كراهة الشعر الذى هجأ الرسول ﷺ .

وثانيها : يلعب من تطاول على الرسول وهجاءه .

(١) الأدب فى عصر النبوة والراشدين ص ٢٢٥

وثالثها : ينهى عن رواية قصيدتين تحويان تمجيذا للكفار ،  
ووعيدا للمسلمين ، وهجومًا على الإسلام .

(٣) مواقف الرسول — عليه السلام — المناهضة للشعر أو المهاجمة  
للشعراء ، لا تخرج عن التصدىق ابن حارب الله ورسوله والمؤمنين .

(٤) أدرك الرسول بفطرته السليمة ، وحكمته البالغة ، اعتزاز العرب  
بالشعر ، وابداعهم فيه وتمسكهم به ، حتى ليوشك أن يكون غريزة  
فيهم — كحذنين الإبل — والرسول عربي ، يتذوق الشعر ويدرك تأثيره  
في النفوس ، فليس من المقبول منطقيًا أن يقال إنه — صلوات الله عليه —  
قد حارب به وأنهى عنه وجودنا الشعر من القصيد والرجز قد سمعه الرسول  
ﷺ — واستحسنه ، وأمر به شعراء ،<sup>(١)</sup> ولكن المتوقع أن يقوم  
هذا الفن ويهذبه .

(٥) التف حول الرسول الكريم جماعة كبيرة من الشعراء المؤمنين  
بعضهم كانت له صحبة ورواية ، فهم من حفلة الحديث النبوي ورواته ،  
وبعضهم شرف بالصحبة وحدها . ومن الأولين ، الصحابة الأجلاء رواية  
الحديث (٢) حسان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، وعبد الله بن رواحة ،  
وعدي بن حاتم الطائي ، وعباس بن مرداس السلمى ، وأبو سفيان  
بن الحارث بن عبد المطلب .. وغيرهم .

(١) البيان والتبيين ، ج ١ ص ١٥٣

(٢) راجع : دراسات في أدب ونصوص المعصر الإسلامي ص ٤٣/٤٤

ومن لهم شرف الصحبة دون الرواية : أحمد بن زهير ، ولبيد بن ربيعة ، وضرار بن الخطاب ، وابن الزبير . . وغيرهم : فكيف يفسح الرسول في مجلسه للشعراء ويسمح بالرواية عنه ، إن كان يكره الشعر أو يعرض عن الشعراء ؟

(٦) من الأحاديث الواردة عن «عنترة وامرئ القيس وأمية وطرفة» ثم من المواقف العديدة للرسول المصطفى مع شعراء آخرين يتضح جليا أن الرسول لم يكن يرفض الشعر بعامه ، ويعرض عن الشعراء أجمعين ، فقد رأيناه يقبل علي ما حسن ، ووافق الحق من الأشعار ، ولم يتضمن ما ينافي روح الإسلام وتعاليمه وآدابه ، واشتمل على العظة والعبرة والتذكير والخص على الفضائل وغير ذلك مما يدخل تحت قوله — **الطريق** — : إن من الشعر لحكمة (١) .

(٧) وما دام للشعر تأثيره وقوته ، فلا ريب أن الحكمة النبوية رأت اتخاذه سلاحا للدفاع عن الدين ومناهضة الشرك ، خاصة وقد بدأ الشعراء الكفار بإطلاق سهام السنتهم واختار الرسول حسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة من الأنصار ليردوا على شعراء قريش ، فكان اختياره موفقا لسببين :

الأول أن شعراء المدينة أقدر على قول الشعر من شعراء مكة ، والثاني أن شعر الأنصار يعد عهدا وموathيق منهم للرسول (٢) .

(١) الأدب في عصر النبوة والراشدين ص ٢٢٧

(٢) تاريخ الشعر العربي : د . عبد العزيز السكفراوي ج ١ ص ٣١

(٨) ولم تقتصر نظرة الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - إلى الشعر على اعتباره فناً من الفنون يستحسن الحسن منه، ويستحسن القبيح، بل كان عليه السلام يرغب فيه بالحث على روايته واستنشاده، ويسمع لأصحابه في مجالسه، ويبدى آراء نقدية صائبة فيما يسمع، ويثيب على ما يمجبه، ويرد من أخطأ، ولو رجسنا إلى موافقه مع النابغة الجعدي، وليبيد، وكعب بن زهير، ومع الشدوسي، ثم مع رواة شعر قيس بن الخطيم، فسوف نجد يرحب ويهيب بكل شعر تضمن الدعوة إلى خلق كريم، أو أصدر حكماً صائباً على فعل وسلوك، أو أكن الرسول بحسه المزهف، وحكمته السديدة، كان يمرض عن ذلك الشعر الذي يشيد بقم جاهلية، أو يخوض في الأعراض، أو يوقظ كامن الفتن والاضغاث، أو يتباهى بروح الخيلاء والفخر بالأحساب والأنساب.

ولو كان الرسول يكره الشعر، أو لا يعرفه حق المعرفة، ما كان ليعقد تلك المجالس الأدبية لروايته وإنشاده، ويسمع لشعرائه بالرد على شعراء الوفود أو شعراء قرين.

وما كان يرى فيه سلاحاً مكملًا لأسلحة القتال، وما كان ليبدى تلك الآراء الصائبة، ويظهر ذلك الإعجاب الصادق، ولا كان يستجيب لمن اتخذ الشعر وسيلة للاعتذار وطلب العفو، بل الافتداء من الأسر.

فالرسول إذن - مهتدياً بالقرآن - لا يرفض الشعر جملة ولا يندحى الشعراء جميعاً، إنما يقبل ما وافق الحق والدين.





ثالثاً : موقف الصحابة والراشدين

أظن أن موقف الإسلام من الشعر يزداد وضوحا واحكاما حين نتعرف على آراء ومواقف صحابة رسول الله - ﷺ - وخلفائه الراشدين ، فهم متبعون لسنة ، مسترشدون بهديه عليه السلام ، ورأى الجماعة من الصحابة والخلفاء وأوائل التابعين ، يعتبر مصدرا ثالثا للتشريع بعد القرآن والسنة .

يطالعنا في البداية قول أنس بن مالك - رضى الله عنه - « قدم علينا رسول الله ﷺ - وما في الأنصار بيت إلا وهو يقول الشعر ، قيل له : وأنت أبا حمزة ؟ قال : وأنا » (١)

وجاء في البيان والتبيين : « وسامة أصحاب رسول الله ﷺ ، قد قالوا شعرا قليلا أو كثيرا ، سمعوا واستنشدوا » (٢) .

وسئل الحسن البصري : أكان أصحاب رسول الله ﷺ يمزحون ؟ قال نعم ، ويتقارضون القريض ، وهو الشعر » (٣) .

وروى عن أبي سلمة قوله : « لم يكن أصحاب رسول الله ﷺ متعزقين ولا متهاوتين ؛ كانوا يتناشدون الأشعار ، ويدكرون أحص جاهليتهم ، فإذا أريد أحد منهم على شيء من دينه ، دارت حماليق عينيه كأنه مجنون » (٤)

الخليفة الأول : أبو بكر الصديق كان رضى الله عنه يستنشد الشعر

(١) العقد الفريد : ج ٣ ص ١٠٣ (٢) البيان والتبيين ج ١ ص ١٥٣

(٣) الأدب في عصر النبوة والراشدين ص ٢٩٠

(٤) المرجع السابق ص ٢٩٠

ويتذوقه ، ويبدى فيه آراء صائبة ، ويستشهد به في خطبه . كذلك فقد خاض حروب الردة دفاعا عن الإسلام ، واستنابة للمرتدين حتى يفيثوا إلى أمر الله ، فكانت تلك الحروب ذات تأثير على نهضة الشعر الإسلامى حيث واكب اللسان معركة السنان ، وانطلقت سهام الكلمات لتصيب المرتدين فى الصميم .

ومن آرائه التى تدل على دراية بالشعر قوله عن النابغة «هو أحسنهم شعرا وأعذبهم بحرا وأبعدهم قعرا» (١)

وحدث أن جاءه مال من البحرين فقام بتوزيعه على المسلمين بالتساوى وغضب الأنصار لذلك ؛ فقد كانوا يتطاعون إلى أن يزيد عطاءهم ، لما لهم من سبابة فى مناصرة الرسول ومؤاخذة المهاجرين ، فغضب فيهم الصديق ، وذكر فضلهم وأثنى عليهم ، متمثلا بأبيات طفيل الغنوى التى يقول فيها : (٢)

جزى الله عنا جفرا حين أذلت

بننا نعلمنا فى الواطئين فزلت

- 
- (١) دراسات فى أدب ونصوص العصر الإسلامى ص ٤١  
 (٢) الأبيات من كتاب الأدب فى عصر النبوة والراشدين ص ١٨٢ ،  
 وطفيل شاعر جاهلى مات قبل الإسلام بقليل وكان حكما ثريا فقام بالصالح بين قبيلته وقبائل أخرى متمثلا بالبيات .

أبوا أن يعلونا ولو أن أمنا  
 تلاقى الذى يلقون منا ، بلمت  
 هموا أسكنونا فى ظلال بيوتهم  
 ظلال بيوت أدفأت وأظلت

وقال سقيد بن المسيب : كان أبو بكر شاعرا وعمر شاعرا وعلى  
 الشعر الثلاثة ، (١) وهو يقصد أن كل واحد منهم لا بد قد نظم بضعة  
 أبيات فى مناسبات مختلفة .

الخليفة الثانى : الفاروق عمر : أما الخليفة العادل فله مع  
 الشعر والشعراء مواقف عديدة مشهورة ، وله فيه وفيهم أقوال حكيمة  
 مأثورة ، كان يسأل وفود القبائل عن شعرائهم ، ويستنشدهم ، ويبدى  
 آراء فيما يسمع ، وكثيرا ما كتب لولائه على الأمصار يسألهم عن الشعراء  
 وما نظموه من جديد الشعر ، ويروى أنه ربما سهر الليالى يصغى إلى  
 الشعر حتى إذا سحان وقت الفجر طلب تلاوة القرآن .

آراؤه فى الشعراء : كان يفضل زهير بن أبى سلمى ، معللا تفضيله  
 بما يمكن تذوقه للشعر ، وعلمه بمقوماته ، يقول : كان لا يعاظم فى  
 الكلام ، وكان يتجنب وحشى الشعر ، ولم يدح أحدا إلا بما

فيه . (١) وربما حكمت الجملة الأخيرة حرصه على آداب الإسلام  
الذى يدعو إلى القول الصادق ، وينهى عن الفساق والمراءاة .  
وقال لوفد غطفان حين سمع قول النابغة الذبياني :  
حلفت فلم أترك لنفسك ربيعة

وليس وراء الله - للعرض - مذهب

قال : د هو أشهر شعرائكم ، (٢)

ولأن زهيراً اشتهر بمدح هوم بن سنان ، فقد طلب الماروق من  
أحد أولاد هوم ذات مرة : أنشدنى بعض ما قال فيكم زهير . فأشده .  
فقال : لقد كان يقول فيكم فيحسن ، قال : يا أمير المؤمنين ، إنما كنا  
نعطيه فنجزل ، فقال عمر - رضى الله عنه : ذهب ما أعطيتكموه وبقي  
ما أعطاكم ، (٣)

وقال رضى الله عنه لابن عباس يوماً : أنشدنى لشاعر الشعراء  
الذى لم يعاظم بين القوافي ، ولم يتبع وحشى الكلام .

قال : من هو يا أمير المؤمنين ؟ قل : زهير ، فلم يزل ينشده إلى  
أن برق الصبح » (٤)

---

(١) العصر الجاهلى : د . شوقي ضيف ص ٢٢٦

(٢) الشعر والشعراء ص ٧٣

(٣) المرجع السابق ص ٧٣

أقواله في الشعر : قال لابن له : يا بني : انشرب نفسك تهمل  
رحمك ، واحفظ عمامن الشعر يحسن أدبك ، فإن من لا يعرف نسبه لم  
يصل رحمه ، ومن لم يحفظ عمامن الشعر لم يؤد حقاً ، ولم يقترف  
أدباً ، (١)

ومن أقواله « الشعر جندل من كلام العرب ، يسكن به الغيظ  
وتطفاً به الشائرة ، ويبلغ له القوم فادبهم ، ويعطى به السائل ، (٢) ،  
وجاء في البيان والنبين قوله « من خير صفات العرب : الآبيات  
يقدمها الرجل بين يدي حاجته ، يستنزل بها الكريم ، ويستعطف بها  
الليث ، (٣) »

وقال أيضاً : روي عن الشعر أصفه ، ومن الحديث أحسنه ومن  
النسب ما تواصلون عليه وتعرفون به ، فرب رحم بمجولة قد عرفت  
فوصات ، ومحاسن الشعر تدل على مكارم الأخلاق ، ونهى عن  
مساوئها ، (٤)

وكتب إلى أبي موسى الأشعري — وإليه على البصرة — يقول :

(١) الأدب في عصر النبوة والراشدين ص ٢٨٨

(٢) العقد الفريد ج ٣ ص ١٠٢

(٣) البيان والنبين ج ٢ ص ٢٨٨

(٤) دراسات في أدب ونهوض العصر الإسلامي ص ٤٩

« من قِبَلِك بَشَرٌ ، فإنه يدل على معنى الأخلاق  
وصواب الرأي ومعرفة الأنساب » (١)

وروى الجاحظ ، قال « كتب عمر بن الخطاب إلى ما كنى الأمصار :  
« أما بعد ، فداكم أولادكم الفروسية ، وروهم ما صار من المثل ،  
وحسن من الشعر » (٢)

موافقة مع الشعراء : كان لأمر المؤمنين عمر بن الخطاب مواقف  
كثيرة مع عدد من الشعراء ، وتلك المواقف لها وجهها ، قد يتسرع  
المعرضون فيأخذون بأحد الوجهين ، ويأثرون أهياق الكلمات كي يثبتوا  
عداء الخليفة الماثل للشعر والشعراء ، ويغمضون العين بإصرار وعدم  
عن الوجه الآخر للموقف لأنه يولد رأيهم ، ومن ذلك موقفه مع  
الحطيئة بعد قصة ترويحها كذب الأدب القديمة والحديثة ، دعا الحطيئة  
وجلا فاضلا سيدا في قومه هو الزبير بن بدر بأبيات منها :

ما كان ذنب بغيض أن رأى رجلا  
ذا حاجة ، عاش في مستوعر شاس  
جاراً لقوم أطالوا هون منزله  
وغادروه مقبلاً بين أرماس  
ملوا قراه وهرته كلابهم  
وجرحوه بأنياب وأضراس

(١) الأدب في عصر النجوة والراشدين ص ٢٨٩

(٢) المرجع السابق ص ٢٨٨

دع المسكرم ، لا ترحل لبغيتها  
واقعد ، فأنت الطاعم الكاسي

فشكاه إلى أمير المؤمنين الذي قال بعد أن سمع الأبيات : ما أعلمه  
هجاك ، أما ترضى أن تكون طاعما كاسيا ؟ قال : إنه لا يكون في الهجاء  
أشد من هذا (١) .

وأرسل عمر ، إلى حسان بن ثابت يسأله ، فقال : لم يهجه ، ولكن  
صلح عليه ، فجلسه وقال : يا خويهد ، لاشغلنك عن أعراض المسلمين .  
فاستعطفه الحبيشة وهو في الحبس بأبيات يذكر فيها أولاده الصغار :

ماذا تقول لأفراخ بنى مرخ  
زغب الحواصل ، لا ماء ولا شجر  
أقمت كسبهم في قعر مظلمة  
فأفقر عليك سلام الله يا عمر  
أنت الأمين الذي من بعد صاحبه  
ألقى إليه مقاليد النبی البشر

---

(١) المستوعر : مكان صعب غليظ ، الشأس : الارتفاع الغليظ  
اللون : من الهوان ، الأرماس : القبور ، هراته : نبعثته ونهشته ،  
( الشعر والشعراء ص ٣٠٢ ) .



لم يؤثروك بها ، إذ قدموك لها  
لكن لأنفسهم كانت بها الأثر

فدمعت عيننا الحليفة وأطافه آخذاً عليه عهداً بالكف عن الهجاء ،  
واشتري منه أعراض المسلمين بثلاثة آلاف درهم ، ولما ذك يشهد  
الحطية بقوله :

وأخذت أطراف الكلام فلم تدع  
شتما يضر ولا مديحاً يرفع  
وحيتي عرض اللئيم فلم يخف  
ذمي وأصبح آمناً لا يفرع

ومهما يكن من شيء فلقد حرّك الحطية هذه المحاكمة العلمية  
العادلة ، ونال ذلك العقاب المستحق على هجائه للزبوفان ليسكون عبرة  
له ، ورادعاً له عن التعرض لأعراض الناس ، وأخذت عليه الموائيق  
ألا يعود ، وقطع عليه عمر معاذير الفقر بمنحه ثلاثة آلاف درهم ،  
لأن صحت رواية ذلك ، (١) .

موقفه مع النعمان بن عدي : كان النعمان والياً على ميسان  
في البصرة ، ونظم أبياتاً يقول فيها : (٢)

- (١) الحطية : د . درويش الجندى ص ٩٣  
(٢) نحو أدب إسلامي معاصر ص ١١٧

ألا هل أتى الحنفاء أن حليها  
 بهيسان ، يسقى في زجاج وحفم (١)  
 إذا شئت غنتني دهاقين (٢) قرية  
 ورقاصة قهـزرو على كل منهم  
 فإن كنت ندماني فبالأبكر استقي  
 ولا تسقني بالاصفر المتشلم  
 لعل أمير المؤمنين يسوؤه  
 تنادى في الجوسق المنهدم

فلما بلغ ذلك الخليفة عمر قال : « إني والله لاني ليسوؤني ذلك »  
 ومن لقيه فليخبره أني قد عزلته ، وكتب إليه بذلك ، فلما قدم عليه  
 قال : « والله يا أمير المؤمنين ، ما شربتها قط ، وما ذاك الشعر إلا  
 شيء طفق على لسانى ، فقال عمر : أظن ذلك ، وليكن والله لا تفعل لى  
 عملا أبدا وقد قلت ما قلت ، وواضح أن عقاب أمير المؤمنين كان  
 بسبب جهر النعمان بالمحرمات حتى ولو لم يرتكبها ، ثم تطاوله على  
 الخليفة بما يسوؤه ، وهو - النعمان - كان واليا ، أى قائدا ومثلا لعامة  
 الأمة ، فلو ترك في منصبه بعد زلته لشجع غيره على الفعل بعد القول ،  
 وما كان عمر ليتراخى في الحق .

(١) الختم : الجرة الخضراء .

(٢) دهاقين : جمع دهقان وهو القوى صاحب السلطة والمال  
 والخبرة ، الجوسق : كل بنيان عال شامخ .

موقفه مع حسان بن ثابت : روى أن حسان وقف يشهد شعراً

في مسجد الرسول - ﷺ - أيام عمر ، فلما سمعه ، أخذ بأذنه وقال :  
أرغاه كرخاء البعير ١٩ فرد عليه حسان بقوله : دعنا عنك يا عمر ،  
فو الله لنعلم أنى كنت أشهد في هذا المسجد من هو خير منك ، فلا يغير  
على ، فيقول له عمر : صدقت ، ... وتنتهى القصة بقول عمر للمسلمين  
من الانصار : لاني كنت نهيتكم أن تذكروا شيئاً مما كان بين المسلمين  
والشركين دفماً للمؤمنين عنكم ، فأما إذا أبوا فأنشدوه واحفظوه ، (١)

موقفه مع لبيد : يعد لبيد بن ربيعة من كبار شعراء الجاهلية

وأدرك الإسلام ، فقدم على رسول الله في وفد من بني كلاب ، وقد  
حسن إسلامه وتخطى عن كثير من الشعر الذي يأباه الدين ، ولذا قل  
شعره ، ويقال إن عمر بن الخطاب استنشد به بعض ما قاله في الإسلام ،  
فقرأ سورة البقرة وقال : ما كنت لأقول شعراً بعد إذ علمني الله  
سورة البقرة وآل عمران ، فزاده عمر في عطائه خمسمائة درهم ، (٢)

وقد يظن أن الخليفة زاد عطائه لأنه ترك الشعر ، فكأنه يحض  
غيره على ذلك ، لكن الحقيقة أن عمر بن الخطاب قد زاد عطاء لبيد  
لنقواه وحفظه للقرآن وليس لتركه الشعر ولما لزاد في عطاء بقية  
المسلمين الذين لا ينظمون شعراً .

(١) دراسات في أدب ونصوص العصر الإسلامي : ص ٤٩

(٢) المرجع السابق : ص ٥٠

تأثره بالشعر : «سئل مالك بن أنس : من أين شاطر عمر ابن الخطاب عماله ؟ فقال : أموال كثيرة ظهرت عليهم ، وأن شاعراً كتب إليه يقول :

محبج إذا حبجوا ونفرو إذا غروا  
فأنى لهم وفر ، ولسنا بنى وفر  
إذا التاجر الهندي جاء بفارة  
من المسك ، راحت في مفارقة  
فدونك مال الله حيث وجدته  
سيرضون — إن شاطرهم — منك بالشر

قال : فشاطرهم هم أمراهم ، (١) .

ويروى أن المنجل السعدي جزع جزعاً شديداً حين هاجر ابنه شيبان لحرب الفرس مع سعد بن أبي وقاص ، وكان قد أسنّ وضعف ، فافتقد ابنه ، فلم يملك الصبر عنه ، وذهنى إلى عمر فأنشده [بينا] ، يقول فيها :

إذا قال صبحي يارب يسع ألا ترى  
أرى الشخص كالأشخصين وهو قريب

---

(١) العقد للفريد : ج ٣ ص ١٠٢

ويخبرني شيبان أن لن يغني

تلق إذا فارقتني وتحوب (١)

فرق له عمر، وكتب إلى سعد يأمره برد شيبان إلى أبيه ولم يزل هذه  
حتى مات . . . . . وقد فزع إليه أيضا أمية بن حرثان بن الأسكر حين  
هاجر ابنه كلاب إلى حرب الفرس، وكان مما أنشده فيه :

لمن شيبان قد أنشدا كلابا

كتاب الله إن حفظه الكتابا ؟

إذا هتفت هامة بطن وج

على هيئاتها ، ذكرا كلابا

تركك أباك مرعشة يداه

وأهلك ما تسبيغ لها سراها

فأمر بإشخاصه إليه . ومن فزع إلى عمر أيضا في ذلك أبو خراش  
الهلذلي حين هاجر ابنه مع المجاهدين إلى الشام ، وقد أنشده شعرا  
مؤثرا ، فأمر برده عليه وأن لا يغزو من له أب هرم إلا بعد أن  
يأذن له راضيا بهجرته (٢) وكل ذلك يدل على تقدير الخليفة العادل

(١) تحوب : تخطيء وتأثم

(٢) العصر الاسلامي : د . شوقي ضيف ، ٥٦ ، ٥٧

للشعر والشعراء وتأثره بالآبيات يرسلها الرجل بين يدي حاجته - كما  
عبر هو .

- أما ما يثار من شبهات حول موقفه من الخطيئة ثم من الجيد  
وما يقال من أنه غضب على أبي موسى الأشعري ولومه لأنه كافأ الخطيئة  
لمدحه إياه ، وادعاء أنه أنقص خمسين درهم من عطاء الأغلب المعجل  
لقوله حين سئل عن شعره (١) :

لقد سألت هينا موجودا أوجوا تريد أم قصيدا ؟

فهو نوع من التعامل أو متابعة لأراء فيردقيقة وروايات ناقصة ،  
وقد عرفنا حقيقة موقفه مع الخطيئة ، ويكفي أنه أخرج من السجن بعد  
آبياته عن أولاده ، وأعطاه ما يغنيه عن السؤال بالمدح والامترافاد  
بالهجاء ، كما فهمنا سر تصرفه مع الجيد الذي عرف عنه الكرم وإطعام  
الناس وقت الصبا ، وهي ربح شديدة البرودة ، تمنع الناس من السعي  
للمعيشة . ولومه لأبي موسى إنما كان حرصا على مال المسلمين من أن  
يبدد طمعا في الثناء والمدح .

ولإنقاص عطاء الأغلب لا يرجع قطعا إلى كتابة الشعر ، فلا بد أن  
بقية القصة تعطى تفسيراً للأمر ، والشعراء في عهد حمز - رضى الله عنه -  
كانوا كثيرين ولم نسمع عن إنقاص عطاء أحد آخر غير الأغلب .

---

(١) تاريخ الشعر العربي ج ١ ص ٥٨

عثمان بن عفان : تتفاوت آراء المدارس في الخليفة الثالث تفاوتاً

كبيراً ، فبينما نجد الدكتور عبد العزيز السكفراوي يقول عنه بعد اتهام عمر بن الخطاب بـ كراهية الشعر : « ولم يكن عثمان وعلي من بعده أقل منه سخفاً » على الشعراء وكراهية للشعر ، فقد ذكر الشياخ أن خورفه من عثمان وتشكيله بأمثاله هو الذي كان يذمه من أن يمزق جلود أعدائه وذلك حيث يقول (١) الربيع بن عبيد الله السلمي :

لولا ابن عفان ، والمملطان مرتقب

أوردت عثمان من الأبناء جلوداً

على حين يقول الدكتور درويش الجندى : « وما يكاد عهد عمر ينتهي بسيماسته الحازمة الصارمة ، ويأتي عهد عثمان بسيماسته اللينة اليسيرة حتى نرى الخطيئة يتنفس الصعداء ، (٢) ثم يمكن من مدح الخطيئة الوليد بن عقبة - وإلى عثمان على الكوفة - وكان ضميماً في دينه ، يشرب الخمر ، ويلهو مع أصحابه بالأنواء حتى الصباح ويذهب للصلاة سكراناً ، فلما أقيم عليه حد الشراب ، دافع الخطيئة عنه ومدحه (٣) .

ولكن شواهد أخرى ، وكذا منطق الأمور ، تنفي عن أن الخليفة الثالث قد سار على نهج سابقيه ، فترك الشعراء ماداموا ملتزمين بتعاليم الإسلام ، وأعرض لهم حين توجهوا على القيم ، واعتدوا

---

(١) تاريخ الشعر العربي : ص ٥٨

(٢) الخطيئة : ص ٩٧

(٣) نفس المرجع ص ٩٨

بأسننهم على الحرمات . وما قاله الشماخ يدل على أن عثمان بن عفان  
 - رضى الله عنه - قد اشتد على المهجائين وحاربهم ، حفاظا على  
 القيم الأخلاقية وحماية للأعراض، ويؤكد ذلك ما روى عن قصته مع  
 ضابي بن حارث البرجمي ، وهو شاعر من بني غالب بن حنظلة ،  
 وكان قد هجا قوما هجاء سوء ونجس ، فشكواه إلى الخليفة عثمان ،  
 الذى حبسه إلى أن مات (١)

على بن أبى طالب : أما الخليفة الرابع - ابن عم رسول الله والذى  
 شهد له سعيد بن المسيب أنه أشعر من أبى بكر وعمر - رضى الله  
 عنهما - فقد حفظت كتب السيرة وكتب الأدب شيئا غير يسير من  
 شعره ، فيقال إنه كان إذا هم بالمبارزة أنشد من نظمه : (٢)

أى يومى من المرات أفر  
 يوم لا يُقدر ، أم يوم مُقدر ؟  
 يوم لا يُقدر لا أرهبه  
 ومن المقدور لا يغنى الحذر  
 وما قاله من شعره أيضا يوم صدين :

---

(١) الشعر والشعراء : ص ٢١٨

(٢) العقد الفريد ج ٢ ص ١٠٠



أمن راية سوداء يخفق ظلمها  
إذا قيل قتلها حمين ، تقبدا  
فيوردها في الصف حتى يردها  
حياض المنيايا تقطر السم والدم  
جرى الله عنى والجراهم بكفه  
ربيمة خيرا ، ما أعف وأكرما

وكان المسلمون يعرفون في على شاعريته ، بدليل أنهم حين اشتد  
هجاء شعراء الشريك للنبي وصحبه ، ذهبوا إلى وقالوا له : داهج عنا  
القوم الذين يهجوننا ، فقال : دإن علينا ليس عهد ما يراد في ذلك ، (١)  
وهو لا يقصد بالطبع ضاف المقدرة الفنية وماهية الشعر ، ولكنه  
تخرج من قول الهجاء - نهضة في قريش وهم قومه وقوم رسول الله -  
أو ربما كان لا يقول شعر الهجاء عامة ، فليس كل شاعر قادراً على  
جميع فنون الشعر .

وكان يفضل من الشعراء امرأ القيس ويقول وكان أحسنهم نادرة  
وأسبغهم بادرة ، (٢) .  
وقد استعان بالشعراء في معاركه مع بني أمية لإثارة الحاس  
وتحريك الحاس .

ويروى أن أعرابيا شكاً إليه فقره فأمر غلامه - قنبر - أن يعطيه

(١) دراسات في أدب ونصوص العصر الإسلامي : ص ٤٠ ، ٤١

(٢) دراسات في أدب ونصوص العصر الإسلامي : ص ٤٠ ، ٤١

حالة ، فمدحه بقوله : (١)

كسوتنى حالة تبلى محاسنها  
فسوف أكسوك من حسن السفا حملا  
إن الثناء ليحيى ذكر صاحبه  
كالغيث يحيى يدها السهل والجبل  
لا تزهد الدهر في عرف هدأت به  
فشكل عهود سيجزى بالذى فملا

فقال على : ديا قنبر : اعطه خمسين ديناراً ، ثم قال له : أما الحلة فليس لك  
وأما الدنانير فلا ذكرك ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : أنزلوا الفاس  
من أهلهم ، ووضح من هذه الفضة أن علياً كرم الله وجهه عرفه للرجل  
قدره حين قال الشعر فبجده وأعطاه ما يليق بشاعريته . لكن ذلك  
لا يمنع أن يوجبه من يحتاج للتوجه إلى التأديب بأداب القرآن  
الكريم ، فبروى أنه سمع جبر بن سمير التميمي ، يتعجل بقول  
« الأسود بن يعفر النهشلي ، ومها يمرآن على مدائن كسرى :

جرت الرياح على محل ديارهم

فكانوا كانوا على ميعاد

ولقد غنوا فيها بانعم عيشة

في ظل ملك ثابت الأوتاد

فإذا النعميم وكل ما يملأ به

يوماً ، يصير إلى بكى ونفاد

فقال على : فلم لم تقل كما قال الله عز وجل ﴿ كم تركوا من جنات

(١) الأدب في عصر النبوة والراشدين : ص ٢٨٩

وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين كذلك وأورثناها قوما آخرين ﴿١٩﴾ .

وبعد . . . إن ذلك العرض لمواقف الراشدين وأقوالهم فيما يخص الشعر والشعراء يثبت أنهم ساروا على نهج الرسول الكريم وهدى من القرآن ، فلم يرفضوا الشعر تماماً ولم يقبلوه على علاته ، ولا هم عادوا الشعراء جهيماً ، ولا تركوهم وأهواءهم المتقلبة ، إنما كان الموقف العادل ترحيباً بالطيب ونهيّاً عن الخبيث ، ثواباً للمحسن وعقاباً للمسيء ؛ كان حثاً على الخير والصلاح وزجراً عن الشرير والطالح ، وذلك ما يتفق مع آيات القرآن وأحاديث الرسول ومواقفه صلوات الله وسلامه عليه .

خلاصة موقف الإسلام من الشعر والشعراء : لا ريب أننا بعد هذا العرض المسهب لموقف القرآن الكريم والسنة النبوية ، ثم الخلفاء الراشدين ، نستطيع أن نقول مطمئنين : إن الإسلام لم يعارض الشعر ولم يذم الشعراء ، ولأنه ليس من المستعاض عقالاً ادعاء أن الرسول ﷺ كره الشعر وأعرض عن الشعراء ، فلا يمكن لهذه الدعوة العالمية ترسيم منهاجاً جديداً للحياة الإنسانية كلها ، لا يمكن لهذه الدعوة أن تستقطب الشعر من

---

(١) الآيات من سورة الدخان ٢٥ ، و ٢٦ . والمقصود من توجيه الخليفة الأياسى على ضياع ملك الفرس - وهم كافرون - لأن الله أورثه لمن هو خير منهم - للمسلمين - .

حسابها ، سواء كان عمالا للإبداع الفنى أو وسيلة للدعوة ، أو سلاحا للجهاد ، وقد مر بنا كيف حدث الرسول المهيض شعراء المساميين ، ودعاهم إلى جهاد القول وسهام الكلام وسيف اللسان ، وذلك بعد أن فجع شعراء مكة المشركين تلك الجبهة الجديدة لتواكب جبهة الرماح والسيوف .

أما ما ورد من تهديد القرآن لبعض الشعراء ونهى الرسول عن قتل من الشعر أو ضيقه بقبائل من الشعراء ، وما عرف - تاريخيا - من مطاردة الخلفاء وكهمل بن الخطاب ، أو عثمان بن عفان ، رضى الله عنهما للحطبة والنجاشى وضاريه ، فإنما كان لما تناوله هؤلاء من أفكار ومغاني تنافى الخلق القويم ، كما تؤذى الفطرة السليمة ، وتناقض مبادئ الإسلام ، وبفضل هذا التوجيه القرآنى والنبوى تخلص الشعر العربى من شوائب الملقى والنفاق فى المديح السكاذب ، ومن أدران الهجاء القبيح ونيل الأعراض ، ومن الهيام فى أودية الزهو والخيلاء بالفخر المتعالي ، ومن خدش الحياء فى النزل الفاسد ، ومن أذى الخلق بوصف الخمر ولعب الميسر وجماعه اللغو والمجون ، إنه التوجيه للشعر وليس كتيهه ، والتهناء عليه ، وهو التمهيد للشعراء لاختنقهم وتسكينهم .

ويمكن أن نوجز موقف الإسلام بجملة من الشعر والشعراء فى النقاط التالية :

(١) ليس فى القرآن الكريم تعريم قاطع صريح لنظام الشعر ،

وليس فيه تنديد به أو تهديد له إلا حين يتنكب طريق الهدى ويحيد  
عن الخلق والدين .

(٢) كذلك لا يعادى القرآن الشعراء ولا يذممهم أو يهدمهم إلا إذا  
انحرفوا عن الحق وأساءوا للغير .

(٣) تركيز القرآن على نفي صفة الشاعرية عن الرسول وصفة للشعر  
عن القرآن هدفه تنزيه الرسول - ﷺ - عن أن يأتي بما لم يوحى إليه  
وينزل عليه ، يقول جلّ شأنه في سورة الحاقة ( ولو تقول علينا  
بعض الأقاويل ، لاخذنا منه باليمين ، ثم لقطعنا منه الوتين ) ويقول  
سبحانه في سورة الفجم ( إن هو إلا وحي يوحى ) وكذلك تنزيه القرآن  
عن أن يكون كلام بشر ، وإنما ( تنزيل من رب العالمين ) (١) .

(٤) تنفق السنة المطهرة مع القرآن الكريم ففى ترحب بالشعر  
وتفسح للشعراء مكانا ، إذا انبعث من مبادئ الدين والاخلاق ،  
وابتعد عما يغضب الله ورسوله .

(٥) الأحاديث الواردة فى النهى عن بعض الشعر، ولعله وكذلك  
ذم بعض الشعراء ، حددت المنهى عنه والمكروه بأنه ما كان متضمنا  
لهجاء مقذع أو أذى للرسول والمسلمين أو صده عن سبيل الله .

(٦) سماع الرسول - صلوات ربه عليه - للشعر واستنشاده ،  
ودعائه لبعض الشعراء ولما بهم دليل واضح جلّ على موقف السنة  
- وهى تفسر القرآن - موقف الرضى والفرحيب .

(١) الواقعة ، آية ٨٠

(٧) اتخذ الرسول للشعر سلاحاً جاء بعد أن بدأ شعراء قريش المعركة الكلامية ، ورموا الرسول والمسلمين بسهام القول المسموم ، فهي الضرورة التي تبيح محظوراً ، وحين فتحت مكة ، وانتهت المعارك الكلامية كف الشعراء المسلمون عن الهجاء ومنعه الرسول وشيوخه .

(٨) سار الخلفاء الراشدون — رضى الله عنهم — على نهج القرآن والسنة فاستمعوا للشعر واستأشدوه ، لكنهم حاربوا الشعراء الهجائيين وأخذوهم بالشدة حتى يحافظوا على مبادئ الإسلام ووحددة المجتمع .

فالإسلام — ممثلاً في القرآن الكريم والسنة المشرفة وسلوك الخلفاء — هيباً للشعر مكاناً ، ورحب به فناً إنسانياً مهنياً ، يعبر عن النفس والحياة ، ويدعو إلى الحق والخير والجمال ، كذلك فإن الإسلام شجع الشعراء ، ودعاهم لأداء رسالتهم في سبيل نشر العقيدة ، وحماية الأخلاق ، وبناء المجتمع ، لكن الإسلام أيضاً نهى عن تحول الشعر إلى إيذاء للمسلم في عرضه ودينه وخلقه ، وطارد الشعراء إذا صاروا حرباً على الدين أو الأخلاق ، وحين يرقون وحدة المجتمع .

رابعاً : حالة الشعر في عهد النبوة والراشدين.

يتفرج عن قضية الإسلام والشعر، قضية أخرى تار حرها الخلاف  
وتعارضت فيها الآراء ، وهي الحكم على الشعر في عصر النبوة  
والراشدين : أكان خاملاً ضعيفاً ؟ أم قوياً نشيطاً ؟

وكما وجدت النفوس المريضة — مستشرقين وعرباً متفرنجين —  
بجالاتهم الإسلام في موقفه من الشعر ، حين تفحص للاحداث  
عن ظروفها ، وتبهر النصوص من مواعدها ، كي 'تفسير' الحقائق ،  
فكذلك تجد تلك النفوس بجالاتها لإثارة الغبار حول أضواء فترات  
تاريخنا الإسلامي: عصر الرسول ﷺ وخلفائه الراشدين رضوان الله  
عليهم ، فتدعى موات الشعر وركوده ، وتوجس الحديث عنها كي  
تغيم الرؤية .

لقد اعتدنا أن نقسم عصورنا الأدبية ، فندمج هذه الفترة  
الباهرة ، مع فترة حكم الأمويين ، بحجة قصرها د وفكفي عادة في  
مدارسنا بتدريس نص مقتضب لحسان بن ثابت ، ليمثل العصر النجوى ،  
وآخر لكعب بن زهير ثم نمضي لنستوعب أدبيا ما يمثل جزئيات التاريخ  
والفرق السيامية الطارئة ، (١) وقد لا يستغرق ذلك من المدارس أكثر  
من صفحات قليلة ، مجاهدا اتهام باطل الإسلام بأنه خلق الشعر وضيق  
على الشعراء ، ثم يفردون بقرينة الكتاب الضخم لعصر الأمويين في  
تفصيل لا مزيد عليه .

---

(١) شعر عصر صدر الإسلام : د . محمد عادل الهاشمي ص ٥



والأصل أن نعتز بفترات الخصوبة والانحصار في تاريخنا ونسبب الحديث عنها ، عسى أن نخلق في النشء قـدوة ومثالا ، ونزيده عن يمة ونضالا .

فدكان الأولى استعراض نماذج من الشعر الإسلامي الذي واكب الدعوة مسجلا أحداثها ، متغنيا بانحصاراتها ، مناخا أحوالها ، وأن نشيد بدور الشعراء في هذه الفترة . على أن بعض الدارسين المعاصرين قد تدارك الموقف فخص عصر النبوة والراشدين بـ مكتب مستقلة (١)

وحين نستطالع رأى مؤرخي الأدب — وهم كثير — حول شعر تلك الفترة فإننا نفاجأ بتعارض الآراء ، وتناقض النصوص ، حتى أفوشك ألا نهتدى للحقيقة والصواب .

ويبدو أن القدماء كانوا ينظرون إلى الجوانب فيحكمون على كل منها مفردة . وجاء المحدثون فأخذوا عنهم نقفاً من النصوص تخدم آراءهم ، فن قال بهذف الشعر آنذاك وجدا ما يؤيده في كلام ابن سلام والأصمعي وابن سعدون وابن قتيبة ، ومن قال بقوته ونهضته شعر — أيضا — على إنباتات من كلام هؤلاء .

بل أسرت عدوى النظرة الجوانبية إلى بعض المحدثين ، فوجدناهم

---

(١) مثل الدكتور صلاح الدين الهادي : الأدب في عصر النبوة والراشدين .

يذهبون من اليمن إلى اليسار بين صفحة وأخرى (١) .

ومن هنا رأيت الطريق الأمثل أن أعرض جميع الآراء وأناقشها رأياً رأياً ، ثم نتعرف على نماذج كافية - من شعر تلك الحقبة ، نماذج من كل الأغراض التي طرقها الشعراء وقتذاك ، وفي مختلف البيئات العربية ، كي نصل في النهاية - من المناقشة والاستعراض النصي إلى أكثر الأقوال قرباً من الحقيقة ، ولانصافاً للإسلام وللشعر .

أولاً : حجج الفاتلين بضعف الشعر : تنفرد أدلة وحجج الفاتلين بضعف الشعر في عصر النبي الكريم وخلفائه الراشدين ، ولعلنا لا نبعد عن الصواب حين نبدأ بأقوى تلك الحجج في نظر أصحابها ، وأكثرها دوراً في الفلسفة ، حتى يمكن القول بإجماعهم عليها ، وهي الأدلة والحجج المنصلة بالإسلام في موقفه من الشعر .

وموجز تلك الحجج :

(١) الموقف العنيف الذي وقفه القرآن من الشعر .

(٢) محاربة الرسول والقرآن للشعر .

(٣) تعارض قيم الإسلام مع الشعر الجاهلي ، فقد أبطل أشياء ، وهذب طبائع ، فكان في ذلك خنقاً للشعر .

(١) كتاب تاريخ الشعر العربي للدكتور عبد العزيز الكفرأوى

ص ٥٣ يذهب إلى إذكاء الدعوة الإسلامية للشعر ، وفي ص ٥٥ يرى أن الإسلام حارب الشعر وأحب أن يقتضى عليه .

(٤) انبهار العرب بالقرآن وانصرافهم عن الشعر .

ولنبداً في تفصيل ما أوجزنا : يطالعنا حول الجية الأولى قول  
الاستاذ الدكتور عبد العزيز الكفراوى : « وإنما وقف القرآن من  
الشعراء هذا الموقف الصريح العنيف لأنهم صدوا عن سبيل الله ،  
وحاربوا رسوله ، وآذوه في نفسه وعرضه ، وذن يدرى . . لعل  
القرآن كان يرى في الشعر منافساً يشغل بعض الناس عن تمام  
الانصراف إليه ، فأحب أن يقضى عليه قضاء نهائياً .  
هذا هو الموقف العام للقرآن ثم جاءت التعاليم الدينية والروح  
الإسلامية بتفاصيل وتشريعات تكميل للشعر والشعراء ضربات  
أخرى غير مباشرة » (١) .

ولست أدري : أيعنى الاستاذ الباحث من هذا الكلام طمس الحق  
أم هو يحمله ؟ إن الفقرة الأولى لا تحتاج إلى رد ؛ إذ أن المدارس  
قد وقف عند قوله تعالى ﴿ لا تقربوا الصلاة . . ﴾ فهو لم يكل قراءة  
آية الشعراء حيث يقول المولى عز وجل ﴿ إلا الذين آمنوا وعملوا  
الصالحات . . ﴾ وهل كان أمام القرآن إلا أن يقف هذا الموقف من  
حاربوا الله ورسوله ، وصدوا عن سبيله ؟ وهل يعاقب صاحب الجرم  
لأن كان غير شاعر ، ويغفر له إن كان شاعراً ؟ كيلا يتهم القرآن  
بمكرهة الشعر والقضاء عليه ؟

أما الفقرة الثانية التي تصور أن القرآن - لعله - رأى في الشعر

(١) تاريخ الشعر العربى ، ج ١ ، ص ٥٥

منافساً ، فهو القول الغريب الذى لم أصادفه عند دارس آخر ، فأى وجه المقارنة بين القرآن - كلام الله ووحيه - وبين الشعر - الذى مهما بلغ من جمال وكمال فإنه كلام بشر ناقص خطباء ؟ ثم أى وجه للمقارنة بين كتاب تشريع ودين للبشرية جمعاء ، حاضرا ومستقبلا ، وبين قصائد تعبر عن حالات نفسية وعاطفية ، في لحظات محدودة ، مهما تفاهت في قدرتها التعبيرية فإنها خاصة مؤقتة ؟

ثم أين ذهب القرآن بعد ذلك فقوى الشعر — حسب رأيه — في العصر الأموى ؟ ألم يكن باقيا يهدر الشعر والشعراء ؟ وأين ذهب تعاليم الشريعة ، هل انتهى الإسلام — قرآنا وتشريعا بعد عهد الراشدين ؟

وإذا كان الإسلام قد وجه ضربات غير مباشرة للشعر والشعراء ، فكيف نفسر ذلك الحكم الهائل — وسوف يشير إليه الاستاذ نفسه — كيف نفسر ذلك الحكم من شعر الجواهري والبرادى في جزيرة العرب في صدر الإسلام ، والذى يوحى كنب الأدب والنابغ والمسير والمغازى وكتب الصحابة ؟

وهناك رأى في هذا المجال يقول إن نفي القرآن لشاعرية النبي صلوات الله وسلامه عليه ، جعل الناس يظنون أن الشعر من أعراف الجاهلية وتقاليدها ، يحسن التخلي عنه مع بقاء التقاليد الأخرى التي حاربها الإسلام .

وهي حجة نستطاع مواثف الرسول وأقواله فى الشعر والشعرام ومماعة للشعر واستنشاده ، وإثابته عليه ، وطالبه من الشعرام المصاحم نظم الشعر الذى يناخون به عن الدعوة ، ويردون كيد شعراء الشرك . فهل يفعل الرسول كل ذلك ويظن الناس أن الشعر تقليد جاهل ؟ .

وقيل أيضا فى هذا الشأن : إن أعدام الدين قد خاربوه بالشعر . فلما انتصر الإسلام وعم نور الله ، كرهته العرب — أى الشعر — فتباسوه وامتنعوا عن روايته ، وذلك إن صدق فلما يصدق على شعر المشركين الذى تعرض للرسول الكريم ولالدين ، ولكن ماذا عن الشعر الآخر ؟ .

وأضعف الشعر فى رأى آخرين أنه كان قبيل الإسلام قد اتجه إلى الخوض فى العقائد والقول فى الأديان — وذلك يحدث للشعر إذا بلغ الشيخوخة — أى أنه قد هبط مستواه من ناحية ، وصار مخالفا للإسلام من ناحية أخرى .

وما قاله الشعر فى العقائد والأديان فيه نظرات صائبة أقرها الرسول وأعجب بها ، مثل بعض أشعار أمية بن أبى الصلت ولبيد وزهير ، وفيه خرافات وأباطيل عامما الإسلام كخيرها من القيم الجاهلية المذمومة عنها ، وذلك لا يبطل الشعر جملة ، ومسألة مربوط المستوى سوف تناقش فى موضع آخر عند الكلام عن انتهاء عصر الفحول كما قيل .

ثانيا : عاربة الرسول والقرآن للشعر : كان الشعر الجاهلي  
بجملته لاظهار العصبية القبلية والاعتداد بالأنساب والاحساب ، وقد  
حارب الإسلام ذلك ، فكان من الطبيعي ألا يشجع الرسول الشعر  
والشعراء — هكذا يرى الدكتور درويش الجندى ، ثم يضيف  
إشارته إلى قوله تعالى ﴿ والشعراء يفتنهم الغاؤون ﴾ .  
وأيضا ﴿ وما علمناه الشعر ﴾ . وإلى قول الرسول ﷺ « ولان يتملىء  
جوف أحدكم » ، ويعقب قائلا :

« فأزور جانب المسلمين عن قرص الشعر وروايته ، على علمهم  
بأن الدين لم يكرهه على إطلاقه ، وإنما كره منه ذلك النوع الذى يمزق  
الشمل ويشير دقائق القلوب » (١)

وأظننا قد ناقشنا موقف القرآن والسنة بما فيه الكفاية ، والاستاذ  
الباحث نفسه يقول « إن الدين لم يكره الشعر على إطلاقه » فلماذا  
يزور المسلمون إذن عن قرص الشعر وروايته ؟ على كل سوف نرى  
من خلال استعراض الكم الكبير المتنوع للشعر الإسلامى أنهم لم  
يتوقفوا عن الفظم ، أما الرواية فيشبهها ذلك التراث الشعرى الهائل  
الذى نتداوله .

هلى أننا نسلم مع الدارس بأن الإسلام قد نهى عن الشعر الذى

(١) الخطيشة البدوى المحترف ص ٦٣

يمزق الأواصر ، وينتق وحدة المسلمين ، لكنه نوع من الشعر وليس  
كل الشعر .

ويرى الدكتور محمد عبد العزيز المواني ، أن الإسلام كان لا بد  
أن يعادى الشعر الجاهلي بوصفه تجسيدا للقيم الجاهلية التي ارتبط  
بها ارتباطا عضويا دقيقا ، وصورها تصويرا صادقا بكل عناصرها  
ومساوئها (١)

ولأن العرب كانوا يقيمون شعرهم وينظرون حياتهم شعرا ، أى أنهم  
لا يفتصلون بين الشعر والحياة ، لذلك فإن الإسلام حين يسعى لتغيير  
حياة العرب وسلوكهم ، فيجب عليه أولا أن يحارب الشعر الجاهلي  
باعتباره حاويا للقيم والمثل التي تحكم هذه الحياة وتوجهها .

وقد يفهم من ذلك أن الإسلام منع تداول الشعر الجاهلي وقضى  
عليه قضاء تاما ، حتى تمكن من تثبيت قيمه الجديدة ، مكان تلك التي  
يحويها الشعر .

وهو ما لم يحدث قط ، بدليل ما بين أيدينا من تراث الشعر  
الجاهلي ، ونحن لا نختلف مع الأستاذ الباحث في أن الإسلام أتى  
بتقييم تمارض قيم الجاهلية التي سواها الشعر ، غير أن وسيلة الإسلام  
لبث هذه القيم وتثبيتها لم تكن بدم الشعر الجاهلي أو بمحاربته والقضاء  
عليه ، بل كانت بالإفناع والمثل القدوة ، ولا ريب أن الإسلام عد

---

(١) قراءة في الأدب الإسلامي والأموي ص ١٢

الشعر الجاهل ميراثاً تاريخياً ، وسجلاً لعمد مضى ، نغيّره ولكن لا نمحوه ، نتخلّى عنه سلوكاً ومعايشة ، ولكن لا نتخلّى عنه تاريخياً وحضارة .

وحقيقة أن الإسلام طارد كميّاً من الشعر ومنع روايته ، حتى منسى وضائع ، ولكنه شعر المشركين الذين هجوا رسول الله ﷺ ، وتناولوا أعراض المسلمين وصعدوا عن سبيل الله ، وهو ما نظم في سنوات الحروب بين مكة والمدينة .

ويكمل الأستاذ الباحث رأيه « بل إن موقف الاسلام من الشعر مرتبط بموقفه من الحياة الجاهلية ، التي جاء للقضاء على كثير من قيمها فهو إذا حارب قيمة من هذه القيم ، فإنه بالضرورة يحارب الشعر الجاهل المجسد لها » (١) ثم يعدد طائفة من تلك القيم التي حاربها الاسلام كشرب الخمر والغزل الفاحش والهجاء المقذع والتنازع بالألقاب ، والمدح طلباً للعطاء وكل ذلك تجسد في كم هائل من الشعر منع الاسلام رواجه وانتشاره ، (٢)

أترى يقصد الأستاذ الباحث من محاربة الشعر المجسد لهذه القيم ومنع رواجه وانتشاره ، هل يقصد نمحوه أو نسيانه أم يقصد ألا ينظم الشعراء المسلمون على نسقه وفي موضوعاته ؟

إن كان القصد الأول فهو ما لم يحدث ، لأن الشعر الجاهل باق

(٢) المرجع السابق ص ١٤

(١) المرجع السابق ص ١٤



— أغلبه — رغم تحسده لتلك القيم والإشادة بها ، وإن كان يقصد ألا ينظم المسلمون مثل ذلك ، فهو ما كان لا بد أن يحدث تلقائيا ودون محاربة من الإسلام للشعر ، فالغيب الجندي الشامل الذي أحدثه الإسلام ، وتشربته النفوس عن اقتناع عقل و يقين قلب ، ذلك النخير ، صبغ شعرهم بصبغته ، فأصبح ينبع ويصور هذه القيم الجديدة عفويا بلا إلزام ، اللهم إلا في النادر حين لا يصل الافتناع إلى العتل أو لا يبلغ إيمان القلب مرتبة اليقين لدى البعض القليل من الشعراء ، فينحرفون عن جادة الطريق ، وهناك يوجههم الرسول الكريم ، أو خلفاؤه الراشدون ، كما حدث في المواقف المروية قبلا .

وإلى هذا الرأي يذهب الدكتور د صلاح الهادي ، ، فبعد مناقشة موقف الإسلام من الشعر يعلق قائلا : « فخلص من هذا إلى أن الإسلام لم يهرف المسلمين عن الشعر كله ، ولم يشغلهم عن إنشاء ما حسن منه ، أو إنشاده أو سماعه ، وأن الرأية الشعرية لم تتعطل كلها في العهد النبوي ، (١) .

لقد نشط الشعر الاسلامي في حواضر الحجاز — مكة والمدينة والطائف — كما ظل الشعر في البوادي — قبل أن ينتشر فيها الإسلام — ظل مصورا لحياتها مروجا لقيمها وأعرافها . وكان الأستاذ الدكتور هـ شوقي ضيف « قد سبق إلى هذا الرأي أيضا : « من النظم للإسلام أن يقال إنه كف العرب عن الشعر ووقف نشاطه ، فقد كان يشد على كل

---

(١) الأدب في عصر النبوة والراشدين : ص ٢٢٧

لسان ، وساعدت الأحداث على ازدهاره لا على خوله ، (١) .

وفي مجال التعارض بين قيم الإسلام والشعر الجاهلي وما أدّى إليه هذا التعارض من محاربة الإسلام للشعر يدل المستشرق «جب» بدلوه : . . . إن الإسلام والرسول الذي كان له شاعره الخاص به ، حسان بن ثابت ، قد وقفا منذ البداية موقفًا معاديًا للفن الشعري ، ذلك أن هذا الشعر كان سجلًا للقيم والمثل الجاهلية التي جاء الإسلام للقضاء عليها .

ويقول مرة أخرى : ومن هنا نبحث هذه الحقيقة التي تصدها وهي أن ظهور الإسلام لم يخلق شاعرًا واحدًا في أمة الشعراء ، وأن تسجيل الشعر الإسلامي لأبجاء الإسلام - بالقياس إلى أبجاء الماضي في الشعر الجاهلي - لا يعمد قسيمة كعب بن زهير ( بان سعاد ) وحتى هؤلاء الشعراء المعروفون الذين كانت لهم مكانتهم الشعرية في الماضي ، قد أمسكوا عن قول الشعر ، فلا يعرف مثلاً شعر إسلامي للبيد ، ذلك الشاعر العظيم الذي كان شعره ، كما تصوره معلقته المعروفة ، من خير أشعار الجاهلية جهيماً على الرغم من أنه قد عاش بعد إسلامه ما يقرب من ثلاثين عاماً ، (٢) .

أوشكت - والله - أن أنجاهل هذا النص لما فيه من سوء فهم.

---

(١) العصر الإسلامي : ص ٤٦

(٢) قضايا الشعر في النقد العربي : د . إبراهيم عبد الرحمن ص ٢٧٥

ومغالطات وجمل بالحقائق ، ولكفى خشيت أن يطالع عليه بعض الناس فيثأثر به أو يتصور صحته ، فلنتبع المغالطات إن : دجب ، يفاقض نفسه من البداية حين يدعى عداوة النبي للشعر ، واتخاذ شاعرا خاصا ، فكيف يكون ذلك ؟ أما رعم العداوة فقد دحضناه من قبل ، وأما أن الإسلام لم يخلق شاعرا واحدا ، ففيه ضيق فهم للبعد الزمني ، لأن الإسلام لا يعنى سنوات البعثة وحياة الرسول ﷺ فقط ، كما لا يعنى سنوات خلافة الراشدين أيضا ، وإنما الإسلام يعنى أكثر من أربعة عشر قرنا منذ ظهوره إلى الآن ، ولذا حدد حكمه بالسنوات الأولى ، أى عشر أو عشرين سنة ، فهو غير كافية طبعاً لحاق شاعر في أى مجتمع ، وليس في المجتمع الإسلامي رحمة ، متى يولد ويتشقف ، ومتى ينبغ شاعرا ؟

وفي القول كذلك جمل بالحقائق الأدبية والتاريخية ، فأين الشعراء المخضرمون الآخرون - خير حسان - كعبد الله بن رواحة وكعب بن زهير والنابغة الجعدي والأعشى الكبير ، ولبيد وكعب بن مالك والعباس بن مرداس والحسين بن الحارث المري ، والشمخ بن ضرار ، ومههم بن نويرة وأبو ذؤيب الهذلي والمخبل السعدي والفر بن تولب وضرار بن الأزور وأبو محجن الثقفي والبرقي بن عياض الهذلي وأمية بن حارثان الأسكر . . . وذيرهم ؟ والجيع في مطالع العهد الإسلامي ، فإذا تقدمنا قليلا وجدنا الرقيات والكهيت وابن أبي ربيعة ، فماذا يقول دجب ، حينئذ في الشعراء الإسلاميين ؟

وما قاله عن تسجيل أجداد الإسلام في «بانت سعاد، سداجة وجهل،  
لأن القصيدة كانت في أول لقاء بين الشاعر والنبي عليه صلوات الله  
وسلامه ، وكان كعب لا ينبغي أكثر من الاعتذار وطلب العفو وإعلان  
التوبة والإسلام ، وقدم بين يدي ذلك ببضعة أبيات تدمج الرسول  
والمهاجرين ، دون أية إشارة لمجد الإسلام ، ولجيد له شعر إسلامي  
ذكره كثير من الدارسين ، وبقية الشعراء المعروفين لم يمسكوا عن قول  
الشعر ، وإلا فلن ينسب هذا الحكم الكبير من شعر صدر الإسلام ؟  
بقي في مجالنا هذا مناقشة قول الأصمعي شاع في كذب النقد وتاريخ  
الآداب للتقدماء والمحدثين ، ويدور حول ضعف شعر حسان ، يقول :  
والشعر نكد بابه الشر ، فإذا دخل في الخيز ضعف ، هذا حسان بن  
ثابت ، فكل من فحول الجاهلية فلما جاء الإسلام منقط شعره ، وقال  
أيضا : «شعر حسان في الجاهلية من أجود الشعر ، فقطع مقنه  
في الإسلام» (١) .

ولنحسب لانتعرب هذا القول من أحد رواة الشعر الجاهلي المشاهير ،  
وأحد اللغويين أيضا ، لقد تفرس بذلك الشعر وتشربة ، فتربى ذوقه  
عليه ، وصار لا يحسن جمالا إلا فيه ، ولا يستمتع بغيره سواه ، إن  
ما يصدر به مقولاته من أن الشعر يحسن في حالات الفضب ومواقف  
الشدة وحدة الأفعال ، ويجهل ذلك في كلمة نكد ثم شر ، هذا

---

(١) المرجع السابق ص ٢٧٢

السلام يخالف الحكم النقدي الصائب، وهو أن قوة الشعر وأصالته، أو ضعفه وزيفه وكذا جماله وتأثيره، أو قبحه وهوانه، كل ذلك إنما يرجع إلى مقدرة الشاعر وموهبته، وامتلاكه لادوات التعبير، ثم إلى معاناته الصادقة التجربة ومعاشتها، حتى يستطيع نقل انفعاله المتلقية، وسواء كانت التجربة خيِّرة أو شريرة، سواء كان العامل المؤثر في النفس هاجساً رقيقاً وتماطفاً، أو كان نزوعاً للقسوة وفرصاً للتعوية، سواء كان حباً أم كراهية، إقبالا أم إعراضاً، ترغيباً أم ترهيباً، وأياً ما كان مصدره: داخلياً أو خارجياً، إن المعول هو التأثير هذا العامل والانفعال به، ثم إيصال هذا الانفعال المتلقى بالتعبير عنه تعبيراً جميلاً صادقاً. وسوف نرجى الحكم على شعر حسن في جاهليته وإسلامه إلى دراسة مفصلة فيما بعد.

والآن نصل إلى حجة إعجاز القرآن وإثبات العرب به، وهم القوم اللسانون للبلغاء، المعتدّون بمصاحبتهم وبيانهم و القرآن أثر في جميل، بالغ من الرفعة أسمى ما يمكن أن ينتهي إليه أثر في هذه اللغة (١) حدث لهم ما يشبه الصدمة أو الإخام وأثر ذلك على بلاغتهم التي ظهر مدى تواضعها وضآلتها إذا قيسَت بالقرآن، ولذا كف البعض عن قول الشعر، أما من واصل عطاءه، فقد جاء شعره في مستوى أقل جودة لإحساسه بالعجز وشعوره بالهذالة أمام هذا الطود الأشم

---

(١) تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري

د. عبد العزيز السكراوى ص ١١٣

الذى لا تتناول اليه الاعتناق ، (١) .

والى هذا يذهب أيضا الأستاذ محمد البهيقي : « فشغلوا بالقرآن ، وسكت الشعراء ليستمعوا الى كلمة الله » (٢) .

ولعل المحدثين قد تأثروا خطي ابن خلدون في قوله « ثم انصرف العرب عن ذلك أول الإسلام بما شغلهم من أسرار الدين والنجوة والوحى ، وما أدهشهم من أساليب القرآن ونظمه فأخسوا عن ذلك وسكنوا عن الخوض في النظم والنثر زمانا ، ثم استقر ذلك ، وأونس الرشد من الملة ، ولم ينزل الوحى في تحريم الشعر وحظره ، وسمعه النبي ﷺ وأثاب عليه ، فرجعوا حينئذ الى دينهم منه » (٣) وقد فأت المحدثين تحديد الفترة التى انجبرت فيها العرب ، وسكنوا عن الشعر ، كما حاول ابن خلدون ، وإن لم يكن دقيقا في تحديدها . على كل يمكننا أن نناقش هذه الآراء بجماعة ، فنبسأل : على من يصدق حكم الانصراف عن الشعر ، أو نظمهم بمستوى أقل ؟ إن كان على المسلمين فإنه غير جائز ، لأنهم يعرفون أن القرآن وحى إلهى وكلام أنزل الله ، فلا موضع للمقارنة بينه وبين كلامهم ، لقد اعتبروه مثلا أعلى ، يتأثرون به ويعتدون ببلاغته ، ولمكنه ليس مفاضا يتبارون معه .

---

(١) الخطيبية : د . درويش الهندى ص ٦٣

(٢) تاريخ الشعر العربى حتى آخر القرن الثالث الهجرى

د . عبد العزيز الكفراوى ص ١١٣

(٣) مقدمة ابن خلدون : ص ٥٤٧

ولا وجه لإدخال شعراء المشركين في القضية لأنهم كانوا  
في القرآن أصلاً ، وأبوا الاعتراف بإعجازه ولجأه ، بدليل  
ادعائهم أنه شعر أو سحر أو كهانة ، وتطاولهم بزعم القدرة على  
الإتيان بمثله ، وبمحاولة ذلك ، وجاء النجاشي الإلهي رداً على المكابرة  
( قل لمن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن ،  
لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ) (١) . ثم إن هذه الحجة  
لا تتفق وما حفظت عن تلك الفترة من شعر للمسلمين وللمشركين .

وفي تصوري أن مقصد ابن خلدون هو معالجة الأمر على أنه ظاهرة  
اجتماعية ، فالجد يد يهر الناس ويشهد اتباعهم فترة ، يتحيزون فيها  
بين القبول والرفض حتى يألفوه ويقتنعوا به ، ويسهم في نسج  
عقولهم ويصبح جزءاً من ثقافتهم ، فيتعرب إلى إبداعاتهم الأدبية .  
وهذه النظرة قد تنسر عدم تأثر الشعر تأثراً عميقاً بتقويم الإسلام  
ومبادئه في السنوات الأولى للبعثة ، ولكننا لا نصلح لتبرير القلة  
أو الضعف .

ويعبر د ابن سلام الجعفي ، عن القضية بكلمتي تشاغل واهت ،  
وذلك مكان انصرفوا وسكنوا د فجاء الإسلام فتشاغلت عن الشعر  
العرب ، وتشاغلوا بالجهاد وغزو فارس والروم ، واهت ( العرب )  
عن الشعر وروايته ، فلما كثر الإسلام وجاءت الفتوح ، واطمأنت

(١) سورة الإسراء : آية ٨٨

العرب بالأمصار ، راجعوا رواية الشعر ، فلم يقولوا إلى ديوان  
مدون ، ولا كتاب مكتوب ، وألفوا ذلك وقد هلك من العرب من  
هلك بالموت والقتل ، لحفظوا أقل ذلك ، وذهب عليهم منه كثير<sup>(١)</sup>  
ولئن كان النص يعالج مشكلة ضياع الكثير من الشعر الجاهلي ،  
وسوف نتطرق من ذلك إلى مشكلة الوضع والتزييف أو الانهال ،  
إلا أن اتكاه الكثيرين عليه كشاهد على انشغال العرب عن الشعر  
بالإسلام والجهاد ، جعل الدكتور شوقي ضيف يرد عليه<sup>(٢)</sup> وأما قوله  
بأن العرب لم تنو الشعر وشغلت بالجهاد ، فينقضه ما تعلمه كتب  
الأدب والتاريخ من منظوماته الكثيرة ومن أسماء ناظميه ، ويرد  
باحث آخر وفلو كان العرب قد تشاغلوا عن الشعر ورواياته وفقد تأثيره  
على عواطفهم ووجدانهم ، ما أهدر الرسول دم كعب من أجل شعره  
الذي هجاه به ، وما كان الرسول يسكفنه بأن يطلع عليه برذته<sup>(٣)</sup> .  
وفنس الكلام يصدق على مواقف عديدة غضب فيها الرسول  
ﷺ ، لشعر ، أو رضى وأثاب عن شعر . وما الغضب والرضى في هذه  
المواقف أمر شخصي فقط . ولكنه من أجل الجماعة فلو لم يلم الرسول  
بأثر ذلك الشعر حين يتناقل على الألسنة في أنحاء الجزيرة ، لما غضب

(١) قضايا الشعر في النقد العربي . إبراهيم عبد الرحمن ص ٢٧٢

(٢) دراسات في نصوص وأدب العصر الإسلامي ص ٣٩

(٣) نحو أدب إسلامي معاصر : ص ١١٣



أورضى ، واعتراض قريش طريق الأعشى كلما هم بلقاء الرسول  
فتلججه عن ذلك بمال يغريه أو تهديد يثنيه ، إنما كان خوفاً من أن  
يسلم ، فيصبح شعره قوة في جهاب المسلمين .

لم يكن الجهاد والفتوح شاغلاً للعرب عن الشعر ، بل كان من أهم  
عوامل قوته ، وازدهاره ، كما سنرى فيما بعد .

ثم إننا يجب أن نفرق بين العمل المادى الذى قد يشغل عنه  
الإنسان بعمل آخر ، وبين الانفعال الذى لا يغنه مكانه أو زمان ،  
فحينما انفع الشاعر تفجرت قريحته ، وسال لسانه بكلمات الشعر ، (١)  
وأخيراً . . فإن بعض الدارسين يرى أن الشعر الجاهلى قد بلغ  
قمة نهضه ، واعتصر كل ما فى أممائه من إمكانات فنية قبل الإسلام ،  
فاجتمع فى فترة قصيرة عدد من كبار الشعراء ، وانتهى عصر هؤلاء  
الكبار فى وقت إشراف النور الإسلامى ، فكان على الشعر أن يختار  
بين حياة جديدة بأدوات تعبيرية وقيم فنية جديدة ، وبين الإفلاس  
واجترار ما قال السابقون ، ولما كان التجديد يحتاج زماناً حتى يتقبله  
المبدع والمتلقى . ومن هنا نلاحظ هذا الضعف فى شعر صدر الإسلام ،  
حتى ينمو الجيل الجديد من الفحول يرد إليه قوته ويعوضه ما فقد بانتهاء  
عصر فحول الجاهليين .

والحق أن هذا القول بانتهاء عصر الفحول قبل الإسلام . وأن  
الشعر الجاهلى بلغ مرحلة الشيخوخة والوهن ، هذا القول نوع من  
التعميم غير العلمى ، أو غير الموضوعى ، فن المفروض أن العباقرة

(١) نحو أدب إسلامى معاصر ص ١١٣

وكبار الشعراء أو الأدباء لا يظهرون في عام واحد ولا يذهبون كذلك في عام واحد ، قد يتقارب نبوغهم زمنيا ، وقد يتعاصرون ، ولكن ظهورهم واختفاءهم يتم متتابعا أو متلاحقا بحيث لا تغلو مساحة الأدب والشعر تماما من بعضهم ، ربما زاد العدد أو قل في فترة عنه في أخرى ، ولكنهم لا بد موجودون بشكل أو بآخر ، ذلك منطق الطبيعة وسنة الحياة حتى يسلم السابق رايته للإحق وتستمر المسيرة متواصلة حية ، وهو حكم السكون في كافة المجالات الإنسانية وليس الأدب فحسب .

وفي مجالنا خاصة نجد أن الإسلام قد أشرق نوره على الجزيرة وفي الساحة الشعرية أصوات عالية شهيرة ، تنافس وتماهى ، مضيئة إلى التراث ، مهيبة الفرصة لأصوات خضة تنلحس طربقا وتقتدى بالكبار ، إننا نجد وحسان بن ثابت وكعب بن زهير ولبيد بن ربيعة والعباس بن مرداس والحطيئة والذليلين ، وغيرهم وقبل أن يبرح هذا الجيل ساحة الشعر ودنيا الناس ، كان جيل آخر من النحول يتشرب منهم أصول الشعر ، ويضيف من هنده ، ما لم يلحقه السابقون بسبب التطور ، فلم يكن في عصر الإسلام عباقرة وشعراء كبار ، لما ظهر هذا العدد الغفير من شعراء عصر بني أمية ، وهم على هذا المستوى الرائع ، والذي فاق الجاهليين كثيرا كتما وكيفا ، إن الصفوات القليلة التي تفصل بين عصر صدر الإسلام ، وعصر بني أمية ، لا تكفي لنبوغ هؤلاء الشعراء ، لو لم يصادفوا أساتذة يوجهونهم ، وكبارا

يرشدونهم ، ومثلاً يقتدون بها ، وقد لا يكون التوجيه مباشراً ،  
أو التعليم في قاعة الدرس ، ولكنها القدوة والمثال ، والآثار التي  
يربّي ويثقف .

ولا ريب أن الإنصاف يقتضي عرض آراء من قالوا بقوة الشعر  
عزاهم في صدر الإسلام - وفيهم قدماء ومحدثين - وهم قد  
يستخدمون أدلة القائلين بالضعف على أنها أدلة قوة . إذا  
نظرنا إليهم من زاوية أخرى ، فإعجاز القرآن مثلاً ، حافز  
لشعراء وقادة لهم في الفصاحة والبلاغة ، تجدد أساليبهم ، وتمدهم  
بأنماط فنية لم تكن معروفة للجاهليين ، والروقة والذين اللذان يشار  
إليهما في شعر حسان أو غيره من الإسلاميين ، هما من تان ودليلا  
تطور سرف تتضح قيمتهما حين يتقدم الزمن ، وتلتق بالفول العذري،  
أما الممارك بين الإسلام وأعدائه ، ثم حروب الردة ، وما تبعها من  
الفتوح ، فقد كانت خيراً وبركة على الأدب عامة والشعر خاصة ، أو لم  
تظهر شعاعية قريش ، وتمد الشعر بموضوعات جديدة ، وتفجر طاقة  
الإبداع عند كثيرين لم يعرفوا بها قبلاً ؟

وتبقى النيم الإسلامية الجديدة والتي حزن من أجلها محبوا الشعر  
الجاهلي وتساءلوا في أسف : فماذا بقي من أراض الشعر ؟ (١) . إنها في  
رأي المتصفين طوق النجاة - ليس للحياة العربية فقط - ولكن للعالم

(١) تاريخ الشعر العربي : ص ٥٥

أجمع ، وأيسر في ميدان الدين والمجتمع لحسب ، ولكن في مجال الشعر والفن عامة . فلنفصل ذلك :

هناك بعض الملاحظات التي توضع في الاعتبار عند إصدار الحكم بالقوة أو بالضعف على الشعر في فترة النبوة والخلفاء الراشدين ، وتلك الملاحظات هي :

١ - قصر المدة الزمنية - موضوع الحكم - فهي لا تتعدى أربعين سنة ، وهي مدة أقصر من أن تتيح الفرصة لنبوغ الشعراء الجدد ، أو تأصيل القيم الفنية المستحدثة ، أو حتى إنتاج الحكم الشعري الكافي للحكم ، في حين أن الشعر الجاهلي موضوع المقارنة قد استغرق ما بين أومائة وخمسين سنة ، أرسى تقاليده ، وقعد لغونه ، وتوصل إلى أساليبه التعميرية وأدواته ، وخاض التجارب العديدة حتى استكشف طريقه ، وكثرت نماذجه وتنوعت ، فسماحت للدارسين حماية التعميل والدرس والحكم ، بل برهنتهم بكثرتها وتنوعها ، فكيف تصح المقارنة ؟ .

٢ - وهناك كذلك ملاحظة هامة : لقد هاش الشعراء الجاهليون حياة تكاد تكون ثابتة بلا تغيير ، وأشربوا قيميا لا تبدل عبر مئات السنين ، وتمكفوا مهمها وعرفوا طرائق التعبير عنها وتصورها ، أما الشعراء المسلمون فبعد التحول الهائل في القيم والعقيدة على أيدي النبي ﷺ تلاشت الأحداث ، من صدام مع الكفر والشرك ، إلى

فتح مبين ونصر مؤزر ، ثم موت الرسول الكريم وما أحدثه من هزة  
أوشكت أن تذهب باب أعقل العقلاء ، وما تبعه من نقاش حول  
الخلافة .

ثم حروب الردة التي زلزلت عقائد ضعيفة ، وهزت نفوسا خائرة ،  
وبعد ما فتوح الإسلام ، فوطئ الأمر في أراضى كان يستحيل عليه أن يطأها ،  
ورأى حضارات واطلع على ثقافات لم يكن ليراهن — لولا الفتوح ،  
والإهم من ذلك أنه عاش يجارب جديده ، وعانى هموما وشواغل لم  
يعرفها آباؤه وأجداده ، حركت في نفسه كوامن الإبداع ولجرت  
على كانه ، وحفزته لتصويرها في الشعر ، وليكنما تحتاج زمنا لتختصر .

٣ — وعليها أن نراعى أيضاً — قبل الحكم — أن شعر هذه الفترة  
يضم شعر المسلمين وشعر المشركين ، وأن شعر الشرك قد أهمل وضاع  
أغلبه ، لما فيه من مساس بالدين والرسول والمسلمين ، فالحكم هنا يصدر  
على بعض الشعر وليس عليه كله ، وحتى هذا البعض الذي نحكم عليه ،  
مبعثر متناثر في عشرات الكتب والمخطوطات ، منها كتب الأدب  
الموسوعية ، وكتب السير والمغازي والتاريخ ، كذا كتب الطبقات  
والأنساب وكتب الصحابة ، ولذا : فليسكني لنا حكم صحيح يجمع  
جميع وتصنيف كل هذا الحكم من الشعر ، والدليل على ذلك التوزيع  
للشعر في مطلع المهد الاسلامي ، هو أن النماذج التي ترد منه في كتب  
تاريخ الأدب تختلف وتنوع حسب المصدر الذي أخذ عنه الدارس ،  
فهذا من السيرة ، وذاك من الطبري ، وغيرهم من الأغانى ، وهكذا .

بقي أن نسمع لمن قالوا بالقوة وتعرف على أدلتهم منفصلة :

١ — يقول ابن خلدون . . . . لأن كلام الإسلاميين من العرب  
أعلى طبقة في البلاغة وأذواقها من كلام الجاهليين في منشورهم ومنظومهم .  
فإننا نجد شعر حسان بن ثابت وعمر بن أبي ربيعة والخطيب وجري  
والفرزدق ونصيب وغيلان وذو الرمة والأحوص وإسار ، ثم كلام  
السلف من العرب في الدولة الأموية وصدر الدولة العباسية ، في  
خطبهم وترسلهم ، ومعاوراتهم للملوك ، أرفع طبقة من البلاغة في شعر  
الناطقة وعنترة وابن كثوم وزهير ، وعلمة بن عبدة وعرفة بن العبد ،  
ومن كلام الجاهلية في منشورهم ومعاوراتهم ، والطبع السليم والذوق  
للصحيح شاهدان بذلك للفاقد البصير بالبلاغة . والسبب في ذلك أن  
هؤلاء الذين أدركوا الإسلام وجمعوا الطبقة العالية من الكلام في القرآن  
والحديث اللذين عجز البشر عن الإيمان بمشايخها ، أسكنها وبلغت في  
قلوبهم ، ونشأت على أساليبهم نفوسهم ، ففهمت طباعهم وارتقت  
ملاكتهم في البلاغة على ملاكت من كان قبلهم من أهل الجاهلية ممن لم  
يسمع هذه الطبقة ، ولا أنشأ عليهم ، فكان كلامهم في نظمهم ونثرهم  
أحسن ديباجة وأصفى رونقا من أولئك ، وأرصف مبدئي ، وأعدل  
تثقيفا بما استفادوه من الكلام العالي الطبقة ، وتأمل ذلك يشهد لك  
به ذونك إن كنت من أهل الذوق والتبصر بالبلاغة ، (١) .

(١) المقدمة : ص ٤٣ ، ٤٤

والى أثر القرآن على بلاغة العرب تشير الدكتور د بنت الشاطى ،  
وهى تشرح مدى اعتزاز العرب بفصاحتهم ، وكيف كان القرآن  
تشرىفا لهذه الفصاحة ، « فهو آية تقدير لبيان العرب ، لم تبحى لتعطيل  
البيان ، بل لتقر للعرب بشرف القيادة الوجدانية » (١) وفضل القرآن  
لا يقتصر على كونه قمة في جمال التعبير ، ودقة الوصف وكمال البلاغة ،  
أو بقول موجز : إعجاز بيانى ، لكن فضله على الأدب شعرا ونثرا  
يمكن كذلك في كونه وحده العرب لغويا حين صهر لهجاتهم في بوتقة  
اللهجة القرشية بعد قطعهم بما بمفردات وأصايب من اللهجات الأخرى ،  
وبذا فتحت مجال الذبوع والانتشار أمام الشعر العربى الإسلامى بعد  
الفتوح ، وكان القرآن الكريم حائطا ومستودعا للرمية أبد الدهر ،  
ورغم تقلبات الأحداث والأزمان ، فظلت من اللغات الحية .

٢ — وفي مقدمة المحققين من مؤرخى الأدب الذين يدفعون تهمة  
ضعف الشعر الإسلامى ويذهبون إلى رأى الماكس ، دكتور  
« شوقى ضيف » ، ويرى أن من أهم الأسباب التى أدت لنهضة الشعر  
وازدماره إبان النهضة وعهد الراشدين ، ما تتابع من أحداث هامة  
مؤثرة في الجزيرة ثم فيما حولها وكون الشعر - إسلاميا - قد واكب  
هذه الأحداث ، فبكل حدث وقع أسهم الشعراء بتعبيله وإثبات  
نتائجه ، يفخرون بما فيه نصر للدين وإعلاء لكلمة الله ، وينشدون  
بأعداء الإسلام . ففى بداية الدعوة كان الشعر سلاحا فعلا ضد

(١) قيم جديدة فى أدبنا ص ٨٣

الكفار والمشركين، برد كيدهم وبنافح عن الرسول ﷺ وعن المسلمين،  
وفي حروب الردة ، خاض المسلم المعركة بلسانه كما خاضها بسيفه ،  
فهاجم المرتدين وحس المجاهدين .

فلما استقرت الدولة وانطلقت قوافل النور والإيمان إلى أفواج  
الأرض ، رافتهم الشجر يعزف على أوتاره القديمة ويستحدث أخرى  
جديدة ، وفي فتنة عثمان وفي حروب علي ، في كل تلك الأحداث لم  
يخفت صوت الشجر مهباً عما يعتقه كل فريق من رأى « فالشجر لم  
يتوقف ولم يتخلف في هذا العصر ، وهذا طبيعي لأن من عاشوا فيه  
كانوا يعيشون قبله في الجاهلية ، وكانوا قد انحلت عقدة لسانهم وعبروا  
بالشجر عن عواطفهم ومشاعرهم ، فلما أتم الله عليهم نعمة الاسلام  
ظنوا يصنعونه وينظمونه » (١) .

وبعض الدارسين الذين ذهبوا إلى ضعف الشعر الاسلامي لم ينكروا  
مواكبة الشعر للأحداث ، يقول الدكتور الكفراوي « بل إن كبار  
شعراء تلك الفترة ، البعيدين عن ميدان المعركة ، لم يقلقوا من جاذبية  
تلك الثورة الجديدة المبهمة من الحجاز ، وإن لم يتدخلوا فيها تدخلا  
مباشراً ، ومنهم الأعشى الكبير الذي مدح الرسول بديلة رائعة » (٢) .  
وقد اعتبر بعض النقاد أن المشاركة المستمرة من الشعراء

(١) العصر الاسلامي : ص ٣٤

(٢) تاريخ الشعر العربي ص ١ ص ٥٤



في الأحداث المتلاحقة ، اعتبروها سبباً لهبوط مستوى الشعر ، وهو قول فيه نظر ، فالأصل أن هذه الممارك كانت عامل إذكاء للشاعرية ، ولإثارة البواهب ، ودعوة للشعراء كي يؤدوا دورهم ويبلغوا رسالة الشعر في نصرة الحق والخير ، وهي مجال للتباري والاحتكاك بين الفرائخ . أما الاحتجاج بأن شعر الأحداث ربما غلب عليه طابع المناسبات الوقتية ، واتسم بأسلوب الخطابية والمباشرة ، فإن الرد على ذلك هو أن المناسبة كثيراً ما تصبح مجرد تسكينة أو نقطة انطلاق تيسر عاطفة الشاعر ، وتثير وجدانه ، وتفتح أمامه آفاقاً جديدة ، ثم إن العرب قد اعتادوا على مثل تلك الممارزات الكلامية منذ جاهليتهم ، وهم شعراء بالفطرة والسليقة ، وكثيراً ما يرتجلون ، فليس الأمر جديداً عليهم ، وليس كل شعر المناسبات هابط المستوى أو ضعيف فنياً .

على أن زهو المسلم وهو يحس أنه بشعره ينصر الدين ، ويعلى الحق ، ويذهق الباطل ، ويجهاد في سبيل الله ، كل ذلك يحفزه إلى التجويد ويزيد في طاقة إبداعه .

(٣) ثم يستشهد المعارضون لمسلم الضعف على الشعر الاسلامي بكثرة النصوص التي خلفتها تلك الفترة على عصرها ، لقد خص ابن هشام الشعر بجواب واسع في سيرته ، يضم عقمرات القصائد ومئات الابيات وكذلك الطبري ، ثم كتب الادب كالأغاني ، وكتب الصحابة كالإصابة والاستيعاب ، جميعها ذخيرة بقصائد ومطولات وقطع

تدحض زعم من قال بضعف الشعر أو خموله وهو زعم غير صائب ، بل هو زعم يسرف في تجاوز الحق ، وبعد رد الزعم يرى الدكتور « ضيف » أن قوة العقيدة في قلوب الشعراء ورغبتهم في أن يعم نورها جميع الخلق ، مما جعلهم يتسابقون إلى الاشتراك في الجهاد ، وجعلهم لهذا يصعدون عن هذه العقيدة في شعرهم « صدور الشدى عن الأزارح الأرجة » (١) .

ويذهب الدكتور السكفراوي إلى هذا الرأي في إحدى المرات التي انتقل فيها من المؤيدين لتراجع الشعر ، إلى صفوف المعارضين لذلك ، وإن امتثل فعل الطق « وأظننا الآن ، وبعد أن وقفنا على هذا العدد الضخم من الشعراء الذين وقفوا بجانب الدعوة الجديدة أو ضدها ، نستطيع أن نؤكد ما قلناه سابقا ، من أن تلك الدعوة قد أذكت الشعر واجتذبت كثيرا من الشعراء نحوها » (٢) .

(٤) وهناك دليل جديد على النشاط والازدهار الشعري في عهد الرسول الكريم وخلفائه ، وهو نبوغ عدد من الشعراء في بيئات لم تعرف قبل الإسلام بالشعر ، ولم تهتم به ، وتلك هي الحواضر والمدن الحجازية كمكة المكرمة والطائف . لقد عاش الجاهليون زمانا والشعر مركّز في البادية ، وليس للحاضرة إسهام فيه ، اللهم إلا بعض الأهاجي

---

(١) العصر الإسلامي : ص ٥

(٢) تاريخ الشعر العربي : ص ٥٣

بين الأوس والخزرج في يثرب ، فلما بعث النبي ﷺ وتصدت له قريش بالإفكار والكفر ، ثم هاجر بناء على أمره ، وتفجر الصراع بين مجتمع الإيمان في المدينة ومجتمع الكفر في مكة ، وشارك الشعراء في كلا المعسكرين فظهر الشعراء في مكة أولا ، كما كثر شعراء المدينة ، ثم انضمت إلى ذلك الركب الشعري حراضر أخرى ، فالمدن والحواضر المجازية كانت أوثق اتصالا وأسرع تأثرا بدعوة الإسلام - تأييدا أو معارضة - لقد وفر الإسلام بما أحسنه من زلزلة دينية واجتماعية واقترصادية ، أدت إلى الصراع - وهو أهم باعث للشعر ، وهو الشأرة كما عبر ابن سلام ، أو الصدام العسكري الذي يولد الصراع المسلح .

كذلك اعتادت مكة من قديم على مكانتها الدينية ، وافتخرت قريش بسدانة الكعبة ، فلما جاء الإسلام ، سلمها هذه المكانة فبحثت عن مجال آخر للمجد والشهرة كانت تهمله من قبل ، وهو مجال الشعر الذي رأت فيه أيضا سلاما باترا .

هـ - ولا مرأ في أن الإسلام وما رافقه من أحداث ، سواء في السنوات الأولى داخل الجزيرة العربية ، أو فيما بعد حين انطلقت الجيوش الفاتحة تكبر باسم الله عبر حدود الجزيرة ، لا مرأ في أن ذلك قد هبأ للشعر أغراضا جديدة ، وفتته إلى ميادين لم يطرقها من قبل ومن حسن حظ الشعر الجاهل أن الإسلام - بما يمثله من قيم أتاح له فرصة ذهبية للتجديد ، حيث أتاح للشخصية الفردية استقلالها

وحررها من داخلها ، وارتقى بها عن الارتكاس في المادة ، وجعلها تستعمر في آفاقا روحية فسيحة وسامية ،<sup>(١)</sup> ولأنها سوف نذكر تلك الأعراس حين نستعرض النماذج فلذلك نترك تفصيلها الآن .

٦ — وآخر ما يستند إليه دعاة القوة والنماء في الشعر الإسلامي هو المطالبة بمنظرة نقدية جديدة إلى ذلك الشعر ، نظرة تتحرر من معايير الشعر الجاهلي ، وتنطلق من إसार جاذبيته ، نظرة تضح لنفسها مقاييس واعتبارات تلجح من هذا الشعر الذي يتحدث عنه ، ولا تقيسه باعتبارات شعر آخر سبقه ، أيأ ما كانت قيمة ذلك الشعر وروعته .

---

(١) قراءة في الشعر الإسلامي والأموي : ص ١٥

خامسا : نماذج من الشعر الإسلامى

على الرغم من أن الصراع المساح والصراع الشعري ، لم يتفجر  
إلا بعد هجرة الرسول المظفر ومن آمن معه إلى المدينة، على الرغم من  
ذلك إلا أن نفثات شعرية قليلة صدرت عن البعض ، ومنها ما قاله  
«عثمان بن مظعون» ، وأد دفعه أذى ابن عمه - أمية بن خلف - إلى  
الفرار بدينه واللجوء للحبشة ، ومن هناك أرسل معاتبا على ما بدر  
منه محذرا لياه من عاقبة البغي (١) :

أقيم بن عمرو للذي جاء بنضـة

ومن دونه الشمران والبرك أكنع

أخرجتنى من بطن مكة آمنا

وأسكنتنى فى صرح بيضاء تقذع

وحاربت أقواما كراما أعزة

وأهلك أقواما بهم كنت تفزع

سئل من أن نابتك يوما ملية

وأهلك الأوباش ، ما كنت تصنع

كذلك تحفظ الكتب المؤرخة لتلك الفترة قصيدة نادرة ،

نظمها أحد مؤيدى قرايش - أبو قيس بن الأسات - وقد غفى مغبة

---

(١) تاريخ الشعر العربى ص ٢٩ . الحمزة للنداء ، تيم بن عمرو: هو

جحج - جد عثمان وأمية ، الشمر: الخنايج أو البعور .

والشمران هما الخليليان بين اليمن والحبشة ، والبرك اسم لمواضع

منها اليمن ، أكنع : أجمع ، تقذع : تلام وتذكرو . الأوباش : السفلة ،  
ملية : كارثة .

النزاع بينهم وبين الرسول ، فنصحتهم في هذه القصيدة أن يسمعوها  
لصوت الحكمة ، ويعالجوا الخلاف بوسائل السلم والجدل العقلى (١) :

يا راكباً أما عرضت فبإفان  
مغلغلة عني ، أوئى بن غالب  
وقل لهم — والله يحكم حكمه —  
ذروا الحرب تذهب عنكم في المراحب  
مى تبعثوها ، تبعثوها ذميمة  
هى الغول الأقصين ، أو للأقارب  
مفطحة أرحاماً وتهلك أمة  
وتبرى السديف من سنام وغارب  
وتسقطوا بالأتحمية بعدهم  
شليلا وأصداء ثياب المحارب (٢)

---

(١) المرجع السابق : ص ٢٩/٣٠ ، مغلغلة : رسالة ، المراحب :  
جمع مرحب وهو المكان الواسع ، السديف : لحام السهام ، الغارب :  
السكاهل .

(٢) الأتحمية : ثياب يمنية فاخرة ، الشليل : ما يلبدن تحت  
الدرع ، الأصداء : الدروع الصدئة ، الغبر السوابغ : الدروع ،  
القتير : مسامير الدروع ، الجنادب : الجراد .

وبالمسك والكافور غبراً سوابغا  
كأن قنبرها ، عيون الجنادب

ولكن ، ما إن يهاجر الرسول الكريم والمسلمون إلى  
المدينة ، حتى يبدأ الصدام بين معسكر الإيمان والنوحيد فيها ، وبين  
معسكر الكفر والشرك في مكة ، وكان الصدام في ميدان القتال أولاً ،  
ثم نقلته قريش إلى ساحة الشعر ، حين تطارل بعض شمرائها بالقول  
على الرسول ﷺ والمسلمين ، وحينذاك استأذن حسان بن ثابت من  
الرسول في الرد عليهم ، وقيل بل ضاق المسلمون بهجاء المشركين  
فطلبوا من علي - كرم الله وجهه - أن يدفع عنهم سهامهم ، لكن  
علياً اعتذر - أو اعتذر عنه الرسول - وطلب المصطفى عليه السلام  
من الأنصار أن يمشيخوا إلى أفضالهم فضلاً جديداً فيذهبوا الإسلام  
باللسان كما نصره بالسيف ، وبدأ « حسان بن ثابت » ثم انغم إلى  
عبد الله بن رواحة وكعب بن مالك .

ولئن كان الشعر الإسلامي قد بدأ في أول أسره رداً من شعراء  
الأنصار على المشركين بأغراض عديدة ، وفي مناسبات شائعة ، إلا  
أنه فيما بعد ، ولا سيما حين فتحت مكة وعم الإسلام جزيرة العرب ،  
اتسعت نطاقه وتعددت مجالاته ، وكانت الفتوح الإسلامية خارج  
الجزيرة بمثابة فتوح شعرية عظيمة الأثر واسعة الأرجاء .



والمنستر عرض الآن نماذج من الشعر الإسلامى - دون التعرض لغير المسلمين - حتى يتسنى لها الاطلاع على هذه الصفحات الوضيئة من تاريخ الشعر الإسلامى ، وتحرى الحقيقة فى مستوى ذلك الشعر : من ضعف أو قوة ، وازدهار أو خمول . ورأيت - أنظيما لهذا الحكم من الشعر - أن أعرضه بحسب الأغراض أو الموضوعات ، وبذا يأتى العرض شاملا من الناحية الزمنية لعصر الرسول ﷺ ، ثم خلفائه الراشدين ، على أن التتابع التاريخى سوف يتحقق ضمنا حينما نبدأ بالأغراض الإسلامية المبكرة ، مثل مدح النبی الکریم ، وهجاء المذکرین ، وثناء الشهداء فى معارك مكة والمدينة ، وتهديد المشرکین والیهود بما أعد المسلمون لهم ، والفخر بالانتصارات الإسلامية .

وتأتى بعد ذلك أغراض جدت فى شعر الفتوح : كالحین والاعتراب ووصف البلاد الجديدة وشعوبها ... وهكذا .

١ - مدح الرسول صلى الله عليه وسلم : يُعد مدح النبی ﷺ والاشادة به فى مقدمة الأغراض المستحدثة والمجالات الجديدة للشعر العربى ، فحينما أشرق فجر الإيمان كان الرسول المصطفى هو المبلغ لهذه الرسالة السماوية ؛ وكان نبراسا وهاديا ، ومثلا وقُدوة ، ومبشرا ونذيرا ورحمة مهداة ، وكان مدحه غير المدح الذى عرفه الشعر فى جاهليته للسادة والملوك ، امتعاضا للمال أو طلبا للشهرة والمجد الأدنى ، فيحشد الصفات الحمودة فى مبالغة وتضخيم ، وقد يقول غير الحق ، وقد يمدح بما لم يوجد ، بل كان مدحه - صلوات الله عليه - جمادا فى

سبيل الله وقربى إليه سبحانه ، كان دفاعاً عن الدين وتثبيتاً له ، كان اقتباساً من هذا النور واهتداء به ، ومن هنا فقد كانت القصائد المخصصة لهذا الغرض كثيرة عديدة ، وكانت القصائد التي نظمها أصحاب الأغراض أخرى ، يحاول أن تشرف بأبيات في مدحه تتناثر خلالها كالمعيق الشدوي ، وإذا كان الاختيار صعباً - في هذا الحكم - بين القصائد والأبيات ، إلا أننا حرصاً على الإيجاز ، نكتفي بأبيات من قصائد مجرد الدلالة والتشيل .

• يقول الأعشى الكبير من قصيده تبلغ أربعة وعشرين بيتاً (١):

ألا أيها السائل : أين يعمت

فإن لها في أهل يثرب مرعدا

فأليت لا أرتى لها من كلاله

ولا من حفى ، حتى تلاقى محمدا

نبي يرى ما لا ترون ، وذكره

أغار لمعمرى - في البلاد وأنجدا

له صدقات ما تعب ، ونائل

وليس عطاء اليوم مانعه غدا

أجرك : لم تسمع وصاة محمد

نبي الإله ، حين أوصى وأشهد

---

(١) ديوان الأعشى الكبير ، تحقيق د . محمد حسين ص ١٣٥

لماذا أنت لم ترحل بزاد من النقي  
ولا قيت بعد الموت من قد تزودا  
ندمنا على أن لا نكون كمثله  
وأنت لم ترصد ، لما كان أرصدا  
• ويقول عبد الله بن رواحة (١) :  
لما تفرست فيك الخير أعرفه  
والله يعلم أما خائف البصر  
أنت النبي ، ومن يحرم شفاعته  
يوم الحساب ، لقد أزرى به القدر  
فثبت الله ما آتاك من حسن  
فثبت موسى ، ونصر آكلذي نصروا

• وعبد الله ابن الزبير الذي تناول على النبي بالهجاء سنوات  
وهو مشرك ، أصبح شديد الندم على ما قدم حين هداه الله فتاب واعتذر  
بقصائد عديدة ودمج الرسول مرات كثيرة منها :

---

(١) شعر عصر صدر الإسلام ص ٩

يا خير من حملت على أوصالها  
 عيرانة سرج اليزيدى رسوم  
 لاني لمعتذر إليك من الذي  
 أسديت ، إذ أنا في الظلام أهيم  
 فاعف ، فدسى لك والداهي كلاهما  
 زللى ، فإنك راحم مرحوم  
 وعليك من سمت المليك علامة  
 نور أغر ، وخاتم مختوم  
 أعطاك بمد محبة برهانه  
 شرفاً ، وبرهان الإله عظيم (١)  
 ومن شعر العباس بن مرداس قوله مشنفاً على النبی (٢) :  
 رأيتك يا خير البرية كلها  
 نثرت كتاباً جاء بالحق معلماً  
 ونورت بالبرهان أسراً مدمماً  
 وأطفأت بالبرهان ناراً مضمرماً

---

(١) المرجع السابق ص ٧٥ . عيرانة : ناقة أصيلة ، : سرج : ليثة  
 رسوم : ثابتة الخطوة ، سمت : دلائل وظواهر .

(٢) المرجع نفسه ص ٧٧

فن مبلغ عن النبي محمدا

وكل امرئ يحزى بما قد تكلم

• يقول «حسان» - شاعر الرسول - في إحدى روايته التي تعد  
رداً منهما على القائلين بذهاب الشعر الاملائي (١) :

أغر ، عليه النبوة خاتم

من الله مشهود ، يلوح ويشهد

وضم إليه اسم النبي إلى اسمه

إذا قال في الخنس المؤذن : أشهد

وشق له من اسمه ليجهله

فقدوا لعرش محمود ، وهذا محمد

نبي أمانا بعد يأس وفترة

من الرسل ، والأوثان في الأرض تعبد

فأمسى سراجاً مستنيراً وهادياً

يلوح كما لآخ الصقيل الممعد

وانذرنا ناراً وبشر جنة

وعالمنا الإسلام ، فآله محمد

---

(١) الادب في عصر النبوة والراشد بن ص ٢٤٨

ويقول في هزيمته التي دعا له الرسول بالجنة مرتين من أجلها (١)  
وفيها يذُر قرشاً ويرد على أبي سفيان :

هجوت محمداً فأجبتُ عنه

وعند الله في ذاك الجراء

فإن أبي ووالده وعرضي

لعرض محمد منكم وقاء

أتهجوه ولست له بكتفء

فشركا لخيفكا الفداء

هجوت مباركاً برا حنيفاً

أمين الله شيمته الوفاء

٢ — تمجيد الدعوة الإسلامية ومدح المسلمين الأوائل :

لا ريب أن المسلمين الأوائل — مهاجرين وأنصاراً — أصحاب  
العزيمة والإرادة ، الذين واجهوا الشرك وهو في أوج قوته ،  
وعنفوان جبروته ، لا شك أنهم أصحاب الفضل الجديرون بالثناء والإشادة  
فتقدّموا — مهاجرين وأنصاراً — عبء الجهاد في سبيل إعلاء كلمة  
الحق ونصرة الدين ، ولم يقصّر الشغراء المسلمون في هذا المجال ،

(١) المرجع السابق ص ٢٥٣

فلا تكاد تخلو قصيدة إسلامية على عهد الرسول والراشدين من أبيات  
تمدح الأنصار أو المهاجرين أو كليهما معاً ، وتشيد بدورهم البطولي  
في قهر الدعوة وموازرة النجى ، ثم تمجّد الإسلام وما أضاء الله به على  
العرب من نعمة الهداية وفضل الرشاد ، ها هو كعب بن زهير في  
موقف الاعتذار والتوبة ، يذكر للمهاجرين فضائلهم ويمجدهم (١) :

في عصبة من قريش قال قائمهم

ببطن مكة ، لما أسلموا : ذلوا

ذلوا فما زال أنكاس رلا كشف

عند اللقاء ، ولا ميل معانيل

مشم المرانين أبطال ، لبوسهم

من نسج داوود ، في الهيجا سراويل

يمشون مشى الجبال الزهر يعصمهم

هضرب إذا ورد السود التنايل

لا يفرحون إذا نالت رماحهم

قوما ، وليسوا مجازيعاً إذا نيلوا

لا يقع الطعن إلا في نحورهم

وما إن لهم من حياض الموت تهليل

---

(١) شرح بانت سعاد : ص ٨٦

ثم يستدرك في قصيدة أخرى ما فاتته من مدح الأنصار ، ولهم  
فضل النصر والمؤاخاة والإيثارة على أنفسهم (١) :

من سرته كرم الحياة فلم يزل

في مقنّب من صالح الأنصار

ورثوا المكارم كابراً عن كابر

إن الخيار هم بنو الخيار

المكرهين السمرى بأذرع

كسوالف الهندي ، غير قصار

الباذلين نفوسهم لتبهمهم

يوم الهياج وسطوة الجبار

يتطهرون كأنه نسلك لهم

بدماء من علقوا من الكفار

قوم إذا هوت النجوم فإنهم

للطارقين الفارلين مقار

ويجمع حسن في مدحه بين الأنصار والمهاجرين ، فهم إخوة ،

---

(١) في الأدب الإسلامي والاموى ص ٣٥



يقول في رده على الزبرقان بن بدر (١) :

إن الذوائب من فخر وإخوتهم  
 قد يبتئوا سنة للناس تدجع  
 قوم إذا حاربوا ضروا عدوهم  
 أو حاولوا الدفع في أشياءهم نفعوا  
 إن كان في الناس سباقون قبلهم  
 فكل سبق لأدنى متبعهم تبع  
 أصفه كذ كرت في الوعى صفتهم  
 لا يبتخلون ، ولا يريدون الطمع  
 أعطوا نبي الهدى والبر طاعتهم  
 فما وى نصرهم عنه ، وما نزعوا  
 إن قال: سيروا أجدوا السبر جهدهم  
 أو قال: هوجوا أيما ساعة ربعوا  
 أكرم بقوم رسول الله قائدهم  
 إذا تفرقت الأهواء والشيع  
 فإنهم أفضل الأحياء كلهم  
 إن جنة بالناس جد القول ، أو سمعوا

---

(٢) ديوان حسام ص ٢٣٨

٣ — هجاء المشركين ردّاً على هجائهم : تجاهل المسلمون هجاء  
المشركين أول الأمر ، فلما تبادوا ، وصار السكوت عنهم قد يفسر بالهجو  
عن إلخامهم ، تصدى لهم شعراء الأنصار ، يقول حسان ردّاً على  
أبي سفيان حين هجا النبي (١) :

أبلغ أبا سفيان أن محمداً

هو النعمن ذوالأفنان ، لا الواحد الوحد

وأبلغ أبا سفيان عنى رسالة

فما لك من إصدار عزم ، ولا ورد

وأنّ سقام المجد من آل هاشم

بنو ابنة مخزوم ، والدك العبد

وما ولدت أفناء زهرة منكم

كريماً ، ولم يقرب عجايزك المجد

وكت دعياً نيط في آل هاشم

كما نيط خلف الراكب للقدح الفرد

وأن امرأ كانت سمية أمه

وسمراء ، مغلوب إذا باغ الجهد

وهو هجاء بالنسب ، أفاد فيه حسان من مثالب عرّفه لإيها

---

(١) الديوان ص ١١٨

أبو بكر ، كما تصححه الرسول ، فكان ذلك موجها لقريش .  
ولحسان أيضا ممدية رائعة في الرد على أبي سفيان ، وهي التي  
دها له الرسول بالجنة مرتين حين سمع أبياتها ، وفيها أنهف بيت قالته  
العرب (١) :

ألا أبلغ أبا سفيان عفى  
فأنت بجوف نخب هواء  
هجوت محمدا فأجهت عنه  
وعند الله في ذلك الجواء  
أتمجده ولست له بكف  
فشركا لحدهركا الفداء  
فإما تشقن بنو لؤى  
جذيمة ، إن قتاهم شفاء  
وفي هجاء قريش يقول عبدالله بن الحارث بن عدي (٢) :  
وذلك قريش تجهد الله حقه  
كما جحدت عاد ومدين والحجر  
فإن أنا لم أبرق فلا يسعني  
من الأرض بر ذو فضاء ولا بحر

---

(١) ديوان حسان ص ٧١ (٢) نظرات في الشعر الإسلامي ص ٣٢

بأرض بها عبد الإله محمد

أبلغ ما في النفس إذ بلغ النقر

(٤) حرب نفسية ضد المشركين : عرف في الجاهلية وصدر

الإسلام مصطلح ويختلف عنه أو فهمه ، وقصد به ما يعرف حديثاً بالحرب النفسية أو الباردة ، كانت الشعاع يرسل في آياتة نوعاً من التهديد والإنذار ، حين يبالغ في وصف القوة والاستعداد حتى يخيف الأعداء فيترجعون عن الحرب ، يقول معبد الخزاعي يخوف أبا سفيان ابن حرب ، ويخذه عن الرسول :

كادت تهد من الأصوات راحتي

لذسالت الأرض بالجرد الأباييل (١)

تردى بأسد كرام لا تنابلة

عهد اللقاء ، ولا ميل معازيل

فظلعت أعدواظن الأرض مائلة

لما سموا برئيس غير عذوق

---

(١) الأدب في عصر النبوة والراشدين : ص ٢٥٩ ، الجرد : الخيل ،

الأباييل : الجماعات ، تردى : تسرع ، تنابلة : قصار ، ميل : بغير

رماح ، معازيل : جهنماء ، تخططط : اهتزت .

فقلت ويل ابن حرب من لقائكم  
 إذا تغلظت البطحاء بالخيل (١)  
 من جيش أحد لا وخش تنابة  
 وليس يوصف ما أئذرت بالقيـل  
 • ويقول شداد بن عارض الجشمي يخوف أهل الطائف: (٢)  
 لا تقصروا اللات إن الله مهلكها  
 وكيف نصركم من ليس ينتصر  
 تلك التي حورقت بالنار فاشتعلت  
 ولم يقال لدى أحجارها هدر  
 إن الرسول متى ينزل بساحتكم  
 يظعن ، وليس بها من أهلها بشر  
 • وكعب بن مالك يذكر بدرأ ويهدد المشركين: (٣)  
 رسول الله يقدمنا بأمر  
 من أمر الله أحكم بالقضاء  
 فما ظفرت فوارسكم ببدر  
 وما رجعوا إليكم بالسواء

(١) تغلظت: اهتزت وشش: السفلة الرجاج ، القويل: القول ،  
 أى: ليس وصفي خيالا .

(٢) المرجع السابق: ص ٢٥٧ (٣) نفسه: ٢٥١

فلا تعجل أبا مصفيات وارقب  
 جهاد الخيـل تطلع من كداء  
 بنصر الله ، روح القدس فيها  
 وميـكال ، فيا طيب اللقاء  
 ومن أقوى ما قاله حسان في تهديد قریش وتخويلها أبياته  
 في الحميرية قبيل فتح مكة: (١)  
 عدمتنا خيلنا إن لم تروها  
 تثير النقع ، موعدها كدواء  
 يبارين الاسنة مصفيات  
 على أكتافها الأسـل الظماء  
 تظل جيـادنا متمطرات  
 تلطمهن بالخر النساء  
 فإما تعرضوا عنا اعتمرنا  
 وكان الفتح وانكشف الغطاء  
 وإلا فاصبروا للجلاد يوم  
 يدين الله فيه من يشاء

---

(١) الديوان : ص ٧٣ ، مصفيات : منحرفات للطنن ، الأسـل :  
 الرماح ، متمطرات : تخرج عن الجماعة لسرعتها ، تلطمهن بالخر :  
 يضربن الخيل بنحرهن لردّها .

وقال الله قد يسرته جنودا  
 هم الانصار عرضتها اللقاء  
 لنا في كل يوم من بعد  
 قتال أو سباب أو هجاء  
 فنسبحكم بالقواني من هجانا  
 ونضرب حين تختلط الدماء

(هـ) وصف الممارك والسلاج وبلاء المجاهدين : لم تكن الممارك  
 التي خاضها المسلمون - خاصة في الفتوحات على نفس المستوى المحدود  
 البسيط الذي كانت عليه معارك الجاهلية ، وإنما تنوعت الأسلحة  
 وكثرت العدد والآلات ، ومع ذلك ظل المقاتل المسلم على فروسيته  
 وشجاعته وإقدامه ، فما أروعته كثرة الجيوش ، ولا أفزعته الأسلحة  
 التي لم يعدها ، وظل الشقر على عهده في متابعة الأحداث ، فوصف  
 الممارك بدقة متناهية وذكر الأسلحة لدى الأعداء ، ولدى المسلمين ،  
 وتجهيزاتهم ، بدءا من معارك الإسلام الأولى إلى الفتوحات ، وحتى  
 فتنه عثمان ، يقول كعب بن مالك رداً على هبيرة بن وهب (١) :

نجد لا تبقى علينا قبيلة  
 من الناس إلا أن يهابوا ويفظعوا

---

(١) دراسات في أدب ونصوص العصر الإسلامي : ص ١٩٢

وفينا رسول الله نلتج أمره  
 إذا قال فينا القول ، لا تتطلع  
 نشاوره فيما نريد ، وتصرفنا  
 إذا ما اشتهى أنا نطيع ونسمع  
 وقال رسول الله لما بدوا لنا :  
 ذروا عنكم هول المفيات وإطعموا  
 وكونوا كمن يشرى الحياة تقربا (١)  
 إلى ملك يحيا لديه ويرجع  
 فسرنا إليهم جهرة في رحا لهم  
 ضحايا ، عايضا البيض لا تنخشع  
 بالمومة فيها السُّنُور والقنا  
 إذا ضربوا أقدامها لا تورع  
 فجئنا إلى موج من البحر وسطه  
 أسابيش منهم حاسر ومقنع

---

(١) يشرى : يبيع ، ضحايا : أضحية ضحى ، للبيض : بفتح الباء :  
 السيوف ، وبكسرهما : الخوذ ، تنخشع : تضعف ، ملدومة : كتيبة ،  
 السنور : لباس كالدرع ، تورع : تكف . أسابيش : نسبة إلى جبل  
 حبشى ، وهم القورشيون ، أهية : أشراف عتادرن .



ثلاثة آلاف ونمى نصية  
 ثلاث مشين إن كثرنا وأربع (١)  
 نفاورهم ، تهرى المنية بيننا  
 نشارهم حوض المغايا ونشرج  
 تهادى قسى النبع فينا وفيهم  
 وما هو إلا اليربى المقطع  
 وخيل تراها بالفضاء كأنها  
 جراد حبا في قرة يتربع  
 فلما تلاقينا ودارت بنا الرحى  
 وليس لأمر حبه الله مدفع  
 حمر بنهم حتى تركنا سرائهم  
 كأنهم بالافاع خشب مصرج  
 وراحوا سراعاً موجفين كأنهم  
 جهام هراقت ماءه الريح مقلع  
 ورحلنا وأخرنا بطاء كأننا  
 أسود على لحم بديشة ظلع

(١) نفاورهم : تغير عليهم ، نشارهم : نشارهم ، النبع : شجر  
 تصنع منه القسي . اليربى : أوتار من يثرب ، حبا : ربح شرقية باردة .  
 قرة : برد ، يتراج : يحمى ، يذهب ، مصرج : مطررج على الأرض ،  
 موجفين : مسرعين ، جهام : هراقت : أفرغت . بيشة :  
 هوضع . ظلع : ثميل الخطر .

ونحن أناس لا نرى القتل سبة  
 على كل من يحمي الزمار ويمسح  
 شددنا بحول الله واليهصر شدة  
 عليكم ، وأطراف الأسنة شرع  
 عمدنا إلى أهل اللواء ، ومن يطر  
 يذكر اللواء فهو في الحمد أسرع  
 فحانوا وقد أعطوا يدا وأخذوا (١)  
 أبي الله إلا أمره ، وهو أصنع  
 وفي آياته التالية ، يضيف دكعب ، إلى ما عرف من أسلحة مادية  
 ملاحا مغفويا جديدا أمد به الإسلام رجالاته ، هو سلاح التقوى ،  
 حين يبيع الجهاد نفسه إلى ربه كي ينصر دين الله ، يقول في موقعة  
 الخندق (٢) :

دربوا يضرب المغلين فأسلوا  
 مبهجات أنفسهم لرب المشرق  
 في عصبية نصر الإله نبيه  
 ٣٢ ، وكان يعبد ذامرفق

- 
- (١) حانوا : ماتوا وهي من الحين ، أعطوا يدا : استسلموا .  
 (٢) شعر عصر صدر الإسلام : ص ٦٠ ، دربوا : من التدريب  
 المعلمين : المتمرزين . سابعة : دروع كاملة . النهي الغدير . المترق :  
 الراثق السيلان .

في كل سابعة تدخل فصولها  
 كأنه هبت ريحه المتفرق  
 نصل السيوف إذا قصرن بخطونا  
 قدما ولاحقها إذا لم تلحق  
 فترى الجاهل ضاحيا هاما (١)  
 بلته الأكف كأنها لم تخلق  
 و"نعد" الأعداء كل مقاص  
 ورد ، ومجول القوائم أبقى  
 تردى بفرسان كأن كاتم  
 همد الهياج أسود طل ملشق  
 أسر الإله يربطها لعدوه  
 في الحرب ، إن الله خير موفق  
 لتذكرن غيظا للعدو وحبيطا  
 للدار ، إن دلفت خيول النزع

---

(١) ضاحيا : واضحاً ظاهراً . بله : وكذلك ، مقاص : جواد طويل  
 القوائم . ورد : أشقر . مجول : في قوائمه بياض . تردى : أسرع .  
 ملشق : زلق وطين من الطل .  
 ميطا : حامية وإحاطة .

ويهيئنا الله العزيز بقوة  
منه ، وصدق الصديق جماعة نلتقي  
ونطيع أمر نبيها ونطيعه  
وإذا دعا لكرامة ، لم نسحق  
وفي يوم القيامة — إحدى معارك الردة — على عهد دأبى بكر  
الصديق ، يصف دضرار بن الأذور ، لقاء المسلمين باتباع سجاج  
بنه الحارث ومسيحة الكذاب : (١)

ولو سألت عما جهوب لاخبرت  
عشية سالت عشريناء وملهم  
وسال بفروع الواد حتى ترقرقت  
حجارته فوها من القوم الدم  
عشية لا تنفى الرياح مكانها  
ولا النيل ، إلا المشرق المصمم  
فإن تبتغى الكفار خير مليمة  
جنوب ، فإنى تابع الدين مسلم  
أجاهد إذ كان الجهاد قضية  
ولله بالمرء المجاهد أهل

---

(١) نظرات في الشعر الاسلامي والاموي : ص ٤٤

ولم يفت الشاعر المسلم أن يشير إلى الفيلة التي يقذفها الفرس أمام  
الجيش فتفزع الخيول ، في القادسية خضر هند كبير من الشعراء  
ومنهج ربيعة بن مقروم الضبي : (١) الذي ذكر الجاحظ أبياته عن  
الفيل في كتاب الحيوان ، يقول :

ودعوا نزال فكنت أول نازل

وعلام أركبه إذا لم أنزل

ودخلت أبهة الملوك عليهم

ولشر قول المرء ما لم يفعل

وشهدت معركة الفيول وحوطها

أبناء فارس يهيمها كالأعبل (٢)

متسربلي حلق الحديد كأنهم

جرب مقارفة هنية مهمل

وفي نفس المعركة — القادسية — لا يكتفي الشاعر قيس بن

المكشوح المرادي ، الذي قتل « رستم » قائد الفرس ، لا يكتفي بوصف

المعركة وإنما يبدأ من أول الرحلة (٣) :

(١) المرجع السابق : ص ٥٨ — كذلك : العصر الإسلامي : ص ٦٤

(٢) البيهقي : الخوذ ، الأعبل : حوض أبيهض ، جرب : إبل مصابة

بالجرب ، مقارفة : مريضة بالقرص ، وهو داء يقتل الإبل ، هنية :

طلاء للجرب ، مهمل : الذي يهمل الإبل .

(٣) العصر الإسلامي : ص ٦٣ . تردى : تسرع .

جلبت الخيل من صنعاء تردى  
 بكل مدحج كاليت مسامى  
 إلى وادى القرى فديار كلب  
 إلى اليرموك فالبلد الشامى  
 وجئنا القادسية بعد شهر  
 مسومة ، دوابرها دوامى (١)  
 ففاهضنا هنالك جمع كسرى  
 وأبناء المرازبة الكرام  
 فلما أن رأيت الخيل جالت  
 قصدت لموقف الملك الهمام  
 فأخرب رأسه فموى صريعاً  
 بسيف لا أفل ولا كهام

٦ — الإقدام على الجهاد والفرج بالشهادة : لم يسكنى حرص

المسلمين على التسابق للجهاد والاشتراك فى كل المعارك دافعه تحقيق  
 النصر على الأعداء فحسب ، وإنما لاحت أمامهم أهداف عدة ، جميعها

(١) مسومة : بها علامة ، دوابر : عراقيب ، دوامى : ماطخة

بالدم ، المرازبة : رؤساء الفرس ، أفل ، مثل ، كهام : كليل .

تتصف بالسمو والهبالة ، فنشر دين الله ، والإطاحة بعروش الكفر  
والهرك ، هي الغاية القصوى ، ولتسليما يسمى الجهاد إلى النصر ،  
لا يمنعه من ذلك حرص على الحياة ، لأن من غاياته أيضا الفوز  
بالشهادة ، وهل أعل مقاماً من جنة الخلد يقيم بها الشهداء أحياء عند  
ربهم يرزقون ، من هنا كان تراهم على الذهاب للمعركة ، وألم من  
تحمته حوائل عن الاشتراك ، ومن هنا كان فرحهم بالشهادة وطابعهم  
إياها ، وكان رضاهم بكل ما يلاقون في الميدان من أعدائهم ، أرسل  
النبي ﷺ وفدا لبعض القبائل ليقدمهم في الدين ، لكنهم غدروا  
بالوفد ، وأعدوا لهلب رئيسه وهو : دخيل بن عدى ، فقال : (١)

إلى الله أشكو فديتي ثم كربي

وما أُرصد الأحراب لي عهد، صرعى

فدا العرش صبرتي هلى ما يراد بى

فقد بضغوا حتى وقد ياس مطمعى

وقد خيرنى الكفر ، والموت دونه

وقد هملت عيناى من غير مجرع

فوالله ما أرجو إذا مت مسلما

على أى جنب كان فى الله مصرعى

---

(١) الأدب في عصر النبوة والراشدين ص ٣٤٠

واسعى بمجد للعدو تنفضها  
ولا يهزعا ، إني إلى الله مرجعى

واستمع إلى « بشر بن ربيعة الخثعمي » يهجو قسابق المجاهدين ،  
وقد تمنوا لو أن لهم أجنحة فيطربون إلى الميدان (١) :

تذكر - هداك الله - وقع سيوفنا  
بباب قديس ، والمكتو عسير  
عشية ود القوم لو أن بعضهم  
يعار جناحى طائر فيهاير  
إذا ما فرغنا من قراع كتيبة  
دلفنا لأخوى كالجبال تسير

ويشبهه « البزيق بن عياض الطنلى » نفسه بالجدي الكبير المربوط  
في موضعه لا حيلة له ، وكان كبر سنه قد منعه من مرافقة أبنائه إلى  
الميدان (٢) :

- 
- (١) المعصر الإسلامى ص ٦٣  
(٢) السابق ص ٥٦ . أملاخ : اسم مكان ، اليمر : الجدي الكبير ،  
خلافهم : بعدهم . العتر : شجر له أوراق صغيرة .



أسائل عنهم كلما جاء راكب  
مقيما بأملاج كما ربط اليعر  
فما كنت أخشى أن أقيم خلافهم  
بسته أيسات كما نبت العتر

ومن أعجب ما حدث في موقعة القادسية سنة ١٠٠ هـ ، كان  
شرايا للخمر حتى أقيم عليه الخلد مرات ، ثم حبسه سعد بن أبي وقاص ،  
بأمر الخليفة ، وعمر بن الخطاب ، وشابت معركة القادسية فاشتعل حماسا  
وهو الفارس المقدام ، ورجا وسعدا ، أن يطلقه ليسهم في شرف  
الجهاد ، لكنه أبى ، فأتجه لروجة «سعد» وتبنى أن يطلقه يوما وتعيده  
فرسا تسمى البلقاء ولما عهد أن يرجع في الفجر فبيد لقيده ، فأبى ،  
واسدعها بأبيات حريفة تعبر عن ندمه ورغبته في التوبة : (١)

كفى حردا أن تتردى الخيل بالقفا  
وأترك مشدودا على وثاقها  
حينيسا عن الحرب الغوان وقد بدت  
وأعمال غيري يوم ذاك العواليا  
ولله عهد ، لا أخيس بعهد  
لئن فرجت ، أن لا أزور الحوانيا

---

(١) نظرات في الشعر الإسلامي والأدب : ص ٥٦

فرأيت له زوجة دسعد ، وأطلقته ، فحمل على الأعداء ببسالة  
أدمشت المحاربين حتى ظنوه مأسكا ، وقال دسعد ، دالطن طعن أبي عجين  
والعدو عدو البلقاء ، ولولا عجين أبي عجين لقلت : هذا أبو عجين  
وهذه البلقاء . وانتهى القتال في منتصف الليل فعاد لقميده وهو  
يقول : (١)

لقد علمت ثقيف غير خفر  
بأنا نحن أكرمهم سيوفا  
وأنا رفدكم في كل يوم  
فإن جحدرا فصل بهم عربفا  
وليلة قارس لم يشعروا بي  
ولم أكره لخرجي الزحوفا  
فإن أحبس فقد عرفوا بلائي  
وإن أطلق أجزعهم حنوفا

و دعبد الله بن رواحة ، أحد فرسان الشعر الثلاثة في المدينة  
يتجهز لغزوة مؤتة ، ويدعو له مودعوه بالعودة سالما فيرد :

---

(١) نظرات في الشعر الإسلامي والاموي : ص ٥٦

لكنني أسأل الرحمن مغفرة  
 وضربة ذات فرغ تقذف الوبدا (١)  
 أو طعنة بيدي حران ممهزة  
 بحربة تنفذ الأحشاء والكبد  
 حتى يقال إذا مروا على جدتي  
 يا أرشد الله من غاز وقد رشدا  
 ويستغفره أمل المهادة ، فيهدد فرسه بالراحة من الأسفار ،  
 فقه هزم على الرحلة الأخيرة إلى جنة الرضوان :  
 إذا أدبني وحلت رحلي  
 مسيرة أربع بعد الحساء  
 فشأنك أنعم وخلاك ذم  
 ولا أرجع إلى أهل ورائي  
 وجاء المسلمون وغادروني  
 بأرض الشام مشتى الشتاء  
 وفي المعركة استشهد حامل اللواء — د زيد بن حارثة ، —  
 (١) شعر صدر صدر الإسلام : ص ٦٩ . ذات فرغ : واسعة عميقة .  
 الوبد : الرغبة ، وهو يقصد دمه .

فعله « جعفر بن أبي طالب » ، واستشهد فحمله « عبد الله بن رواحة »  
وانطلق يردد وهو يرى بعينيه قلبه منازل الشهداء في الجنة :

أقسمت يا نفس لتنزله  
لتنزله أو لتسكر منه  
قد طال ما قد كنت مطمئنه  
جعفر ما أطيب ريح الجنة

ويستجيب الله لرغبة القلب المؤمن التقى ، ويفوز بالشهادة ، لقد  
كان عدد الروم ضعف عدد المسلمين في ذلك اليوم خمسين مرة .

٧ — الفخر بتأييد الدين والانتماء لدعوة الإسلام : رغم أن  
الفخر غرض شهري قديم ، لم يستحدثه الشعراء المسلمون ، إلا أن  
الإسلام قد أضفى عليه من السمات ما أكسبه جده ، فجعله يخالف الفخر  
الجاهلي كل المخالفة ، لقد صار الزهو إعلام كلمة الله ، وموضع  
الفخر هو الذود عن الإسلام ، ونشر التعالي والاعتداد يمكن في طاعة  
الرسول والاعتداد به ومناصرة ، ثم يأتي الفخر بالانتماء في القتال  
على أعداء الله ، ولم تغل بعض مواقف الفخر من ذكر الكباء والاجداد ،  
ولكنه يختلف عن ذكر الجاهلية ، إنه لا يفخر بهم من حيث الأصل  
والحتم والحسب والنسب ، وإنما بسبب أعمال بطولية كتأصرة الله  
ورسوله وحفظ الدين وحسن البلاء في الحرب . وأول ما كان من فخر

لإسلامي كان وهو الأنصار بما قدموا من حماية للدين ، ولإيواء  
للمهاجرين ، وتأيد ونصر للنبي الكريم ، يقول حسان (١) :

منعنا بها خير البرية كلها  
إماما ووقرنا الكتاب المنزل  
نصرنا وآوينا وقوم ضربنا  
له - بالسيوف ، ميل من كان أميلا  
فإن يأتنا أو يلقنا عن هجامة  
يجدد عندنا مشوى كريما وموزلا

وما أكثر تفاخر حسان - وحق له الفخر - أليس من الأنصار ،  
أليس شاعر الرسول ؟ يقول تياها (٢) :

قومي الذين هم آوا نبيهم  
وصدقوه ، وأهل الأرض كفار  
إلا خصائص أقوام مهم سلف  
للمسلمين مع الأنصار أنصار  
مستبشرين بقسم الله ، قولهم  
لما أناهم كريم الأصل مختار

(٢) الديوان ص ٣٨٨

(١) ديوان حسان ص ٢٧٦

أهلاً وسهلاً ، ففى أمن وفق سعة  
 نعم النبى ونعم القسم والجار  
 فأنولوه بدار لا يخاف بها  
 من كلف جارهم ، دارا هى الدار  
 وقاسموه بها الاموال إذ قدموا  
 مهاجرين ، وقسم الجاحد النار

ثم يأتى الفخر بالشجاعة والانتصار ؛ فى دنهاوند ، يتباهى  
 « هرو بن زيد الحليل الطائي » ويتمنى لو رآته زوجه باسملا شجاعا  
 غير هيباب رغم قوة المدو وبأسه (١):

الأطرت رحلى ، وقد نام صحبتي  
 بإيوان شيرين المازخرف ، خلتي  
 ولو شهدت يومى (جلولاء) حربنا  
 ويوم نهارد الممول استهات  
 إذن لرات ضرب اسرى غير خامل  
 يجد بطعن أروج غير مصلت

---

(١) الأدب فى عصر النبوة والراشدين ص ٣١١

ولما دعوا : يا عروة بن مهران  
 ضربت جموع الفرس حتى تولت  
 وكم من عدو أشوس متمرد  
 عليه بجبلى — فى الهياج — أطأت  
 وكم كربة فرجتها وكريمة  
 شددت لها أزرى إلى أن تولت  
 وكم فى سجل البطولة الإسلامية من مجال للفخر والازدهاء ، فى  
 « طاووس » — بأطراف فارس — يتعالى البطل ياخوانه الأبطال ،  
 ويصفق الشعر للبسالة يقول د خلود بن منذر ، (١) :  
 بطاوس ناهبنا الملوك وخيلنا  
 عشية شمرلك هلون الرواسيا  
 أطاحت جموع الفرس من رأس حائق  
 تراه كوار السحاب مناغيا  
 فلا يبعدن الله قوما تماهوا  
 فقد خضعوا يوم اللقاء العواليا  
 وفى ( واج روذ ) يهمنان ، ينكل المسلمون بقائد الفرس ( موتا )

---

(١) المرجع نفسه ص ٣٠٧

ويتمزج الفخر بالنفس مع الفخر بالجماعة في شعر د نعيم بن مقرن، (١) :  
 ولما أمانا أن موتا ورهطه  
 بنى بأسل ، جرّوا جنود الأماجم  
 نهضنا إليهم بالحديد كأنما  
 جهال تراءت من فروع الغلاسم  
 صدمناهم في « واج روذ » بهمعنا  
 غداة رميناهم بأحدى العظام  
 فما صبروا في حومة الموت ساعة  
 لحدة الرماح والسيوف الصوارم  
 أصبنا بها موتا ومن لف جمعه  
 وفيها نهاب قسمة غير حاتم  
 تبعناهم حتى أروا في شعابهم  
 نقتلهم قتل الكلاب الجواحم  
 ولا ضيق من الفخر بالتميلة ، والاعتزاز بالأصل ، وذكر الماضي  
 التليد ، ما دام الحاضر مشرفا ، وما دام جمال الفخر يتجودا ، ومناط  
 الزهر جهادا في سبيل الله (٢) يقول نافع بن الأسود بن قلبية التميمي ،  
 يفخر بهلاله في القادسية ويتميم :

(١) المرجع السابق : ص ٣٠٨

(٢) نفس المرجع : ص ٣٠٥/٣٩٤



وقال القضاة من معد وغيرها  
 تميمك أكفاء الملوكة الأعظم  
 هم أهل عز ثابت وأرومة  
 وهم من معدة في الذرا والغلاصم  
 وهم يضمون المال للجار ما نوى  
 وهم يطعمون القدر ضربة لازم  
 وحين أتى الإسلام كانوا أئمة  
 وبادوا معدا كلها بالجرائم  
 إلى هجرة كانت صفاء ورفعة  
 لباقية فيهم وخير مراغم  
 فجاءت بهم ضمن للكتائب نصرة  
 فكانوا حماة الناس عند العظام  
 فصفوا لأهل الشرك ثم تكبروا  
 وطاروا طيهم بالسيف والصوارم

(٨) الرثاء : والرثاء أيضا غرض قديم اكتسب في ظلال  
 الإسلام ملامح جديدة ، وأدبه الشعراء المسلمون بروح متألفة ،  
 حوّلته إلى لون جديد عزيز ، مبدع مفعزة للشعر العربي في تاريخه  
 الحافل العريق .

ولم تقتصر الإضافات الإسلامية في شعر الرثاء على اللغة والأسلوب  
أو على المعاني والأفكار ، لقد شملت هــ ذين المجالين ثم تجاوزتهما  
إلى المنطلق — أو نقطة البدء — الذي يصدر عنه الشاعر في رثائه ،  
لم يعد الجرع المهلك ، والاسم المستبعد ، بل صار الصبر الجميل  
والاحتساب عند الله ، تحول الموت من فناء وانقراض إلى مرحلة  
انتقال ، أصبح وسيلة لجوار إله كريم ، والوصول إلى جنة الخلد  
ونعيم المغفرة .

وبعد أن كان القتل في الحرب عارا لا بد من الشار فيه للقتيل ،  
أصبح استشهادا في سبيل الله يتسابق للفوز به جميع المجاهدين ، وكان  
اللابد لشعر الرثاء أن يتغير في العهد الإسلامي ليستوعب تلك المعاني  
السامية الرفيعة ، ومن هنا يمكن أن نعد الرثاء غرضاً جديداً .

رثاء الرسول ﷺ : في تصوري أن وفاة الرسول الكريم  
كانت حدثاً جللاً ، هز قلوب المسلمين وعقولهم ، كانت اختصاراً هسهرا  
وقفوا أمامه حيارى جزعين ، ولعل البعض ظل واقفا تحت تأثير  
الهلول أياما وشهورا ، ولذلك أصبح التعبير عن وقع الحدث في النفس  
صعبا ، وتصوير تأثيره على الوجدان شاقا ، وهكذا يمكن لنا تفسير  
قلة قصائد الرثاء التي صيغت بعد وفاته عليه السلام ، أو ضعف  
مستواها الفني ، ومع ذلك فهناك عدد منها على مستوى جيد .  
يقول حسبان (١) :

(١) الديوان : ص ٢٠٧

آليت حلقة بر غير ذى دشل  
 فى آلية بر غير إفتاد  
 بالله ما حملت أنشى ولا وضعت  
 مثل النبى رسول الرحمة الهادى  
 ولا مشى فوق ظهر الأرض من أحد  
 أو فى بزمة جار أو بهيماد  
 من الذى كان نورا يستضاء به  
 مبارك الأمر ذا حزم وإرشاد  
 مصداقا للمجهين الآلى سلفوا  
 وأبذل الناس الدهووف للجادى  
 خير البرية لآنى كنت فى نهر  
 سجار ، فأصبحت مثل المفرد العادى  
 وفى دداليتة ، الشافية يبدو حسان جازا هالعا ، قد حار لبه  
 وأوشك أن يغيب رشفه ، وأظنهما من أوائل ما قاله فى رثائه عليه السلام (١) :  
 جنبى يقيقك الترب ، لحنى ، ليتنى  
 غيبت قبلك فى بقيق الفرقد

---

(١) الديوان ص ٢٠٨ ، غرقد : شجر صحراوى ذكى الرائحة

أقيم بعدك في المدينة بينهم  
يا لطف نفسي ليتنى لم أولد  
بأبي وأمي من شهدت وفاته  
في يوم الاثنين ، النبي المهدى  
ففظلت بعد وفاته متلذذا  
يا ليتنى أصبحت سم الأسود  
أو حل أمر الله فينا حاجلا  
في راحة من يومنا أو في غد  
فتمرم ساعتها فملقى طويلاً  
عضاً ضرائفه كريم المختد  
فور أضواء على البرية كلها  
من يُهد للنور المبارك يهد  
صلى الإله ومن يحف بعرشه  
والطيبون على المبارك أحمد

وله أبيات أخرى «رائية» وقصيدة «لامية» ، وأظننا لو تتبعنا  
كل شعره واجدين الكثير ، ولكن تكشفنا بعض الأمثلة .

وثناء الشهداء : حين استشهد حمزة بن عبد المطلب - عم الرسول

• وكان ذلك بمؤامرة غادرة من همد بنت هبة ، وناه عدد كبير من شقراء المساهين ، فقد كان رضوان الله عليه حصناً للدين ، وسنداً للعبى ، وقوة للمسلمين ، كان كما سماه رسول الله : أسد الله ، ولذا عظمت الكارثة بفقدته واشتد الحزن ، إلا أن الروح المؤمنة ظلت هى الطابع المسيطر على ذلك الرثاء ، تقول أخته — صفية بنت عبد المطلب (١) :

دعاه إله الحق ذو العرش دعة  
إلى جنة يهيا بها وسرور  
فذلك ما كنا نرجى ونرتقى  
لحزة يوم الخمر حين مصير  
فوالله لا أنساك ما هبت الصبا  
بكاء وحزنا محضرى ومسرى  
على أسد الله الذى كان مدرها  
يزود عن الإسلام كل كفور  
• ويقول دكعب بن مالك ، فى رثاء وحزة ، (٢) :  
أصيب المسلمون به جميعا  
هناك وقد أصيب به الرسول

(١) الأدب فى عصر النبوة والراشدين ص ٢٦٢

(٢) المرجع نفسه ص ٢٦٢ ، ٢٦٤

عليك سلام ربك في جنات  
مخالطها نعيم لا يزول

• وفي غزوة مؤتة استشهد عدد كبير من المجاهدين ، منهم ربه الله  
ابن رواحة وجعفر بن أبي طالب وزيد بن حارثة ، فرثاهم كغيب  
ابن مالك (١) :

نام العيون ودمع عينك يهمل  
سحاكاً وكف الطيبات المفضل  
في ليلة وردت على مهموما  
طورا أحسن وتارة أتمل  
وكأنما بين الجراح والجشعا  
بما تأوذي شباب مدخل  
وجدوا على النفر الذين تتابعوا  
يوما بمؤتة أسندوا لم يقلوا  
صلى الإله عليهم من فتية  
وسقى عظامهم الغمام المسبل

(١) الأدب في عصر النبوة والراشدين ص ٤٦٢

ولا ريب أن عظم المصائب في الشهداء ، حفز على رثاء الكثيرين  
 لهم ، لقد نظم حسان أكثر من قصيدة يرثيهم بها ، منها (١) :  
 تلويني ليل يثرب أعسر  
 وهم إذا ما نوم القوم مسر  
 لذكرى حبيب هيبت لي حبرة  
 سفوحا ، وأسباب البكاء التذكر  
 بلاء وفقدان الحبيب بلية  
 وكم من كريم يبتلى ثم يصبر  
 رأيت خيام المؤمنين تواردوا  
 شحوباً ، وقد خلعت فيهن يؤخر

غداة غدوا بالمؤمنين يقودهم  
 إلى الموت ميمون النقيبة أزهـر  
 أغر كنصل السيف من آل هاشم  
 أبي إذا سيم الظلّامة يجسر  
 فصار مع المستشهدين ثوابه  
 جنان وملئت الحدائق أخضر

---

(١) الديوان ص ٢٢٣ ، شحوب : بفتح الشين : المنية .

وفي الغزوات المتلاحقة ، عبر الفتوح الإسلامية ، يسقط شهيداه  
بهمولون ، فيدثيم الشعر ، في معركة جوزجان ببلاد فارس يذكر  
دا بن الغريزة النهشلي ، شهيداه المسلمين (١) :

سقى مزن السحاب إذا استهلت  
مصاريع فتية بالجوزجان  
وما بي أن أكون جرعت إلا  
حنين القلب للبرق الباني  
ورب أخ أصاب الموت قبلي  
بكيت ، ولو نعت له بكاني  
دعاني دعوة والحيل تردى  
فأ أدري : أباسمى أم كناني

وأحياناً يرى الشاعر نفسه ، أو بعض نفسه ، لأنه قد يصاب  
في إحدى المعارك ، فيقتل عضواً من جسمه ، وبشكل إيمان وتقوى يستقبل  
الامر في رضى ، ويحتسب ما ضاع منه عند الله ، يراه تضحية هينة  
في سبيل نصرته الدين ، وإعلاء كلمة التوحيد ، دعيد الله بن سبرة  
الطليحي ، وقد قطعت يده في معركة بارز فيها قائد الروم (٢) :

- 
- (١) نظرات في الشعر الإسلامي والأموي : ص ٦٢  
(٢) الأدب في عصر النبوة والراشدين ص ٣١٨ وأم جابر : كنه



ويل د أم جار ، غداة الروع فارقتي  
 أهرن هلى به إذ بان فانقطعا  
 ينفى يدي فذبت منى مفارقة  
 لم أستطع يوم «فطاس» لها تبعا  
 وما ضللت عليها أن أصاحبها  
 وقد حرصت على أن نستريح معا  
 وقائل غاب عن شأني وقائلة  
 هلا اجتنبت عدو الله إذ صرعا  
 وكيف أتركه يسمى بمنصه  
 نهوى وأعجز عنه بمد ما صنعا  
 ما كان ذلك يوم الروع من خلقى  
 ولو تقارب منى الموت فاكتمنا

يمشى إلى مستميت مثله بطل  
 حتى إذا أمسكنا سيفها قطعا  
 ألن يكن دأرطبون ، الروم قطعا  
 فإن فيها بسعد الله منتفعا

بثنتين وجرموزا أقيم به (١)

صدر القناة إذا ما آنسوا فزعا

٩ — الحنين والاعتراب : رقد نشأ في رحاب الفتح فرض  
شعري جديد ، هو الحنين إلى الأهل والوطن ، والإحساس  
بالغربة في البلاد التي سافروا إليها لفتحها ، أو التي أقاموا فيها بعد  
الفتح ليسوا قواعد الدين . ويمحو ذمارة ، وقد يكون الحنين من  
الأهل المقيمين في الوطن إلى ذويهم وأهناهم الذين سافروا للجهاد  
والغزو ، وكلاهما وجهان للحنين الذي كابده العرب لأول مرة ، فالعربي  
لم يتعود الاسفار البعيدة ، وحق التجار الذين كانوا يسافرون للطلب  
البضائع ، كانت رحلاتهم معروفة مألوفة إلى مشارف الشام واليمن ،  
أما في الفتح فقد شرقوا وغربوا وأيمنوا وأيسروا ، رحلوا إلى  
أقصى الأرض في كل اتجاه ، وربما قيل إن بكاء الاطلال كان لونا  
من الحنين إلى الديار بسبب الرحلة بحثا عن الماء والكلأ ، لكن الأمر  
جد مختلف ، فنقل العربي داخل الجزيرة لا يشبه تنقله إلى بيئات  
شديدة الاختلاف والتباين ، وتفصلها عن وطنه آلاف الفراسخ ،  
وعند من البحار والأنهار .

كذا فإن بكاء الاطلال لم يلبث أن تحول إلى تقليد متكاف ، يخلو

(١) أم جار : الكف ، فلتاس : مكان الموقعة ، اكتنما : دنا  
وأحاط ، أرطبون : قائد الروم ، جرموز : طرف .

من الصدق ، وبفتقد للتجربة المعاناة ، بينما يصدر حنين الشاعر  
الإسلامي من غربة حقيقية ، وإحساس بالبعد المكاني والزمني .  
استمع إلى هذا الشاعر يستبد به الحنين فيتميل الحيام والمراجع ،  
ويدقق النظر ، وهو يعلم - يقينا - أن الرؤية مستحيلة ، لبعده المعافة  
وكثرة الجواجز ، ولكنه ينظر حساسا بهذا (١) :

أكرر طرفي نحو نجد وإنني  
برغبي وإن لم يدرك الطرف أنظر  
حنينا إلى أرض كأي ترابها  
إذا أمطرت عود ومسك وعنبر  
بلاد كأن الأفقوان بروضه  
ونور الأفاقي وشئ برد يحبر  
أحن إلى أرض الجواز وحاجتي  
خيام بنجد ، دونها الطرف يقصر  
وما نظري من نحو نجد بنافع  
أجل لا ، ولكني إلى ذاك أنظر  
أفي كل يوم نظرة ثم عبدة  
لعيذك مجرى ماها يتحدر

---

(١) الأدب في عصر النبوة والراشدين : ص ٣١٣ ، لم يذكر اسم الشاعر

متى يستريح القلب : إما مجاوز  
الحرب ، وإما نازح يتذكر  
وتهيج ذكرى الحبيبة دموع شاعر آخر ، وقد يثنى من اللقاء ،  
فيستروح الذنوب من ناحية الديار ، ويشكو غربة الروح بين قوم  
لا يفهمون هذه ولا هو يفهمهم (١) :  
أتبسكى هلى نجد وريتا ولن ترى  
بقيضيك ريا ما حبيت ولا نهجدا  
ولا مشرفا ما عمت أقفار وجرة  
ولا واطئا من ترجمن ترى جقدا  
ولا واجدا ربح الخواى تسوقها  
رياح الصبا تملو دكاكك أو وهذا  
تبدلت من ريا وجارات يديها  
قرى ببطيات يسميني مردها  
ألا أيها البرق الذى بات يرتقى  
ويجولو دجى الظلماء ، ذكرنى نهجدا

---

(١) المرجع السابق والصفحة .

وفي هذا المجال أيضا يبرز حنين آخر هو حنين الآباء والأهل في الوطن لأبنائهم وذويهم الغزاة ، إن الخليل السعدي يشترك ولده شيبان الذي خرج مع الجيش إلى فارس ويتذكر طفولته وحده به عليه لكي يهرك مشاعره (١):

أيها لحنى شيبان في كل ليلة  
لقلبي من خوف الفراق وجيب  
أشيبان ما أدراك أن رب ليلة  
خيمتك فيهما والغفوق حبيب  
فإن يك مضمضى أصبح اليوم زاويا  
وغصنك من ماء الشهاب رطيب  
فإنى حنت ظهري خطوب تنابعت  
فشيى ضعيف في الرجال ديب  
وكذلك دأمية بن الأسكر ، ، يحن إلى ابنة د كلاب ، الذي  
وحل غازيا (٢):

أعاذل قد عدلت بغير قدر  
ولا تدوين عاذل ما ألقى

---

(١) نظرات في الشعر الإسلامي والأدوى ص ٤٨

(٢) تاريخ الشعر العربي ج ١ ص ٨٢

فاما كنت عاذلى فردى  
 ، كلابا ، لى توجه للهراق  
 فى الفتى انى هسر ويسر  
 شديد الركن فى يوم التلاقى  
 فلا والله ما باليت وجهى  
 ولا شفقى عليك ولا اشتياقى  
 وإبقاى عليك إذا شدةونا  
 وضحك تحت نحرى واعتناقى

ومن الحزين كذلك ما لم تفصح عنه الزوجة حياء وتعففا ، ولكن  
 الزوج أشار إليه ، الفافزة الجمعدى يقول لزوجته (١) :  
 باتت تذكركى بالله قاعدة  
 والدمع ينهل من شأنيهما سبلا  
 يا بنت عمى كتاب الله أخرجنى  
 كرها ، وهل أمنعن الله ما فعلا  
 ما كنت أعرج أو أعصى فيمذونى  
 أو ضارعا من ضنى لم يستطع حولا

---

(٢) الشعر والشعراء ١٧٩

(١٠) وصف البلاد الجديدة : ومن الأغراض الجديدة في الشعر

الإسلامي ما نطرق إليه الشعراء من وصف البلاد التي رأوها  
في غزواتهم ، سواء من حيث طبيعتها أو مبانيها ومناظرها . فهذا  
« زياد بن سفيانة » يصف الحوير والحصيرة في الشام (١) :

وأقلت إليه الشام أفلاذ بطنها

وعيشا خصيبا ما تملد ما كلة

أباح لنا ما بين شرق ومغرب

مواريث أعتاب بطنها قرامله

وكم مثقل لم يضطالع باحتماله

تحمل عينا عين شالت شوائله

لكن دافع بن الأسود بن قطبة « يفضل ريف الري لطيب

عيشه » (٢) :

رضينا بريف الري والري بلدة

لها زينة من عيشها المنواتر

لها نشد في كل آخر ليلة

تذكر أعراس الملوك الأكار

(١ ، ٢) الأدب في عصر النبوة والاشددين ٣١٤/٣١٥

وتجذب كنانس الروم بعمارها المهيبة وبنائها الضخم وما فيها  
من زخارف فنية تجذب نظر « حارثة بن النضر » (١) :

لله باليرموك قوم طمطأوا

أحساب عاق الروم بالأقدام

فقطعت منهم كنانس زخرفت

بالشمام ذات فسافس ورخام

وفي « مسرور » يرى الشاعر منتظرا طريقا فلا يملك نفسه من التعجب  
عنه في شعره ، إن بردها القارس ، وثالثها الذي يتساقط على أهلها قد  
دفعهم للاحتماج بلمباب غايضة ودس أيديهم في جيوبهم فبندوا كالأسرى (٢) :

وأرى بمرور الشاهجان تنكرت

أرض تنابع ثلجها المذرور

إذ لا ترى ذا برة مشهودة

إلا تفضال كأنه مقرر

كلنا يديه لا توأبل ثوبه

كل الشتاء ، كأنه مأسور

(١١) المعاني الإسلامية : كثيرة هي القيم الرفيعة والمعاني

الإسلامية السامية التي جاء بها الدين الحنيف فتأثر بها الشعراء وراحوا  
يصوغونها شعرا ، ولو عرضنا نماذج لسل كل معنى وقيمة ، اطال بنا

(١ ، ٢) المرجع السابق : ص ٣١٥



المقام ، لكن تكفي أمثلة قليلة دالة ، يقول حسان ، في التوحيد  
والجنة (١) :

فأنت إله الخالق ربى وخالق  
بذلك ما سمعت فى الناس أشهد  
تعاليت رب الناس عن قول من دعا  
سواك لهما أنت أعلى وأجود  
لك الخلق والنعمة والأمر كله  
فإياك نستمدى وإياك نعبد  
لأن ثواب الله كل موحد  
جنان من الفردوس فيها يخلد  
وفى التقوى وبر الوالدين يقول « عبدة بن الطبيب » موصيا  
بنيته (٢) :

أوصيكم بتقى الإله فإنه  
يعطى الرغائب من يشاء ويمنع  
ويبر والدكم وطاعة أمره  
لأن الأبر من البنين الأطوع

(١) ديوان حسان : ص ٣٣٨

(٢) الأدب فى عصر النبوة : ص ٢٦٥

وفي التوبة والاستغفار يقول المختل السعدى ، وكان في هجائه  
 للبرقان بن بدر قد تعرض لاستغفاره عليه كذبا (١) :  
 لقد ضل حلقى في ضلالة  
 ساء عتب نفسي بعدها وأتوب  
 وأشهد ، والمستغفر الله أنفى  
 كذبت عليها ، والهجاء كذوب  
 الوفاء بالعهد : كعب بن زهير (٢) :

رحلت إلى قومي لأدهو جالهم  
 إلى أمر حزم أحكمته الجوامع  
 ليوفوا بما كانوا عليه تماقدوا  
 بخيف منى ، والله راء ومسامع  
 سأدعوهم جهدى إلى البر والتقى  
 وأمر العلاء ما شايعتنى الأصابع  
 وانظر إلى أى مدى تغافلتم قيم الإسلام ، حتى يتوب السكيت  
 فادما مستغفرا ، يقول أبو عبيد الله (٣) :

- 
- (١) المرجع السابق : ص ٣٣٨  
 (٢) الأدب في عصر النبوة والراشدين : ص ٢٣١  
 (٣) المرجع السابق : ص ٢٦٦

أتوب إلى الله الرحيم فإنه  
 غفر الذنب المرم ما لم يعاود  
 ولست إلى الصواب يوما بمائد  
 ولا تابع قول السفينة المعاند  
 وكيف وقد أعطيت ربي موافقا  
 أعود لها ؟ والله ذو العرش شاهد

الفرار بدين الله وإياء الضيم : د عبد الله بن الحارث بن قيس  
 بين عدى ، وكان بين المهاجرين للعبشة في أول الدعوة (١) :  
 يا راكبا بلعن عني مغفلة  
 من كان يرجو بلاغ الله والدين  
 كل امرئ من هباد الله مضطهد  
 ببطن مكة مقهور ومفتون  
 إنا وجدنا بلاد الله واسمة  
 تنجى من الدل والخزاة والحزن  
 فلا تقيموا على ذل الحياة ونور  
 في الممات وعيب غير مأمون

(١) نظرات في الشعر الإسلامي والأموي : ص ٣١

إنا تبعنا رسول الله ، وأطرحوا  
قول النبي وقالوا الموازين

وفي الصبر على المسكاره والتوكل على الله نجد مثالا رائعا في شعر  
« عبد الله بن حذف » وكان مع طائفة من المجاهدين لحاصرهم المرتدون  
في « حواري » وأضرهم الجوع فصبروا واحتسبوا (١) :

أبلغ أبا بكر رسولا  
وفتيان المدينة أجمعينا  
فل لكم إلى قوم كرام  
قعود في حواري محضرينا  
كأن دماءهم في كل فيج  
شعاع الشمس يغشى الناظرينا  
توكلنا على الرحمن إنا  
وجدنا الصبر المتوكليتنا

وفي معنى التوكل أيضا والإيمان بالقدر ، وأن الله هو الرزاق  
نجد من شعر كعب بن زهير (٢) :

(١) نظرات في الشعر الإسلامي والاموي : ص ٤٥

(٢) تاريخ الشعر العربي في العصر الإسلامي : ص ٣٧

وأعلم أن متى ما يأتي قدرى  
فليس يحبس شج ولا شفق  
فلا تخاف علينا الفقير وانتظري  
فضل الهى رب الغنى من عنده نثق  
إن يفن ما عندنا فإله يرزقنا  
ومن سوانا ، ولنا نحن نورزق

قول الحق ، ولو أمام الخليفة صاحب السلطان ، لقد فتح الله على  
المسلمين فاستولوا على أرمينية في عهد الخليفة عثمان بن عفان ، فأعطى  
الحبس مروان بن الحكم ، وهو في ذلك يخالف نوح الرسول وخليفته :  
أبي بكر وعمر ، ويعلم صوت الشعر منتقدا مدافعا عن الحق ، يقول  
عبد الرحمن بن الحنبل جليل الجرحى ، للخليفة (١) :

أحلف بالله رب الأنام  
ما ترك الله شيئا عسى  
ولكن خلقت لنا فتنة  
لكي تبلى بك أو تبطل  
فإن الأمتين قد يلبا  
منار طريق عليه الهدى

(١) نظرات في الشعر الإسلامي والأموي : ص ٦٥

فما أخذنا درهما غيلة  
ولا جملا درهما في هوى  
وأعطيت مروان خمس البلاد  
فهيئات سميك من سمى

ويغتيال « عثمان » ، وتمتد الخلافة « لعل » ، — كرم الله وجهه —  
لكن للفتنة أطل بوجهها ، مثلة في معارضة قوية ضد على بقيادة أم المؤمنين  
عائشة وطاحنة والزبير ، وتوزع ولاء المسلمين بين على وعائشة ، وفزع  
الشعر بما يتوقع من صدام مسلح بين الطائفتين ، وما في ذلك من هلاك  
للأمة ودمار للدولة ، يقول « كعب بن جهميل التغلبي » (١) :

أصبحت الأمة في أمر عجب  
والملك بمجموع غدا لمن ظلم  
فقلت قولا صادقا غير كذب  
لأن غدا تملك أعلام العرب

وفي معركة الجمل حيث خرجت أم المؤمنين على رأس الجيش رغم  
أن طاحنة والزبير لم يحضرأ نساءهما فانتقد المسلمون ذلك ، وعبر عن  
رأيهم « جارية بن قدامة السعدي » (٢) :

(١ ، ٢) المرجع السابق ص ٦٦/٦٥

صنتم حلائلكم وقدتم أمكم  
 هذا — لعمرك — قلة الإنصاف  
 أمرت بحجر ذيوطها في بيتها  
 فهوت تشق البيد بالإيجاف  
 غوضا يقاتل دونها أبناؤها  
 بالنبل والخطى والأسياف  
 هتكت بطلحة والزبير ستورها  
 هذا المخبر عنهما والكافي

ويحمل مقاتل من مفسكر « على » رضى الله عنه — مصحفا داعيا  
 للسلام ، إلا أن الجند التابعين لعائشة قتلوه فترثيه أمه وهى تدجب لأن  
 أم المؤمنين ترى جماعتها تغفل فلا ترشدها (١) :

لاهم إلا مسلما دعاهم  
 ينلو كتاب الله لا ينضمهم  
 وأمرهم قائمة ، تراهم  
 يأتهمون الغنى ، لا تنهمهم  
 قد شغبت من علق لحامهم

ولا تمنع المنزلة الرفيعة لأم المؤمنين شاعرا مسلما من تنبيهها إلى

---

(١) المرجع السابق ص ١٨

ما في الحرب من مخاطر على المسلمين فيخاطبها في إجلال (١) :

يا أمنا ، يا خير أم نعلم  
أما ترين كم شجاع يكلم  
وتحتلى هامته والمعصم

وبعد مشاهد أليمة تلتهمى مرقعة الجمل ، لنبدأ وقائع فتنة أخرى  
أقسى وأشدّ هولاً ، إنها حروب « على » رضى الله عنه لجند « معاوية »  
الذى نازعه الخلافة ، ويتفرق المسلمون شيعاً وأحزاباً ، ويلجأ  
« معاوية » إلى الإغراء ، لأنه يطلب من « أيمن بن نعيم » قتال « على »  
مقابل منحه فلسطين ، فيكتب إليه (٢) :

ولست مقاتلاً رجلاً يصلى

على سلطان آخر من قريش

له سلطانه وهلى لى

مماذ الله من سفه وطيش

أقتل مسلماً في غير جرم

فليس بخافى ما عشت عيشى

---

(١) المرجع السابق ص ٦٨

(٢) المرجع السابق ص ٧٠



(١٢) الغزل : آثرت ألا أنبئ هذا العرض لنماذج من الشعر

الإسلامي دون الإشارة لبعض أمثلة من شعر الغزل الذي نظم في الإسلام — في عهد النبوة والرشد — وقد لا تعد هذه النماذج غزلاً بالمعنى المفهوم، إذ هي مطالب لفصائد صيغت في أغراض أخرى، وهي بهذا الشكل مجرد متابعة لتقاليد شعرية جاهلية، كانت ترى من تمام الجودة والسكال في القصيدة أن تبدأ بالغزل أو الأطلال، ثم إن هذه النماذج الغزالية لم تخرج في ألفاظها ومعانيها وصورها عما تعودته الشعراء في الجاهلية، ذلك لقرب ناظميها من العهد الجاهلي زمنياً، ولأن الغزل عرض جاهلي قديم ولم يطرأ بعد — من قيم وتقاليد الشعر الإسلامي — ما يخلع عليه سمات جديدة أو يكسبه طابعاً خاصاً، فذلك سوف يحدث بعد سنوات قلائل، في عصر بني أمية.

إنما قصدت من تقديم هذه النماذج أن أثبت أن الإسلام ورسوله لم يكن يمنع القول في الغزل أو يرفض إنشاده وسماعه وروايته، ما دام في حدود العفة، لا يحوى شراً، أو يمتكح حرمات، أو يحيى إلى عريض، أو يخذش حياء، يقول شاعر النبي — سنان بن ثابت — في مطلع قصيدته الحمزية التي نظمها قبيل فتح مكة ورد فيها على أبي سفيان بهجوه وبتوعده، يقول متغزلاً (١) :

هفت ذات الأصابع فالجواه

إلى هذراء منزلها خلاء

(١) الديوان : ص ٧١

ديار من بنى الحساس قفرو  
 تعفيمها الرواس والسماء  
 وكانت لا يزال بها أنيس  
 خلال مروجها ، نعم وشاء  
 فدرع هذا ، ولكن ما لطيف  
 يورقني إذا ذهب المشاء  
 لشماء التي قد تيمته  
 فليس لقلبه مدها شفاء  
 كأن ضيئة من بيت رأس  
 يكون مزاجها عسل وماء  
 على أنيابها ، أو طعم غض  
 من الفواح هصره لجناء  
 ولسان أيضا في يوم أهدم جو ابن الزبيري (١) :  
 منع النوم بالمشاء هدم  
 ونحيال إذا تغور النجوم  
 من حبيب أصاب قلبك مده  
 سقم ، فهو داخل مكتوم

(٢، ١) الديوان : ص ٢٠٦/٨١

يا لقوم هل يقتل المرء مثلي  
واهن البطش والعظام مشوم  
شأنها العطر والفراش ويعلوها  
لجـين ولؤلؤ منظوم  
لو يدب الحول من ولد الذر  
عليها ، أئدبتها السكوم  
● ولحسان كذلك من قسيمة في القم (١) :  
زادت همومي فناء العين ينحدر  
سحبا إذا غرقته هبرة درر  
وجدا بشعشاء ، إذ شعشاء بهكنة  
حوراء لا دنس فيها ولا نور  
دع عنك شعشاء إذ كانت مودتها  
نورا ، وشر وصاله الواصل النور  
ويطواه بنا الأصل لو قة صينا كل المطالع الفولية عند حسان ،  
فلننقل لمثال آخر عند كعب بن زهير (٢) :

- 
- (١) الديوان : ص ٢٠٦/٨١  
(٢) دراسات في أدب وتصوص العصر الإسلامي : ص ٨٨

بانك سعاد فقابى اليوم مقبول  
 متمم إثمها لم يجز مقبول  
 وما سعاد غداة الهين إذ رحلوا  
 إلا أفس غصيص الطرف مقبول  
 هيفاء مقبلة ، عجزاء مدبرة  
 لا يشتكى قصر منها ولا طول  
 تجلو عوارض ذى ظلم إذا ابتسمت  
 كأنه منهل بالراح معلول  
 شجع بنى شيم من ماء عينية  
 صاف بأبطح أضفى وهو مشمول  
 يا ويحها خلة لو أنها صدقت  
 موعودها، أو لو أن النصيح مقبول  
 فما تدوم على حال تكون بها  
 كما تلون في أموابها الغول  
 وما تمسك بالوصل الذى زعمت  
 إلا كما تمسك الماء الغرايل  
 فلا يفرانك ما منت وما وعدت  
 إن الأمانى والأحلام تضليل

ونعتم هذه الأشعار الغزالية بقول عبدة بن الطبيب (١) :

هل حبل خولة بعد الحجر موصول

أم أنت عنم — إبيد الدار مشغول

حاص خويلة في دار مجاورة

أهل المدائن ، فيها الديك والفيل

فخامر القلب من تجميع ذكرتها

رس لطيف ورهن منك مكبول

ولأحبة أيام تذكرها

وللنوى — قبل يرم البين — تأويل

❖ ❖ ❖

بقى أن نرصد حول الشعر الإسلامي عددا من الملاحظات .

---

(١) في الشعر الإسلامي والأدوى ص ٥١

سادسا : ملاحظات نقدية فنية حول الشعر الإسلامي

ليس من المنطقي أن نتوقع انقلابا كاملا ، وتغييرا جذريا في الشعر العربي عشية ظهور الإسلام ، وإنما هو تطور محدود النطاق في البداية (١)

ذلك لأن التقاليد الفنية ، والقيم الشعرية ، تسكتسب عبر أجيال وأجيال ، وهي تتأثر ببطء ، وتغير في تدرج ، ومهل . فلا غرابة إذن أن نجد استمرار بعض الطوابع والسمات الجاهلية في الشعر الإسلامي ، خاصة وأن اللغة بقيت كما هي في جوهرها رغم بعض التطور ، وكذا بقي النسق الموسيقي من عروض وقافية على حاله ، وإلى هذا وذلك فإن البديهة الجغرافية ظلت كما هي عند السكينة من الشعراء الذين أقاموا في الجزيرة ولم يرافقوا الهيرش .

إن التغيير الديني والأخلاقي والاجتماعي حق لا مرأى فيه غير أن تأثيره على فن الشعر يتم بأناة وريث ، وتظهر نتائجه على مدى زمن طويل ، والمصدرة العامة للشعر في صدر الإسلام تقوم على حقيقة حضارية معروفة ، هي أن هناك بالضرورة تداخلا بين فترات التاريخ

---

(١) رصدت هذه الملاحظات على الشعر الإسلامي فقط ، فهي لا تتناول شعر المشركون في مكة كما لا تتعرض لشعر البادية الذي بقي على حالة الجاهلية ، ولم يتأثر بالإسلام بعد في عهد النجوة والراشدين .

الحلامية ، وأنة لا يمكن أن يكون هناك خط فاصل بين فترة والنس  
تقليها ، وبخاصة حين يتصل الأمر بمقومات نفسية بعيدة الغور  
في نفوس أصحابها ، أو بقيم فنية أصبحت تقاليد موروثة لا يمكن  
الخلاص منها فجأة ، أو الاهتداء إلى غيرها من قيم جديدة ، (١) :

إن التغيير المادى فى مظاهر الحياة اليومية ، من سلوك وملبس  
وما كل ومشرب ، كل ذلك يتسم بيسر وسهولة ، ولا يجد مقاومة تذكر ،  
بل ربما وجد الترحيب والتشجيع ولـكن الأمر يختلف فى مجال الفن  
والادب ، لأنه يتصل بروح الأمة وهويتها . مثل العقيدة تماما .  
فليس ميسورا أن يتخلى الشاعر عن أسلوبه الفنى ، ويتخذ آخر ، ولا  
ينتقل من قالب موسيقى إلى سواه ، ولكنه يمزج بين هذا وذاك ،  
ويجمع بعض الجديد إلى شىء من القديم .

وإذا كان الشعر الجاهلى يسائه الخاصة وأغراضه النافذة قد توارى  
بعض الشىء ، وخفت صورته قليلا ، فلمسكى بفسح المجال لشعر إسلامى  
أكثر حيوية وملائمة لما حدث من تغيير هائل فى حياة العرب .

ونحن نلاحظ التجديد فى الشعر الإسلامى واضحا بدينا من خلال  
المعاني والأفكار ، لأنها استمدت من النيم والمثل التى يؤمن بها الناس ،  
وهى قد تغيرت تغيرا جذريا بعد الإسلام ، ولذا نرى الشعراء المسلمين  
يرددون معاني وأفكارا تختلف وتختلف عما كان يتناوله الشعراء

(١) فى الشعر الإسلامى والاموى : ص ٦٧



في الجاهلية ، حسب الافراض والموضوعات .

وكذلك تبيين الحداثة والجدثة فيما طرقة الشعراء بعد الإسلام من مجالات وآفاق لم تكن معروفة قط أيام الجاهلية ، وهو ما يسمى بالافراض الجديدة ، وحتى القديم الذي ظل مستعمرا طبعه الإسلام بطابعه ، فأكسبه رونقا وبهاء .

وتعرضت لغة الشعر في العهد الإسلامي - متأثرة بالقرآن والحديث - لتطور ملحوظ ، وهو ما لفت نظر النقاد والدارسين المتشبهين بالشعر الجاهلي والمجهين به ، فمدوا ذلك التطور ضمنا . أما في البناء الفني ، أو نسق القصيدة فقد أضاف له شعراء الإسلام لمسات قليلة ، في حين بقي الإطار الموسيقي على ما كان عليه من وزن وقافية .

ولنستعرض الآن مظاهر التجديد في كل مجال على حدة :

أولا : المعاني والأفكار : لا ريب أن الشعر الإسلامي قد جمع بين بعض المعاني الجاهلية مما لا يتعارض وقيم الإسلام ومبادئه ، وبين معاني إسلامية مستحدثة . وإذا كان بعض الدارسين يرى أن الشعراء المسلمين لم يؤفّقوا تماما في تمثيل قيم الإسلام ومعانيه ، ولم ينجحوا نجاحا كاملا في استيعاب الدين الجديد ، والاهل من ينابيعه الثرة ، وأرجع ذلك إلى توزيعهم بين عامل الموروث الذي ألفوه وعاشوه طويلا أيام الجاهلية ، فكان نسوج عقرطهم ، وانزعج فئتهم ، وظل يشدهم للتمسك به عنه وتمثله ، وفي المقابل تجدتهم حاضرات جديدة

أوجدوها الدين الحنيف، وأملتها ضرورة الحياة الإسلامية، وتداخلت  
في الأخرى في أفكارهم ومواقفهم ونسج عقولهم ، وسفرتهم إلى  
تصويرها والتعبير عنها . فهذا التوزيع بين العاملين المتقابلين استنفد  
طاقاتهم الفنية ، وقلل من نجاحهم .

ويمكن أن نضيف أسبابا أخرى، مثل عامل الزمن؛ فالقيم والمعاني  
الجديدة تتطلب وقتا طويلا حتى تختلج في الأذهان وتتشربها العقول، ثم  
عنها الشعر . وكذلك وجود الشعراء المسلمين في بيئة جاهلية - لا تزال -  
وأكثر الجمهور المتلقى من الجاهليين فكرا وروحا وثقافة ، وهم  
لا يستطيعون الانفصال عن جمهورهم ومستمعهم .

ولا شك أن صدورهم في كثير من الأشعار عن حافز الرد على  
المشركين ونقض قصائدهم ، جعلهم يتابعون نفس التقاليد الفنية،  
ولو خالفوا تلك التقاليد لأخفقوا في الرد عليهم ولفاجأهم . يؤكد  
ذلك أن الأشعار التي خرجت عن ذلك النطاق ولم يقصد بها هجاء  
المشركين أو مغائرتهم ظهرت فيها المعاني الإسلامية واضحة ، كراتي  
الشهداء ووصف البلاد الجديدة ، ومعارك الفتوح ، والحنين والغربة ،  
وما تناول خلقا أو مبدأ إسلاميا .

ورغم كل ما سبق ، فإن كثيرا من الأفكار والمعاني الجديدة عرفت  
طريقها إلى الشعر الإسلامي ، وخاصة في الأغراض المبتكرة ، وبعضه  
ظهر في موضوعات قديمة أيضا .

ثانياً الأغراض والموضوعات : كان الشعر الجاهلي يمس حياة  
عرب الجزيرة في انحصارها ومحدوديتها ، فهو يفتل في ميادين  
ثابتة لا تتغير :

(١) مدح للملوك والوجهاء الأثرياء ، يشوبه الاستغراق ويمجج  
إلى المبالغة ، ويصدر — إلا في القادر — عن ملق ورياء .

(٢) فخر بالنفس والقبيلة ، يدور حول شواور معدودة من النسب  
والحسب ، والشجاعة المنهورة أحياناً ، والكرم الذي يبالغ حد الإسراف  
والسفه أحياناً .

(٣) رثاء يفتقر من معين المدح غالباً ، ويغلفه إحساس حاد  
بالمضياع والفناء بسبب الفراغ الدقيق الرهيب .

(٤) هجاء لا يتورع عن الفحش والإفداع ، مالبج للمهادن  
والمغادر ، مضطجاً على الخصم مثالب ونقائص بالكذب والإدهاء ،  
والمبالغة في الذم .

(٥) غزل قد ينحدر بكاء الأطلال ، ويقترن على الوصف  
الظاهري لمحاسن المرأة الجسمية غالباً ، أو المغامرات التي تغدس الحياة ،  
وتمس العرض والخلق .

(٦) وصف الطبيعة حية وصامتة ، وهي في البيئة الصحراوية فقيرة  
قليلة التنوع محدودة الآفاق .

وأخيراً أبيات المحكمة التي قد تأتى ختاماً للقصيد ، وقد لا ينطرق  
إليها الشاعر .

ثم يشرق الإسلام بنوره ، وتغير حياة العرب من وثنية مشرك  
إلى مائة موحدة . ومن قبلية ضيقة إلى إنسانية رحبة عريضة . ومن  
مادية متدنية إلى روحية سامية رفيعة .

وتغير الشعر كما تغيرت الحياة ، وتوسع أفاقه ، وتعدد  
المبادئ ، وتظهر أغراض جديدة ، وموضوعات لم تكن من قبل  
معروفة ولا مطروقة ، بل وتكتسب الأغراض القديمة روحاً جديداً  
وجاهاً متألفاً .

ويمكن أن نطعن إلى عدد محدود من الأغراض قد ترك تماماً مع  
إشراق الهدى المحمدي ، وحتى العصر الأموي ، وذلك لعارضها مع  
قيم الإسلام وأخلاقياته .

من تلك الأغراض ذكر الخمر ، وصفها ، والتغنى بها ، والشوق  
إليها ، وبيان أثرها في النفوس ، وتصوير بجالسها وشاربها ، وسقائها  
وصناعها وبائعيها ، وكل ما يتصل بها .

ومنها شعر الجون : سواء ما يتعلق بالغزل الفاحش ، واللهو  
المعابث ، والمفاخرات المستهترة ، أو مجالس الغناء والقيان والطرب .  
ويدخل في هذا النطاق الشعر الذي يتحدث عن الميسر ولاعبيه  
ومجالسه ورهاناته .

ثم تأتي المنافرات أو الهجاء القاسم على ما يحط من الشرف ،  
ويخذل الحياء ، ويمزق الأوصار ويورث البغضاء والنفارات ،  
ولو تأملنا في محكمة تحريم تلك الأغراض بعد الإسلام لوجدنا أنها  
ليست منافاتها للقيم الدينية فقط ، وإنما لما تسببه وتؤدي إليه من  
تخريب للنفوس ، وإذهاب للعقول ، كما أنها مضيمة للصحة والمال  
وهدم للفرد والجماعة ، وهي على الجملة إهانة للإنسان الذي كرمه الله  
على سائر خلقه حتى الملائكة ، مما يناقض الدعوة الإسلامية لقوة الفرد  
والجماعة ، قوة مادية ومعنوية ، وكذا الدعوة للتماسك والتمسك  
والاخوة .

ونستعرض الأغراض التي ظلت من الجاهلية ، فنظم فيها المسلمون  
مع إضفاء الصبغة الإسلامية عليها ، وتصفيتهما عما يتعارض وتلك الصبغة  
من أفكار أو ألفاظ :

المدح : كان المدح في الجاهلية تقرباً للممدوح طلباً لنفعه واتقاء  
أضره ، وكان وسيلة للتكسب عن طريق المطايا والهبات التي يمنحها  
الممدوح مكافأة للشاكر .

وفي النادر القليل يصدر المدح عن عاطفة صادقة وإعجاب حقيقي ،  
ولكنه غالباً يأتي مرأاة ونفاقاً .

فلما جاء الإسلام قل شعر المدح إلى حد كبير ، وربما صار قاهراً  
على مدح الرسول ﷺ وإشارات قليلة للخلفاء الراشدين ، وكلاماً

ينبع من خب صادق ، وإعجاب منبه عميق ، بما في شخصية النبي من سمو وترفع ، وما لدى الخلفاء من تقى وورع وطاعة ، وتحرر دقيق للحق والعدل ، وبعد أن كان الخافز في المدح هو التقرب للملك أو للرجية الأثرى ، صار قربى إلى الله وطاعة له ، فالرسول وخلفاؤه يمثلون رموزا للإسلام وتبسيدها لمبادئه وتطبيقها لأوامره ، ولذا فإن مدحهم ليس مدحا لذات الشخص - وإن كان خليقا به - ولكنه في المقام الأول مدح للمعاني والمبادئ التي يمثلها ، ثم تفرع عن المدح الفردي مدح للجماعة الإسلامية ، وتمجيد للدعوة الجديدة ، ويرمز للجماعة الإسلامية بالمهاجرين تارة وبالأنصار أخرى ، وبهما معا أحيانا .

وهذا المدح الجماعي يبرأ من الجمالة ، ويتمتع عن المبالغة ، وهو يهدف بالدرجة الأولى إلى إلهاء شأن الدين ورفع لوائه ، والإشادة بالمسلمين الأوائل ، الذين حملوا عبء الجهاد في الأيام السعيدة من بداية الدعوة ، حين كان الأعداء كثر ، والقوة محدودة ، والنصر عزيز المنال .

ويمكن أن نجمال خصائص المدح أيام النبوة والراشدين في :

(١) صدوره عن عاطفة قوية وإعجاب صادق بالرسول ، وأصحابه وخلفائه ، وبالجماعة الإسلامية من مهاجرين وأنصار ، فلا تفاق أو رياء ، ولا ملق أو تقرب ، ولا شبهة للكسب والمنفعة .

(٢) صفات المدح ، أو مواضع المدح ، تجمع بين قليل مما عُرف في الجمالية كالشجاعة والكرم والمروءة والفجدة ، ثم تضيف

إليها مناقب وصفات إسلامية معسرة ، كالجهاد في سبيل الله ، والنظالم للشهادة ، ونشر الدين وإعلاء كلمة التوحيد ، وكذلك نبل الأخلاق ، وطاعة الله ورسوله ، والمحرص على الجماعة الإسلامية والسعي لخيرها ، والعمل بكتاب الله وسنة نبيه ، والبعد عن نواهيها وما يفضيها .

(٣) ذكر الحقائق والوقائع دون مبالغة أو تهويل : لقد كان سجل البطولة الإسلامية ، ومناخير المسلمين حافلة بأخراً ، وما فيه من حقائق يفوق تصور الخيال ، وروعة المبالغة .

(٤) استخدام لغة سهلة تتضمن مفردات وعبارات دينية إسلامية ، وتنبأى عن الكلمات والعبارات الجاهلية .

الهجاء : اتسم الهجاء في الجاهلية بالاعتداء على الأعراس والمهرمات ، وسلب الشرف ، والعييب في الأنساب والأحساب ، وكذلك الذم باللفظ الجارح ، والمعنى القسارص ، فكان الناس يضطرون إلى شراء السنة الهجائية ، وتجنب إثارتهم ، كما كان يحدث مع العظيمة . وأحياناً يضطر المرء إلى استهجار شاعر للرد على من يهجوّه .

ثم بحث الرسول عليه السلام بمعاليم الدين السمحة وخلقته الرفيع ، جذر من التناذب بالألقاب ، ومن القبيحة والذميمة ، ومن التباغض والتخافهم ، ودعا إلى الأخوة والمحبة والتسامح ، وطالب المجتمع المسلم بأن يكون جسداً واحداً مقرباً ، ويسكن أفراداً أعظماء في الجسد ،

يؤول لجميع ما يحق بالواحد ، وحينئذ كف لشعراء المسلمين عن الهجاء  
تأديا بأدب الإسلام ، إلا أن شعراء الشرك فتحوا نيران أسلحتهم على  
النبي الكريم وعلى المسلمين - مهاجرين وأنصارا - فأذن الرسول -  
ﷺ - للشعراء الانصار برد الأذى ، والدفاع عن النفس والدين ،  
فالهجاء من المسلمين كان اضطرابا وحالة من حالات الدفاع .

فلما فتحت مكة ، ودخل الناس في دين الله أفواجا ، توقفت  
المعارك الكلاوية بين المشركين والمسلمين ، واختفى الهجاء تقريبا  
بقية عهد النبوة والراشدين ، وكان الخلفاء رضوان الله عليهم يعطون  
للشاعر الهجاء ما يكف أسائه عن إيذاء المسلمين ، ويعاقبون من  
يستمر في الهجاء ، فلما جاء بنو أمية تغير الحال .

ولستطيع تلخيص سمات فن الهجاء الذي مارسه المسلمون فيما يلي :  
(١) لجأ إليه شعراء الإسلام دفاعا عن النفس والدين ، بعد أن  
تجاوز المشركون فيه الحدود ، وصار الصمت ضعفا .

(٢) ابتعد عن الفحش والإقذاع ما أمكنه ، وركز على جرح  
المشركين حق الله وقدره ، وكفرهم به ، وتسكين ذمهم نبيه .

(٣) كان حسان يستغل ما في أنساب المشركين من هنات ، وقد  
استخدم في أحيان قليلة ما يحبط الذرف ويخرج عن قيم الإسلام ،  
وعذره في ذلك حاجته إلى إضعاف الكفار ، ورد سهامهم  
وإخراص أسلحتهم .



- (٤) كان فيه هجاء الاشخاص الفردى ، وهجاء القبائل الجماعى ، وهو فى كلا الحالين رد على هجاء سابق للمشركين .
- (٥) لم تخصص للهجاء قصائد مفردة ، ولكنه يأتى مختلطاً بأفراض أخرى كالغنى ووصف المكارم ، أو الحرب النهمية .
- (٦) وهو مثل بقية فنون الشعر الإسلامى تتناثر فيه كلمات إسلامية ومعان دينية بالنسب المختلفة .

الغنى: كان الشاعر الجاهلى يعظمه تبتاً معتداً بنفسه وجنسه يكثر من الغنى فى قصائده وخاصة بغرض الغنى ، وفى أبيات عبر قصائد نظمته لأفراض أخرى ، كان يمدح ويباهى بها ليدبه بما يستحق الغنى والمباهاة ، وقد يحتل ويتخيل ما يفخر به ، أو يفخر بها سوف يفعله وما سيكون عليه ، يفخر بشخصه وجماعته القوية وقبيلته وعشيرته ، ثم يتبادى ويفخر بأصله العربى . وكان مناط الغنى أولاً هو الشجاعة التى تقبل إلى الثور ، والقوة التى تدفع للدون ، والجهل الذى يجر إلى الظلم ، ثم الأخذ بالنار ، وعدم الصبر على الضيم والذل .

وكذلك الغنى بالحسب والنسب ، وكرم الخند ، ونقاء الأصل والعصبية القبلية . وتأتى المواقح والأيام التى شهدتها أو شهدتها قبيلته وحققت فيها انتصارات ، ثم يباهى بقيم أخلاقية وصفات حميدة ، كالبر والنجدة وإغاثة الملهوف ، والعنة وإكرام الضيف ، والترفع عن الصغار ، ولا يذم أن يفاخر بلهوه وعيشه من مناسرات عاطفية

وتشذيب بالنساء ، وشرب للخمر وبجائز الغنائم والمجروف  
والخروج للصيد .

ومن مكة - الأرض الحرام - يشرق فجر جديد للعالم أجمع ،  
ويكون العربي هو المثل والقدوة ، وهو المبلغ والمدعى ، ولا يقف  
الدين الحنيف من نزعة الفخر العربية الإنسانية موقف التعنت والرفض  
المقاصب ، ولكنه كعادته يتخذ منها موقف التوجيه والتهديب ،  
فيفخرون بأجداد أسى وأعد كالنساب إلى الإيمان بدين الله ومفارقة الشرك  
وكذلك المبادرة بالمجرة طاعة لله ورسوله ، أو نصره الدين والجهاد  
في سبيل الله . وأصبح البلاء من أجل العقيدة وطلب الشهادة مناهل  
يفخرهم الأول ، ثم يأتي الزهو بنصر الله وتأيد الملائكة .

وفي المجال الأخلاقي تكون التقوى ، وطاعة الله والرسول ، ثم  
اجتناب المحرمات والبعد عما يستكره .

وأخيرا ما رضى عنه الإسلام وأبقاه من طباع الجاهليين  
وأخلاقهم ، كالكرم وقرى الضيف ، والنجدة وإغاثة المستجير ، والحنف  
عما لا يملك ، والشجاعة في الميدان .

واستعاض عن الفخر بالأصل والحسب فخرا بالانتماء إلى الإسلام  
الحنيف ، وعن القبيلة والجنس اعتزازا بالنبي وجهادة المسلمين  
والهداية للمجاهدين .

وبذا يمكن استخلاص سمات الفخر الإسلامى فيما يلي :

(١) التقليل ما أمكن من الفخر والمباهاة لأن الإسلام يدعو إلى

التواضع ، ويرى أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين وأن خيلاء الفرد وكبره مصيبة ومكروه .

(٢) ما بقي من فخر طبعه الإسلام بطابعه ، فصار مخاطبة ما يتصل بالدين من الإيمان واليقوى ، والقتال حتى النصر أو الشهادة في سبيل الله ، وما يتصل بجماعة المسلمين من طاعة الرسول والتأخي والسعي لتحير الجماعة ، وأخير ما يتعلق بالخلق الرفيع سواء ما كان جاهليا أقره الإسلام أو ما بعد مع الدين القديم .

(٣) انتفى من الفخر كل ما يتعلق بالحسب والنسب ، وما يثير العصبية القبلية ، وحل محله شرف الانتماء للدين وجماعة المسلمين .

(٤) الفخر بالنفس وبالجماعة يمكن في إطار إسلامي لا يهدد تماسك المسلمين ، ولا يسمى الضغائن ، كما فعل وحسان ، في زهوه بالانصار لما قدموه من نهضة الرسول ، واستضافة المهاجرين ، والدفاع عن الإسلام ، وكذا ما كان من فخر نافع بن قهطبة ، بقومه بني تميم لمساعدتهم إلى الدخول في طاعة الرسول والهجرة ومناصرة الإسلام بما يعزز ماضيهم الجليل في الجاهلية .

(٥) تنفليس فخر الشعراء المسلمين من المبالغة وتجاوز الحد مكنفيا بذكر الحقائق ، والتعويض عن الوقائع .

(٦) استخدام لغة سلسلة تتضمن ألفاظا وجملا ذات صبغة إسلامية ، وتبعد عن التّعذر والغرابة .

الرثاء : مريد الرثاء من أقدم فنون الشعر العربي ، وهو يقترب من المدح في كونه يمدح صفات الأعظماء والبطولة والسكالك في المراثى - كما في الممدوح - ثم يضيف الجروع الشديد لموته ، والمخماره الشخصية أو القبلية أو العامة الناجمة عن فقدته .

ولأن العرب في الجاهلية كانوا غير موحدين ، ولا يؤمن أغلبهم بالبعث والحساب ، لذا كان رثاؤهم يتسم دائما بالندجيمة والحسرة الشديدة لفقد الميت ، ولا يحوى أية إشارة إلى مصيره الآخرى . وإذا كان قتيلا في حرب ، احتلت الدعوة للثأر مكانها ، وكثر الحديث عن روحه القلقة الهائمة حتى يثأروا له .

ثم سرت الروح الإسلامية في فن الرثاء ، إبان بعثة الرسول عليه صلوات ربه وسلامه ، وانفجار الصراع بين الإسلام والشرك ، وتبايعت الغزوات في عهد النبى إلى أن فتحت مكة ، وبدأت الفتوح ونشر الدين في آفاق الأرض ، وهنا يتسم الرثاء على يد الشعراء المسلمين ببيان رسالة الشهيد في حومة الوفى ، وعرضه على إعلاء كلمة الله ، وإصراره على النصر أو الاستشهاد ، ثم ينتقل الشاعر في رثائه إلى بيان ما أعد للشهداء لدى الله من نعيم الخلد ، وعلاو المنزلة وكونهم أحياء عند ربهم يرزقون . وأن كان المشركون يفتقدون سهر الغاية من القتال ، ويشفرون بعبثية الموت في الممركة ، اللهم إلا ما تراضوا عليه من الحرص على النجات والشجاعة - إذا كانوا هم كذلك - فإن المسلمين قد توافر لهم نبل المقصد وشرف الغاية ، وأبى هدف أسهى من الجهاد في سبيل الله ، والدعوة لدينه والاستشهاد دفاعا عنه ؟

لذلك ظهرت في الرثاء سمات العبر والاحتساب ، والرضى  
بفضاء الله ، والامتثال لحكمه ، والاستبشار بجمته وثوابه ، وما وعد  
به الشهداء والمنقون ، فخنفت هذا من الجزع الشديد ، والامسى الفاجع  
على النفيد ، وحل العبر على البلاء واحداثاب الاجر عند الله محل  
اليأس والكمند . وحقق في ظروف الموت المادى أصبح الرثاء مختلفاً  
كذلك لأن الميت مسلم مؤمن ، اطاع الله ورسوله ، وأدى فرائض  
دينه ، وعمل بأوامر ربه واجتنب محارمه ، فتشوا اللجنة ، ومن هنا  
احسست الخنساء بالحنن مضاعفاً على أخيهما صخر بعد أن هداهما الله  
إلى الإسلام : وكنت أبكى لصخر من القتل ، فأنا أبكى له اليوم من النار .

وكل هذا الجنيد أضيف إلى ما أقره الإسلام في الرثاء الجاهلى من  
بيان عظمة الميت أو الشهييد ، ومكانته بين قومه وصفاته الاخلاقية  
المنبيلة .

وبخلاصة ما يقال عن الرثاء الإسلامى :

(١) احتفظ ببعض السمات الجاهلية مثل : بيان العظمة الإنسانية  
والعقلية والمكانة الاجتماعية للفقيد ، وكذلك الحزن لفقده .

(٢) استبدل بالجزع المهللك ، والامسى الفاجع ، العبر والاحتساب  
والامتثال لفضاء الله .

(٣) فى حالة الاستشهاد يصبح الفرح باللجنة ورفعة المنزل عند الله  
هو الطابع الغالب على الرثاء .

(٤) يضاف إلى ذلك ذكر ما أبداه الشهيد من بلاه في سبيل الله ودفاع عن الدين وزود بالشركين .

(٥) وإذا لم يكن الفقيد من الشهداء فهو مسلم عاش حياته معلماً لمحبته محباً لنبيه - عليه السلام - مأملاً بكل ما أمر به ، مبتعداً عن كل ما نهى عنه ، ولذلك فإن الجنة مقره إن شاء الله .

(٦) حملت كلمات الصبر والرحمة والأجر والاحتساب ، ثم الشهادة والجنة والجهاد في سبيل الله ونصرة الدين ، بدلاً من الفاظ الهلاك والقتل والجزع والفقد والشار وشفاء الغليل .

شعر الحماة : مرت بنا أثناء استعراض نماذج من الشعر الإسلامي .

ثلاثة أغراض هي : وصف المعارك ، والحرب الففسية ، ثم الإقدام على الجهاد والفرح بالشهادة ، وهي جميعاً تنضوي تحت ما عرف في الجاهلية بشعر الحماة مع الاحتفاظ في ذهنه بالفارق بين مفاهيم الجاهلية والإسلام ، وشعر الحماة مصطلح قديم يطلق على كل ما يتصل بالقتال سواء فيه وصف الاستعداد السابق للحرب ، من خيل وأسلحة وجند ، أو وصف مساحة الجرب وشجاعة الفرسان ، أو التخويل عن المقاتلين بتخويف العدو من قوتهم وجسارتهم . وكل هذه المجالات ظلت مطروقة بكثرة من الشعراء المسلمين ، بعد أن سلعوا عليها من سمات الدين وروحه ما أعادها خلقاً جديداً مثل :

(١) في بيان الأسلحة والمعدات ذكر الشعراء الإسلاميون

أسلحتهم الحربية المادية ، وأضافوا إليها أسلحة جديدة منحها إياهم الدين الحنيف ، كالتقوى والإيمان والصبر ونبل الهدف من القتال ، وتأيد الله وملائكته ووعد المؤمنين بالنصر ، ما داموا صادقين صابرين ، ثم الشبات في الميدان لتحقيق النصر أو الفوز بالشهادة ، بل كان حرص المسلم المجاهد على الاستشهاد أشد من حرصه على الحياة ، وذلك أدعى لنزع السيف من أى سلاح فأنك .

(٢) في وصف المعاركة وبسالة المجاهدين بعدولنا ألوان من البطولة أقرب إلى المجهزات ، وفي تصوير السعى للجهاد والإقدام على الشهادة تحكى قصة خيالية وسفوارق يصعب تصورها ، ولكنها جديماً حقائق وقائع لأشخاص معروفين منهم بدين العقيدة وصدق الإيمان قوى لا تقبل .

(٣) في مجال الحرب النفسية ، وهى أناشيد حماسية تردد قبل المعركة تحت المجاهدين على الصبر والإقدام ، وتستغفر الأعوان للنجدة والمناصرة ، وتدهو للشبات ، وترهب الأعداء بما تصفه من علة المجاهدين وهندهم ، وتفزعهم بانصوده من جسارة المسلمين وعديمتهم وفيها بعد الإسلام يكون الاعتداد بتأييد الله والملائكة والنصر الذى وعد به المجاهدون ، وبذلك يكون التهيب والتخويل بالأسلحة المادية والمعنوية ممثلاً فى قوة الله التى لا غالب لها ، وتأيدته الذى لا يعدله تأييد .

(٤) اختفت كلمات النار والانقمام ، وتوارى التهصب النبيل

بالحق والباطل ، وظهرت مفردات وشعارات إسلامية جديدة كالجمادات والشبث والشهادة والجنة ، وأصرة الدين والرسول وسلاح الإيمان والثقوى ، وظهر الحلق ودحر الباطل ، والانتساب للإسلام وليس للجنس أو القبيلة ، والقتال لتحقيق غاية سامية وليس ثأراً أو مجزاً شخصياً .

الغزل والنسيب : يرى عدد كبير من الدارسين أن الغزل كان من الأغراض التي مهيأها الشعراء الإسلاميون ، أسكنى استمع مع هذا الرأي ، حتى لو حددنا فترة الترك بمصر النبوة والراشدين ، ذلك لأننا نلتقي بماذج عديدة للغزل إبان تلك الفترة ، وخاصة مطالع القصائد في أغراض مختلفة ، وكذلك ذكر الدكتور عبد القادر التاط قصيدة مشقة في الأمل ، للشاعر : د. مصطفى بن قرق ، وأبيات « لعبد الله بن عاتمة » ، ثم مقطورة « لعبد بنى السحاح » ، وكلها شعر غزلي رقيق . والأقرب للدقة أن نقول : إن الغزل كفرص قائم برأسه ، تخصص له قصائد كثيرة كاملة ، ترك لسنوات في أول العهد الإسلامي لكنه ليس الترك العامد ، باعتباره محرماً أو عقوراً وإنما هو الإسهال والتراخي بسبب الانشغال بأهول أخرى ، فلم يؤثر عن النبي عليه السلام أو خلفائه رضي الله عنهم ، ما يفيد الحظر أو التحريم أو حتى الكراهة ، لقد سمح الرسول قصيدة كعب بن زهير « بانت سعاد » وفيها مقدمة غزلية طويلة ، فلم ينكر عليه ، وسمح لـ الحسن بن ثابت



قصائد عديدة تبدأ بالغزل ، ولم يرو عنه إنكار أو إعراض ، وقال  
الجباج : دخلت المدينة ، فقصدت إلى مسجد النبي ﷺ ، فإذا بأبي  
هريرة قد أكب الناس عليه يسألونه ، فقلت هكذا : أفرجوا لي عن  
وجهه ، فأفرج لي عنه ، فقلت له إنما أقول هكذا :

طاف الخيالان فهاجا ستما

خيال أدوى ، وخيال تسكتما

تريك وجهاً ضاحكاً ومعضماً

وساعداً عجلاً وكفا أبرماً

فأقول فيه ؟ . قال : قد كان رسول الله ﷺ يشد مثل هذا  
في المسجد فلا ينسكركه ،<sup>(١)</sup>

فالغزل على إطلاقه - ومنه مطالع القصائد - موجود في العصر  
الاسلامي خلال البعثة النبوية وعهد الراشدين ، وسوف يتسع ، وتكثر  
نماذجها وتسميتها بقصائد عديدة ، بل ويصيح باباً ضخماً من أبواب  
الشعر الأدوى ، ويتفرع لأنواع مختلفة بين عذري عفيف ، وحسي  
جري ، ويفرخ له شعراء يهيمون بهم مثل عمر بن أبي ربيعة ،  
وذو الرمة وابن قيس الرقيات .

ونجمل سمات الغزل عبر عهد النبوة والراشدين في :

(١) العقد الفريد : ج ٣ ص ١٠٥

(١) نماذج الغزل في العهد النبوي وفي حكم الراشدين تتمثل في قصائد ومقطوعات قليلة ، وفي هذا كثير من القصائد لأغراض مختلفة .

(٢) لم يعترض الإسلام على الغزل ولم يحرمه ، ولم يشكره الرسول ﷺ ، ولكن الشعراء المسلمين شغلوا عنه لأنه مرتبط بالفراغ والذعة ، وهم كانوا مشغولين بما هو أهم من نشر الدعوة في آفاق الأرض والجهاد في سبيل الله والدفاع عن الدين .

(٣) يفهم ضمنا أن الإسلام بما يشه في النفوس من قيم أخلاقية سامية ، وحماية للحرمان وحفاظ على الشرف ، وبما أسبغته على المرأة من تكريم وإجلال ، وبما أشاعه من العفة والحياء ، لعل ذلك فقد كثره الغزل المتعبد ، والتسليم الحسى المستتر ، وما كان شاعرا للحياء أو معتديا على الأعراس والحرمان ، ولكنه رضى عن الغزل الرقيق العفيف ، الذى يعبر عن احترام للمرأة وحفاظ عليها وإشرازها . ونستطيع أن نجد من أمثال هذا الشعر كثيرا من المقطوعات في كتب المختارات والتراجم ، أغلبها لشعراء مقامين ، كانوا يقولون الشعر في وقته انفعال خاص ، استجابة لحديث معين في حياتهم ، على أن من بين الشعراء المعروفين أيضا من نجد لهم أمثال تلك المقطوعات البالغة الرقة في أسلوبها وعواطفها ، وكأنها لشاعر طال عهده بالحنانة واللين ، (١)

---

(١) في الشعر الإسلامى والأموى : د . عبد القادر القبط ، ص ٢٦

(٤) لا نستطيع القول بأن الفول تعرض لتطور كبير في أول العصر الإسلامي ، اللهم إلا ما أشرنا إليه من بعده عن الحسية ، والاستثمار والعجث ، وميله للرقعة والعفة ، وحرصه على ما يرضى الخلق القديم وعلى الأعراض ، الحرامات السكنية لتطور الحقيقة سيظهر بعد ذلك في عهد الأمويين .

الأعراض الجديدة : بالإضافة لما أدخله الإسلاميون من سمات جديدة ، وطوايع مستحدثة على الأعراض الموروثة في الجاهلية ، فإننا نلاحظ أثرهم النطري أيضا متمثلا في ابتكار أعراض وموضوعات لم نعرف من قبل ، وهي :

١ - وصف البلاد الأخرى : عاش العرب قرونا في شبه الجزيرة لا ينفذون بها ، إلا نادرا ، وفي رحلات محددة المسار بهدف تجاري مسبق ، وكان القائمون بها تجاراً ، وأصحاب رؤوس الأموال ، فلا شأن لهم بأحوال البلاد وصفات أهلها . وأحيانا يقوم أحد الشعراء برحلة إلى ملك أو عظيم لمدحه واسترقاده إلا أنه لا يلتفت غالباً للبلاد وأهلها ، فهو قد أعد الشعر مسبقا وهو يرغب في تحقيق هدف الرحلة والعودة سريعا . من هنا القول أننا لا نجد نماذج لوصف البلاد وسمات السكان خارج شبه الجزيرة قبل الإسلام .

فلما بعث النبي عليه السلام مبشرا وهاديا للإنسانية كافة ، وبعده تلميذ دعائم الإسلام بفتح مكة ، بدأت حركة نشطة لأشر الدين

وهداية الفاس، ولئن كان الإسرق قد اقتصر في عهد الرسول على غزوات سرية محدودة الأثر والبعد، إلا أنها كانت إشارات بدء، وأمثلة تحتذى، ثم تبعتهما غزوات ضخمة بعيدة المدى واسعة الأهداف، وفيها انطلقت الجيوش الإسلامية شرقا وغربا ترفع راية الحق والهدى، وتحقق النصر الذي وعد به الله سبحانه، ووعدته الحق. وأطلع العرب على بلاد تختلف عن بلادهم كل الاختلاف، سواء في البيئة الطبيعية أو في نظم الحياة وعوائد البشر، أو في درجة الحضارة والتقدم المدني.

ولم يقصر الشعر الإسلامي في وصف تلك البلاد، والتعريف بأهلها وطبائعهم وسلوكهم وطرق معاشهم وملابسهم، وكذلك معانيهم ومعالم حضارتهم، وإيماز: حاول أن ينقلنا إلى تلك الدنيا الجديدة لنراها كما نراها ونحس بإيقاع الحياة فيها كما أحس. ونستخلص ملامح هذا المجال الشعري الإسلامي في:

(١) لأن هذا الغرض جديد وناشئ فنبأ به محدودة، وهو لا يتكىء على تراث سابق، ولكنه يبتدع تقاليد الخاصة ويتخذ لغته الخاصة.

(٢) هدفه الأول هو التعريف بالبلاد وما يميزها من ظواهر طبيعية وحضارية، ولذلك يلتقط الطرائف اللافنة مثل البرد القارص، أو الحيرات السكيرة أو الزفياال المشاركة في الحرب، ثم عروش الملوك

والكنائس الضخمة ، ويتطرق أحيانا للملابس الجند وأصغر فاتهم . .  
وهكذا .

(٢) يغلب عليه طابع الدهشة والتعجب والقطعات السريعة العابرة  
دون تأمل أو استبطان للظواهر .

(٤) لغته سهلة بسيطة ، فلا تعثر ولا كلمات نادرة ، ولا ألفاظ  
ضخمة غريبة أو أساليب معقدة .

(٥) يتخلو من التشبيهات والصور المألوفة : لأنه يعرض مناظر  
غير تقليدية ، ويحفل بطرائف مستحدثة لا تظهر لها ، ولذا فهو لا ينمل  
من معين سابق ولا ينسج على مفوال قديم .

٢ — الحقير والغريبة : من أرق وأعذب ما أضافه شعراء  
الإسلام إلى الديوان العربي ، تلك الغمات الرقراقة الحارة المتدفقة ،  
التي عبرت تحمل الشوق والحزن من المجاهدين المنقرين إلى وطنهم  
وأهلهم ، ثم ترجع سحابة الهممة والشوق والحزن من الأهل والوطن  
لنذات الأكباد البعيدة ، وسقيفة أن بعض الدارسين يرى المطالع  
الطليعية لبعض القصائد الجاهلية صورا من الحنين ، يتذكر الشاعر  
ماضيه أيام كان والمحبة في منازل متجاورة ، فيحنى لنلك الأيام  
ويذكر آثار المنازل وأطلالها ، سائلا عن أهلها الراحين ، متشوقا  
لذكر ياتمة وسعادته الضائعة .

لسكن البون شامع بين الحنين والغربة في العصر الإسلامي وبين تلك المطالع ، لقد صار فنا محدد التقسيمات واضح المعالم ، يختلف كما وكيفاً ، وله سمات ظاهرة يمكن لمجازه في :

(١) أصبح مقاطع كبيرة في بعض القصائد ، كما اختصت به قصائد كاملة طويلة ، وتعددت نماذجه وكثرت ، خاصة حين امتدت الفتوح الإسلامية إلى أقصى الأرض شرقاً وغرباً مع نهاية عهد الراشدين حتى الأمويين .

(٢) حفر إليه إحساس حاد بالغربة ، لأن الشاعر المسلم انتقل مع الجيوش لبلاد شديدة الاختلاف عن وطنه ، وعاشراً أناساً لا يشبهون أمهه ، ولا يتكلمون لغته ، وكذلك انبعث نتيجة حنين فياض للوطن بأكملة ، وليس لحلى أو لقلبي أو سمع ، حنين للسماء والأرض والمناخ والنبات والحيوان والطير ، حنين للخيام والنوق والشيء ، للرياح والبرق والمطر ، اشتياق عارم للأهل والأحباء والناس - كل الناس - في ذلك الوطن .

(٣) وبأق الحنين والنشوق من اتجاهين متراسلين : حنين من الأهل المجاهدين الأبطال ، الذين خرجوا يملكون كلمة الحق وينشرون التوحيد ، يشيرون الإيمان ، ثم حنين من المغتربين يبعثونه للأهل والوطن بكل مفر داته وذرائه وظواهره .

(٤) وكلا النوعين يخرج في لغات رقيقة وإحساس دافق فياض ومشاعر حارة صادقة .

(٥) وقل ما شئت عن جمال اللغة وسلاستها وموسيقيتها وعن  
عذوبة الأنفاظ ورقتها ودقة تعبيرها ، وعن اتساق الأسلوب  
وروعته وبلاغته .

(٦) بعد أن كان الشاعر المسلم الحنان يكتفي بنبث أشواقه في مناجاة  
مباشرة للأحباب والوطن والماضي السعيد ، بدأ يتخذ وسائل  
فنية للتعبير عن ذلك المائل من المشاعر الدائرة ، فكانت الحماة ردوا ،  
يفصح من خلاله عن أشواقه وتحنانه ، كما يقارن بين حنينها وحنينه ،  
وشجوها وشجوه ، فيكون هو الأشد لوعة والأهمل لطفه ، لأنها تجمع  
بلاعبات وهو يبكى بدمع فزير ، وراح يلتفت كذلك إلى نباتات  
وأشجار وطيور كان يراها في وطنه ، فيحتفل بها ويحن إليها تبهيرا  
عن حنينه إليه .

٣ - المعاني الإسلامية : وهذا هو ثالث الميادين التي فتحتها الشعر  
الإسلامي ، ويعد أرحمها وأكثرها تنوعاً ، والشاعر العربي متمرس  
منذ القدم بالحديث عن القيم الأخلاقية والمثل ، وهي إحدى مجالات  
شغفه واعتزازه .

ولا جدال في أن العرب - رغم جاهليتهم - كانوا على مستوى  
خلفي رفيع ، يؤمنون بقيم وعبادى سامية كريمة ، مثل الوفاء بالعهود  
ولإجابة الداعي ، وقرى الضيف ، والجود للساأل ، ونهضة الظلوم ، كانوا  
يؤمنون بمثل تلك القيم ويدعون إليها ، فلما هداهم الله للإسلام ثبتهم

عليها ، وأمدحهم بالمزيد من الصفات العالية والمثل الشريفة بين  
دينية وأخلاقية .

أما عن صياغة هذه المثل والأخلاقيات شعرا ، فقد اعتاد العرب  
استغلال طاقات الشعر وإمكاناته في التهذيب والدعوة لما يريدون من  
مبادئ وقيم ، وإلى ذلك يشهد أبو تمام :  
ولو لا خلخال سننها الشعر ما درى

بغاة الملا من أين تؤق المسكارم

وكان ذلك فيما يعرف بشعر الحكمة الذي يصاغ في أبيات تختم  
بالفصيحة أو تنخلها ، ولكنه ليس تقليدا متبعيا عند كل الشعراء ،  
وليس في كل الفصائد ، ومن هذا فلا يمكن اعتباره غرضا قديما  
جديده الإسلام وأضاف إليه وإنما هو غرض إسلامي محض ابتكره  
المسلمون ، وخاصة وأنهم نظموا قصائد كاملة طويلة ومتطوعات متعددة  
منه . ولعل قيام الإسلام - قرآنا وسنة - على الدعوة والموعظة  
يقول تعالى ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ﴾ (١) كما  
يقول سبحانه ﴿ ولما قال لقمان لابنه وهو يعظه : يا بني لا تشرك  
بالله إن الشرك لظلم عظيم ﴾ (٢) .

ويقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه (٣) وإن الدين النصيحة

(١) سورة النحل : آية ١٢٥

(٢) سورة لقمان ، آية ١٣

(٣) إسان العرب ، ج ٦ ص ٤٤٣٨



لله ورسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم ، كما يقول عليه السلام  
« الدال على الخير كفاعله » ، والله يحب إغاثة اللئمان ، (١) .

لعل ذلك كله كان باعثا للشعراء الإسلاميين على الاستفادة مما في  
الشعر من قدرة على التأثير والجادية ، والبقاء في الذهني ، واستغلال ذلك  
لنشر الدعوة إلى مكارم الأخلاق ، وتنبيه الشعوبية ، والسمو بالنفس  
وتزقيق النابج ، فكتبت النماذج الشعرية في هذا المجال بين قصائد  
طوال ، ومقطوعات قصار ، وأبيات متفرقة ، وتتلخص ملامح هذا  
الغرض في النقاط التالية :

(١) أغلب نماذجهم تدرج تحت ما يعرف بالشعر التعليمي إذ  
يقوم على الدعوة لمبادئ الدين ، ونشر قيمه وتعاليمه ، كما يهدف إلى  
إصلاح النفوس وتنبيه الأخلاق وبث الفضائل .

(٢) يستعمل في أبيات غير القصائد القصصية لأغراض أخرى ، كما يتمثل  
في مقطوعات وقصائد تخصصت له .

(٣) يستمد معانيه وأفكاره من مبادئ الدين الحنيف ، كفاية  
الله ورسوله والتقوى والتوبة عن الذنوب ، وبر الوالدين والوفاء بالعهد .  
الخ ، وكذلك من القيم الأخلاقية العليا ، مما عرفه العرب قديما ودعا  
إليه الإسلام أيضا كالكرم والنجدة والإخاء وسحق الجار . .

(٤) يتخذ لغة سهلة ، ووسائل فنية بسيطة وقد يمكنني بالنصح  
المباشر ، وتكثر فيه المفردات والعبارات المقترنة من القرآن الكريم  
والحديث النبوي الشريف .

(١) فيض القدير : ج ٣ ص ٥٣٧ حديث رقم ٤٢٤٧

مائتاً : اللغة والأساليب : في مقدمة الملاحظات التي تستلقت المدارس  
للشعر الاسلامي تأثره بالقرآن الكريم تأثراً لغوياً ، أو أسلوبياً بعد  
التأثر بالمعاني والافكار . يتناول الدكتور شوقي ضيف ذلك الأثر  
في اللغة والأدب عامة فبإزاء مائتاً في مجالات ثلاث : أولها : جميع العرب  
على لهجة قريش ، بعد تهذيبها واستكمال ما يفتقها من مفردات .  
وثانيها : الارتقاء بالعربية إلى منزلة لا تنافسها فيها لغة أخرى ، حين  
جعلها لغة دين سماوي للبشر كافة ، فوهبها معاني وألفاظ لم تكن  
تعرفها قبلاً ، كما وهبها الخلود الدائم والحياة المتجددة المتألفة بلا  
ضعف أو خمول أو موت يتمدها . وثالث آثاره : أنه هذب اللغة  
من الخوشية ، ومن اللفظ الغريب ، فأقامها في هذا الأسلوب المعجز من  
البيان والبلاغة ، ويكفي أن تعود إلى معلقة مثل معلقة لبيد أو إلى شعر  
قبيلة مثل هذيل وديوانها المطبوع ، لترى كيف أن القرآن اختط أسلوباً  
جولاً له رونق وطلاوة مع وضوح الفصـد والوصول إلى الغرض من  
أقرب مسالكه ، وهو أسلوب ليس فيه زوائد ولا فضول ، فاللفظ  
على قدر المعنى وكأنما رسم له رسماً ، وهو لفظ لا يرتفع عن الأفهام  
ولا عن القلوب ، بل يقرب منها حتى يلصق الشغاف<sup>(١)</sup> ، وهذا الأسلوب  
للرائع الجديد أسرار العرب بسحره ، وهلك أفئدتهم ببهائه وجماله  
ففسجوا على مفواله ، وترسموا آثاره ، واهتدوا بهديه ، يصوغون  
آثارهم الأدبية مهتدين بديباجته السكرية ، وحسن مخارج الحروف .

(١) العصر لاسلامى : د. شوقي ضيف ص ٣٣ ، ٣٤ .

فيه ، ودقة الكلمات في موضعها من العبارات بحيث تحيط بمعناها ،  
وبحيث تعجلي عن مغزاها مع الرصانة والحلاوة ، (١) :  
ويعقد الأستاذ ظافر القاسمي موازنة بين الشعر الجاهلي مثلا  
في أحد نماذجه الشهيرة — معلقة امرئ القيس — وبين الشعر  
الاسلامي وبينها الفارق الكبير ، مشيراً إلى كلمات بارزة في الأبيات  
التي أوردها ، يقول « كان أسلوب الشعر الجاهلي متسقاً مع ما في حياة  
الصحراء من شظف ، ومع ما في طبيعتها من جفوة ، ومع ما في تقاليدها  
من قسوة : نخامة في الإنفاظ ، وغرابة في انتقائها ، وصعوبة في نطقها ،  
وتنافر في تركيب حروفها ، عسيرة حسر الحياة فيها ، جولة في  
تركيبها » (٢) » ويعطى المدارس أمثلة من معلقة امرئ القيس على  
ما يقول من تنافر حروف الكلمات وصعوبة نطقها :

وفرع بزين المتن أسود فاحم

أثيث كقنو النخلة المتشكل

فدأثره مستشذرات إلى الملا

فضل العقاص في مثني ومرسل

\* \* \* \*

فلما أجونا ساحة الحى وانتحي

بنا بطن نخبت حفاف عتقل

---

(١) العصر الاسلامي : د. شوقي ضيف ص ٣٣ ، ٣٤ .

(٢) نظرات في الشعر الاسلامي : ظافر القاسمي ص ١١

\* \* \* \*

معرفة بيضاء غير مفاضلة

ترائها مصقولة كالسجندل

\* \* \* \*

فأضحى يسبح الماء حول كثيفة

يسكب على الأذقان دوح الكهنيل

وبعد استعراض أمثلة متنوعة من الشعر الاسلامى يقول :  
 «وأما الشعر الاسلامى فقد تحرر من صفات أسلوب الشعر الجاهلى  
 تحرراً ظاهراً ، وأصبح له طابع جديد يتسم بالوضوح والسهولة  
 مع المحافظة على جدالة التركيب» (١) ويقول المدارس فى موضع آخر :  
 «يجد أن الألفاظ قد تغير استعمالها ، وتجددت موسيقاها ، فلوست ترى  
 «العقنل والمنعشك والسهجندل والكهنيل» ، وأمثالها ، لا رويًا  
 للقافية ولا من كلم القصيد ، كذلك فإن تركيب الألفاظ وضم الكلمة  
 إلى آخرتها ، الذى هو أصل البلاغة فى رأى الجاحظ — مهمل العقل  
 والأدب — قد طرأ عليه تطور ظاهر» (٢) وهو يرجع هذا التطور  
 الأسلوبى فى الشعر الاسلامى إلى أثر القرآن الكريم الذى فتن العرب  
 ببلاغته وسحرهم بقضائمه .

---

(٢١) نظرات فى الشعر الإسلامى : طاهر القاسمى ص ١٩ .

وواضح من رأى الدارسين الفاضلين أن التأثير اللغوى للقرآن  
فى الأدب - شعرا ونثرا - يتم فى مجالين هما :

إثراء المعجم العربى : بإضافة مفردات جديدة تدور حول  
الإسلام بجوانبه المتعددة : اعتقادا وعبادات ، ومعاملات ،  
دنيا وآخره ... الخ .

تحول مقياس البلاغة والبيان من الغرابة والتعقيد فى ندره  
الكلمات وصعوبتها ، وفى نخامة العبارات وتعاطفها ، تحوله إلى  
السلاسة والسهولة والرقه والبساطة مع رقة التعبير وقوة البيان ، وذلك  
بحسن اختيار المفردات والاهتمام بأسلوب القرآن فى جمال التراكيب  
وعذوبتها .

ومن أمثلة الالفاظ القرآنية أو الإسلامية عامة ، التى مرت  
بنا فيما عرضنا من شعر ، وكذا الجمل أو التركيب :

بجموعة تدور حول أسماء الله سبحانه وصفاته مثل : أمر الله ،  
ذو العرش ، رب المشرق ، حول ، نصر الله ، رب الناس ، عباد الله  
معاذ الله ، إله الحق ، إله الخلق ، الله راء ومسامح ، غفور لذنب المرء ،  
الله يحكم حكمه ، الله يرزقنا ، لك الخلق والنعماء ، إياك نستهدى وإياك  
نعبد ، توكلنا على الرحمن ، ثواب الله ويعيدنا الله العزيز ، الله فحمد ،  
أقرب إلى الله الرحيم .

بجموعة تتصل بالقرآن الكريم : كالوحى ، كتاب جاء بالحق ،  
كتاب منزل ، كتاب الله .

مجموعة ترتبط بالرسول عليه السلام : كالأبي والرسول ومحمد  
 ومحمود ، مبارك براحيما ، ستة . نور أضاء لنا ، نور يستضاء به ،  
 وراحم منرحوم ، خاتم ، رسول الرحمة ، للنبوذة خاتم ، النبي الممهدى  
 أمين الله أنذرنا نارا وبشر جنة ، سراجا منيرا وهاديا ، نبي الهدى  
 نطيع أمر نبيينا ، الباذلين نفوسهم لنبيهم ، يجرم شفاعة ، فترة من  
 الرسل ، إذ قال فهالكم المؤمن أشهد ، نهر البرية ، وضم الإله اسم النبي  
 إلى اسمه .

مجموعة متنوعة : إسلام ، مسلم ، مسلمون ، جهاد جهاد  
 جهاد ، هجرة ، مهاجرون ، أنصار ، موحدة كفر ، كافر ، كفور ،  
 مشرك ، أصنام ، أوثان ، الشرك ، الكفار ، الظلام بمعنى الضلال ،  
 الجبر ، نسك ، ميكال ، الصالحون ، المؤمنون ، جنان ، نعيم ، أشهد ،  
 شهادة يفلد ، أتوب ، اغفر ، زلتي ، يوم الحساب ، نسج داود إذا  
 بلغ النقر ، اعتصمنا ، الصبور للمة وكينا ، رجلا يصل ، بشرى الحياة ،  
 جنان الفردوس ، روح القدس .

ولا شك أن هناك مئات أو آلاف العبارات والكلمات الإسلامية  
 في أشعار لم نستعرضها ، لأننا نتمثل بحسب ولا نعصى .  
 بقى الوجه الآخر للتأثير الإسلامى في الشعر لغويا ، وهو ميل الأسلوب  
 للرفعة والسلاسة والعدوية ، ولا تعنى هذه السلاسة ضعفها في اللغة أو هبوطا  
 بمستوى الأسلوب عن الجوى القوية ثمة الذميج . كما تصور بعض المقادير . ولكن

التي بسطوا الجمال وهو ما يمكن تحولا بالإغيا هاما، وسوف تفتح قلوبنا حين  
تقدم أكثر في عهد بني أمية ، فسوف نلتقي بالغزل العذري الشريف ،  
يصاغ في أسلوب غاية في الرقة والجمال والمروءية ، متخيلا مفرداته  
بمعناية فائقة ، مبتعدا عن النقص البلاغي ، وحشد الألفاظ المعجمية  
الضخمة ، متجنبيا للغرابة والحوشية .

وقد رأى الدكتور عبد القادر القط في ظاهرة البساطة والرقة  
نوعا من ضعف المحتوى الشعري خاصة فيما يتصل بالإسلام ومبادئه ،  
ولكنه يحتج إذا تناول الشاعر في نفس القصيدة أغراضا أخرى ،  
ويمثل لذلك بحرية حسان بن ثابت فيقدم أبياته التي يمدد  
فيها المشاركين :

عندنا خيلنا لمن لم تروها  
تثير النقع ، موعدهما كداء  
يجارين الأعنة مصعدات  
على أكتافها الأسل الظاه  
تظل جيادنا متمطرات  
تلطم من بالخير النساء  
فأيا تعرضوا عنا اعتمرنا  
وكان النقع وانكشف الغطاء

والا فاصبروا لجماد يوم

يعين الله فيهم من يشاء

وليعقب الدكتور على تلك الآيات قائلا: والشاعر في هذه الآيات — ولم يصل بعد إلى موضوعه الإسلامى — يعنى على طريقته في المقدمة محتفظا بسمت شعره الجاهلية في لغته وأسلوبه ، فإذا انتهى إلى الحديث عن المسلمين تغيرت لغته وشاع فيها كثير من الألفاظ الإسلامية ، وتنف ما في أسلوبه من رصانة وتأسك ، وأصبح شعره أقرب إلى نظم المعانى الإسلامية منه إلى التصوير الشعرى :

وجبريل أمين الله فينا

وروح القدس ليس له كفاء

وقال الله قد أرسلت عبدا

يقول الحق إن نفع البلاد

شهدت به فقوموا صدقوه

فقلتم لا نقوم ولا نشاء

وقال الله قد يسرت جندا

هم الأنصار عرضتم اللقاء

والحق أن هذا المنهج المطرد في أغلب شعر حسان الإسلامى ، فتأرجح شعره بين الأسلوب الجاهلى في صوره ولغته ومعانيه ، وأسلوب لا يمكن أن نسميه إسلامياً



بالمعنى الصحيح ، وإنما يستخدم الشاعر فيه بعض الألفاظ القرآنية  
والمعاني الدينية ويتحول فيه من د المعجم الشعري الجاهلي ، مؤثراً  
بالبساطة ، التي قد تمتلئ أحياناً إلى ضعف النظم والركاكة ، (١)

وبرجع الناقد الكبير هذا الضعف إلى أن الشعراء في تلك الآونة  
عاشوا فترة انتقال بين عصر وعصر ، حين فاجأهم تجارب جديدة ، هم  
لا يملكون رصيداً من التراث الشعري يعينهم على تصديرها ولم يتح  
لهم الوقت وتلاحق الأحداث أن يبدؤوا — بعد — إلى أسلوب في  
ملازم لاستيعاب تلك التجارب والتعبير عنها .

وأنا لا أفتق مع الناقد الكبير في اعتبار الآيات التي قدمها  
لحسان أولاً غير اسلامية ، فغرضها — أو فكرتها الأساسية — اعلامية  
إذ أنها تهديد للمشركين بما أعده لهم المسلمون ثم هي تحفل بالألفاظ  
الاسلامية ، وتبتهل لاعتناق القرابة والتعقيد وتذسم بالوضوح والسهولة .

وكذا فاني أتحفظ على وصف أسلوب حسان بالضعف الذي يصل إلى  
النظم الركيك ، وخاصة في هزئته تلك ، فهي من روائع شعره الاسلامي  
وقد أشاد بها كثير من الدارسين ، كما لافت نجاها وانتشارا في عصرها ،  
ثم إن وجود بيتين أو ثلاثة في الآيات الأربعة التي استشهد بها الناقد  
الكبير أقل مستوى وأرق نسجاً ، لا ينهض من قيمة القصيدة ،  
ولا يسم الشاعر بالضعف والركاكة ، فالقصيدة طويلة متعددة الأغراض

(١) في الشعر الاسلامي والاموي : ص ٤٦

كثيرة الاستطراد ، مما يوقع الشاهر في بعض الهفوات ونقاط الضعف ، وذلك يحدث لكثير من كبار الشعراء حتى الجاهليين .

لكن دفاعى — عن حسان وهزينة ، لا يمنع وجود شيء من الضعف وهبوط المستوى الفنى فى نماذج قليلة من الشعر الاسلامى — خاصة ما يعرف بشعر الفتوح .

وهذا الضعف يمكن تعامله بما ذكره الأستاذ الفاقد عن فترة الانتقال وجدة التجارب ، وكذلك صدور تلك النماذج عن شعراء غير محترفين ولا معروفين بالشعر ، وإنما وضعهم الأحداث فى خضم التجارب العنيفة التى هزت وجدانهم ، كعمارك الفتوح أو الاغتراب عن الوطن أو فقد الأجزاء ، فنظموا الشعر دون خبرة ومراس ، ودون رحيد من التراث الشعرى الجاهلى ولا سميته من الكلمات والعبارات والصور التى يفتن بها الشاعر المحترف ، ويفترق منها كلهم بالنظم .

والأقرب للصحة أن نرجع السهولة والتبسط فى قليل من أمثلة الشعر الاسلامى إلى اتخاذه وسيلة دعائية ، ثم إلى حرص الشعراء المسلمين على مواكبة الأحداث ، وأخيراً إلى استعماله سجلاً وتاريخاً لقوائع والانتصارات .

فاتخاذ وسيلة دعائية يتطلب أن يكون قريباً من جميع المستويات الثقافية للجمهور المتلقى ، كما يتطلب أن يكون سريع الفهم ، وبالتالى سريع التأخير ، وكل ذلك يحوج الشاعر إلى استعمال لغة سهلة متداولة .

هذا إلى البعد عن الإغراب والنعقيد ، بل وحقق عن الوسائل الفنية التي  
تحتاج من متلقيها إلى تأمل ولعمل فكر وثقافة خاصة .

أما حرص الشعراء على مواكبة الأحداث فيدفعهم إلى كثرة  
النظم والاسراع إليه بمجرد وقوع الحدث كي لا يتهم بالتخلف عن  
المشاركة وعدم الاهتمام وذلك الاسراع يحرمه من التروى واختار  
الفكره ، ومعاشة التجربة واستبطان الشعور .

وأخيراً فإن استعمال الشعر سجلاً للوقائع ، وتأريخاً للانتصارات  
يميل به إلى الخطابية والمباشرة وأسلوب السرد ، ويضحه بالأسماء  
والأحداث والأيام والتواريخ والأماكن ، وكل ذلك ينأى به عن  
لغة الشعر وفنيته . ثم يشير الأستاذ الدكتور عبدالقادر إلى ظاهرة  
تفوية أخرى لدى بعض الشعراء الاسلاميين ، على أن الظاهرة التفوية  
التي لاحظناها عند الشعراء السابقين ما تزال قائمة في قصيدة أبي ذؤيب  
لذا ترقى الفاظه ويسلس أسلوبه وتظهر ذاتيته في المطلع النفس ،  
ويعود إلى الغريب والجوالة والموضوئية في لوحاته الوصفية (١) .  
ثم يرجعها الناقد الكبير إلى ضعف التأثير الاسلامي على الشاعر ، فهو  
يفتخر من القديم في الموضوعات التقليدية ، ثم يرق ويمزج في  
المواقف النفسية الذاتية ، وهذا طبيعي في الفترة البكرة من العصر

---

(١) في الشعر الاسلامي والامري : ص ٤٥ .

الاسلامى فلم يكن الشعر الجديد قد كون تراثه بعد ، لكننا مع تقدم الزمن سوف نلاحظ التغير والتطور ، والحق أن من أهم صور (١) التطور في الشعر العربى حينذاك ، تلك اللغة الاسلامية الحضريّة بأصايلها وألفاظها ، بعد أن مرت بمراحل من التطور التدريجى بدأت في تلك المرحلة التى ندرسها ، ثم اتضحت معالمها في العصر الأموى (٢)

وهناك ظاهرة لغوية أخرى بدأت إرهاباتها في أول العصر الاسلامى ، ثم شاعت بعد ذلك وخاصة عند الشعراء الذاتيين أو العاطفيين فأصبحت ظاهرة مشتركة بين كثير منهم ، وقد أشار الدكتور القبط إليها في قصيدة أبى ذؤيب وفي قصيدة أخرى منسوبة إلى مهدي بن قزط ، تلك هى ظاهرة تكرار كلمة معينة في نفس البيت أو في بيتين متتاليين لعدة أهداف .

١ — تحقيق المفارقة والتقابل بين أمرين أو وجهين :

يقول أبو ذؤيب :

سبقوا هواى ، وأحنقوا لهوام

فتخرموا ، ولكل جنب مصرع

(١) أضفت كلمة صور لأن الذهب بدونها لا يستقيم .

(٢) المرجع السابق من ٢٩ .

فقد أراد بكلمتي هوى ، هوام ، إحداث مفارقة وتقابل بين  
ما كان يرجوه من موته قبل أبنائه ، وبين الواقع المر حين سبقوه  
بموت جماعي .

ويقول عباس بن مرداس في مدح النبي ﷺ :

ونورت بالبرهان أمرا مدمسا

وأطفأت بالبرهان نارا مضرا

فتكرار البرهان يؤدي إلى تقابل بين إنارة ظلام الجهل والضلال  
بإطفاء نار الشرك والكفر . ويقول حسام بن ثابت :

إن كان في الناس سباقون قبلهم

فكل سبقي لأدنى منهم تبع

فسبق ، سبقهم أظهرنا المارق بين زرعين من السبق أحدهما  
للمسلمين الذين يفخر بهم حسام والثاني لغيرهم .

(٢) تكرار اللفظ لتحقيق إيقاع يؤكد حمدة الإحساس عند  
المتلقي ، كما يشير لديه توقعا للقافية :

يقول ربيعة بن مقروم العنبي :

ودعوا نزال ، فكنيت أول نازل

وعلام أركب لذا لم أنزل

فكلمة نازل في الشطر الأول هيأت الفارسي لتوقع القافية ، كما أن  
الكلمات الثلاث : نازل ، نزال ، أنزل أكدت إحساس الملتقى بالإقدام  
والشجاعة التي تملأ نفس الشاعر .

يقول حسان بن ثابت مفتخرا بقومه :

قومي الذين هم آووا نبيهم  
وصدّ قومه وأهل الأرض كفار  
إلا خمسائهن أقوام هم سلف  
للمصالحين ، مع الأنصار أنصار  
فأنزلوه بدار لا يخاف بها  
من كان جارهم ، داراً هي الدار

وفي البيت الثاني تدفعنا كلمة الأنصار إلى توقع القافية كما تؤكد  
الإحساس بمظنة الممدوحين .

وكذلك دار في البيت الثالث تجعلنا نتوقع القافية وتزيد شعورنا بما  
لقيه الرسول الكريم من ترحيب وحفاوة وأصر في المدينة بين الأنصار .

ويقوله أبو ذؤيب في رثائه لبنية :

أم ما لجنبك لا يلائم مديحنا  
إلا أفض عليك ذاك المضحج

فنهجما الأولى جعلت الفارسي يتوقها روبا ، كما أحدثت إيقاعا  
بين المروض والقافية يقوى حدة إحساس الشاعر بالآرق والحزن المعض  
٣ - الربط بين البيتين بما يوضح ويقوى الإحساس الذي عني  
الشاعر بنقله ، ويوحّد بين أجواء الصورة :

ولقد حرصت بأن أدافع عنهم  
فإذا المنية أقبلت ، لا تدفع  
ولذا المنية أنشبت أظفارها  
الفيت كل تيممة لا تنفع  
لقد وزع أبو ذؤيب فكرته وصورته على البيتين ، وكرّر لفظ المنية  
ليربط بينهما ويملأ شمل أجواء الصورة .

وحسان بن ثابت حين قال في همدويه :

أبلغ أبا سفيان أن عمدا  
هو الغصن ذو الأفنان ، لا الواحد الفرد  
وأبلغ أبا سفيان عني رسالة  
فما لك من إصدار دهم ، ولا ورد

فكرار د أبا سفيان ، ربطت بين البيتين ، وجمعت أجواء  
صورتى الممدوح : النبي — والمهجور أبا سفيان —  
أما كتب بن زهير في « بانه سعاد » فيقول :

أهست سعاد بأرض لا يبلغها  
إلا العناق النحيبات المراسيل  
وان يبلغها إلا عذافة  
فيها على الآين إرقال وتبغيل

فقد ربط بين البيتين كما أجاد التعبير عن حسه بهمد الحبيبة ، وطول  
المسافة بينهما حين كرر يبلغها .

وبوسعنا الآن استخلاص ما حدث في لغز أساليب الشعر الاسلامي  
من تطور خلال العهد النبوي والراشدي :

١ - التأثر بالقرآن الكريم في مجالين : اثره المعجم العربي بمفردات  
جديدة ترتبط بالإسلام في مختلف جوانبه وكذلك في تحول مقياس  
البلاغة إلى السهولة والرفقة .

٢ - ميل الشعر الاسلامي إلى الرقة والبساطة يرجع إلى أن الفترة تعد  
انتقالا بين عصرين ، وجود تمهات جديدة لم تتأصل طرق التعبير  
الفني عنها ، ولأن الشعر وسيلة دعائية وسجلا للوقائع والتاريخ ،  
والشعراء يتابعون الأحداث بإنتاج سريع فلا يجدون فرصة  
للتفكير والتهذيب .

٣ - كثير من الشعراء غير محترفين ، فلا يملكون رصيدا فنيا  
ولا خبرة وممارسة .

٤ - استغلال ظاهرة التكرار اللفظي لعدة أهداف .



(رابعاً) البناء الفني : يتفق المدارسون للشعر في باكورة العهد الإسلامي على أن التغيير الجذري الخطير الذي أحدثته الإسلام في شتى جوانب الحياة ، كان بحاجة إلى فترة زمنية طويلة لكي يستوعبها الشعراء ويتشكّلوه ويمارسوه وجدانها وذهنها ، ثم يمتدوا - بعد تجارب ومحاولات ابتدائية - إلى وسائل فنية جديدة ، ولغة شعرية موحية معبرة ، وصور مبتكرة مناسبة ، ويترج كل هذا في نسج شعري محكم ، يعبر عن الحدث الكبير ويتلاءم مع أهميته وقوته .

وعلى ذلك . . فضاء المستوى الفني لشعر تلك الفترة - لمسلمنا بوجوده - لا يرجع إلى التأخير السلبي للإسلام على الشعر ، وإنما يعود إلى قصر الفترة - موضوع الحكم - وبالتالي عدم توافر الوقت الكافي للتجويد والابداع الفني المتقدم .

وبالإضافة إلى هذا التحفظ ، يجب أيضاً قبل النظر في البناء الفني للشعر خلال العهد النبوي والراشدي ، أن نضع في الاعتبار أمرين مؤثرين :

(١) الكثرة الهائلة في نماذج الشعر ، وخاصة ما صيغ في معارك الفتوح ، إن الإنسان ليدعش حقاً أمام هذه الكثرة من الشعراء ، حتى لينحيل إليه أن الفاتحين جميعاً قد استحالوا شعراء (١) ويعمل هؤلاء الشعراء ليسوا معروفين ولا محترفين ، وإنما هم من عامة المجاهدين ،

(١) الأدب في عصر النبوة والراشدين : ص ٣٠٥

حفظهم الموقف وهزتهم النجارب ، وأثارت مشاعرهم ظروف الجهاد والغربة والشوق، فنظموا الشعر دون أن يتجهزوا بأدواته أو يتعرسوا بعلمه وروايته وكتابته ، وفي هذا الحظ من الهائل من النماذج البسيطة السريعة لشعراء مغمورين غير مجودين، تفرق وتضيع نماذج أخرى متميزة ورائعة للشعراء المحترفين ، ويكون حكم الناصبين على الشعر الإسلامي عامة بالضعف الرككة .

## (٢) حرص الشعراء على متابعة الأحداث المتلاحقة في المجتمع

الإسلامي وكانما أصبح الشعر سلاحاً آخر من أسلحة القتال ، يعتمد عليه المقاتلون كما يعتمدون على سيوفهم ورمحهم وسهامهم . . . وفي أعقاب كل يوم من أيام القتال ، يقف الشعراء يرثون شهداءهم ، ويستلمونهم الحماة والتهنئة ، كما يتحدثون عن مصارع أعدائهم ، ويفتخرون بأنهم أوردوهم موارد الموت والهلاك ، في سبيل نصرة القضية التي يقاتلون من أجلها (١) كل ذلك هذا الأغراض والقصايا الأخرى.

وبعد هذين الاعتبارين يمكننا إلقاء الضوء على جانب البناء الفني لنرى ما استبقاه المسلمون من تراث جاهلي وما أضافوه جديداً إلى نسق القصيدة العربية وتصميمها .

## (١) المقدمات الغزلية والخبرية في القصيدة : توزعت مقدمات

(١) تاريخ الشعر العربي : د . يوسف خليل ص ٢٩

القصيدية الجاهلية بين الغزل، وزوجها بالخبرات أو متداخلا مع الاطلاع، وقد ظل هذا التقليد في سائر الشعراء الاسلامى إلى زمن متأخر، بل امتد هذا البعض إلى العصر الحديث - مثل أحمد شوقي - أحيانا .

وتقبل النقد بداية الغزل الذى يختلط بالاطلال أو يتفرد، ولكنهم وقفوا موقف الشك والتردد من المقدمات الغزلية الخفية ويشك بعض النقاد من أن هذا الجزء الأول من القصيدة يبرهن أن الشاعر لابد أن يكون قد نظم في الجاهلية، ثم عاد فأتم القصيدة بعد الإسلام . ذلك لأنهم ينكرون أن يتحدث شاعر إسلامى، وثيق الصلة بالدعوة والرسول، مثل هذا الحديث الصريح عن الخمر، (١) بذلك يعقب الدكتور عبد القادر على مطالع مهنية حسان بن ثابت، ثم يشير إلى مطالع أخرى لحسان وشعراء غيره، يحتفظ فيها الغزل بإشارات للخمر، ولا يرى في ذلك غرابة تدعو إلى الشك فيها إذا كانت تلك المقدمات نظم أيام الجاهلية، ثم أكمل الشاعر القصيدة بعد الإسلام، ويرى كذلك أن المجتمع الإسلامى لم يكن متزمتا مع الشعراء، بل كان بعد أبيات الغزل والخمر تقليدا فيها ليس إلا، ولا يعبر بالضرورة عن سلوك عملي أو تهمل أخلاقى . د ألم ترى أنهم في كل راد يهيمون، وأنهم يقولون ما لا يفعلون، (٢) .

(١) في الشعر الإسلامى والاموى ص ٤٣

(٢) سورة الشعراء: آية ٢٢٤

ويمكن أن نضيف في تعليل تلك الظاهرة — ذكر الخمر — أن  
تحریم الخمر وشربها يتم تدريجياً ، وعلى مراحل ، فلهل تلك الآیات  
قد انظمت قبل أن يحدث التحريم الكامل ، كذا فان الشاعر يتطرق إلى  
الخمر فإلها السكى يصف وضباب المحبوبة ، فهو لا يفرد للراح حديثاً ،  
ولا يعينها لذاتها ولا يفاخر بشربها أو يصف بحالها ، إنما هو تشبيهه  
لحسب ، أو صورة فنية ورثها عن السابقين .

وخلاصة الأمر أن مطالع القصيدة الإسلامية ظل محافظاً على النمط  
الجاهلي ، فهو :

(١) غزلي خالص (٢) يتداخل فيه الغزل بالخمر

(٣) يمزج بين الغزل وبكاء الأطلال .

(٤) يدخل في العرض الأصلي للقصيدة دون مقدمات .

(٢) وحدة الدلالة ووحدة التهجئة في القصيدة : يشير الدكتور

د عبد القادر ، إلى إحصاءات تتطور هام في بناء القصيدة العربية  
بدأت بواكبه في هذا العصر ، ثم ترايد حتى ميز كثير أ من القصائد في  
العهد الأموي ، وذلك التطور يتبدى في كون القصيدة ذات دلالة  
واحدة ، وتصب في بؤرة شعورية واحدة ، حتى وإن تعددت  
موضوعاتها .

ويمثل الأستاذ البائد بقصيدة أبي ذؤيب في رثاء أولاده ، حيث

صممها في بناء محكم يتكون من مقدمة تعرض ما ساء الشاعر في فقد  
بذيه ، ثم يرسم ثلاث لوحات لمقتل هاروشى وثور وفارس شجاع ،  
بإدنا كل لوحة بشطر لا يتغير :

والدهر لا يبقى على حدثاته .

فهي بط بهذا التكرار بين المقدمة واللوحات الثلاث ، كما يعطى  
لتصميمه دلالة واحدة هي أن القناء نهاية كل حى .

وفي قصورى أن هذا التطور موجود في قصائد أخرى غير قصيدة أبى  
ذؤيب ، فكثير من قصائد حسان قد خلصت لغرض واحد ، كالقصر  
أو المدح أو الرثاء ، وكثير من قصائد كعب بن مالك اقتصر على  
وصف معركة من المعارك بين المسلمين وأهل الشرك ، وهناك شعراء  
مختلفين خصصوا قصائدهم لوصف إحدى معارك الفتح ، أو التعريف  
بجلد جديد وحل إليه الجاهلون ، أو رثاء الشهداء في أحد المواقع .

ومن المرجح أن وجود ذلك التقليد الشعرى الذى عرف مؤخرًا  
بعمود الشعر ، ويعنى البدء بالفضل أو الاطلال ، ووصف الناقة  
والصحراء ، ثم الغرض الاصل ، نفاثة من آيات الحكمة ، من المرجح  
أن وجود ذلك التقليد في الجاهلية كان وراء توزيع القصيدة ، وعدم  
اتساقها في تجربة شعرية واحدة ، وبعض القصائد الجاهلية — مثل  
ما قيل في الرثاء — قد برئت من التشتت والانقسام ، وخلصت

لفكرة واحدة ، وتمتعت بوحدة الشعور والتجربة ، لأنها لم تنحصر  
لذلك التقليد .

فلما جاء الإسلام ، وقلت سيطرة التقاليد الشعرية الجاهلية وعاش .  
الشعراء تجارب شعورية حارة عنيفة ، تحررت بالتالي قضايتهم  
الإسلامية من تعدد الأغراض ، فتوافرت لها وحدة الدلالة  
ووحدة التجربة .

### ٣ — الافادة من قصص القرآن عن الأمم السابقة : لا ريب أن

للقرآن الكريم نبع ثم لا ينضب يستمد منه الشعر معاني وأفكارا  
وأمثلة ورموزا ، بعد أن اهتدى بهديه لغة وأسلوبا ، والشعر الجديد  
يبدأ دائما بمجرد لمحات وإرهاصات ، لكنه يسرى وينتشر بعد ذلك  
ليكون ملامح رقسمات ، ذلك ما نجده في مجال الافادة من قصص  
القرآن إنما إشارات موجزة وسريعة ، بمثابة القبسات المنيرة يقول :  
عبد الله بن الحارث بن عدي :

وذلك قریش تجدوا الله حقه

كما وجدت عاد ومدين والجر

وهو يشير إلى الأمم السابقة حين كذبت رسالها وكفرت برسلها  
مستفيداً من قوله تعالى ﴿ رأتك عاد جدوا بآيات ربهم وحصوا  
رسله واتبعوا أمر كل جبار عنيد ، واتبعوا في هذه الدنيا لحنه ويوم

القيامة ، ألا إن عاداً كفروا ربهم ، ألا بعداً لعاد قوم هود (١) ،  
وكذلك من قوله جل شأنه ( ولما مدین انعام شعیبا فقال یا قوم  
اعبدوا الله وارجوا الیوم الآخر ولا تعشوا فی الارض مفسدین ،  
فكذبوه فأنخذتهم الرجفة فأصبحوا فی دارهم جائنین (٢) .  
وأخیرا فإن الشعار یستوحی قول الله عز وجل ( ولقد كذب  
أصحاب الحجر المرسلین (٣) .

أما شداد بن عارض الجشمی فی تخویفه أهل الطائف وتنبیهم من  
قتال الرسول ، إن هم تمسكوا بأهنام لا تملك أنفسها نفعا ولا ضرا:  
لا تنصروا اللات إن الله مهلكها

وكیف نصرکم من لیس ینتصر  
تلك التي حرقت بالنار فاشتعلت

ولم یقاتل لدى أحجارها هدر  
إن كبير الآلهة « هدر » لم یستطیع الدفاع عنها حين أحرقت تماماً  
كما فشل كبير الأصنام قديماً فی الدفاع عنها عندما حطمها ابراهيم .  
( قالوا أنت فعات هذا بالهتنا یا ابراهيم ، قل بل فعله كبيرهم هذا

(١) سورة هود : آية ٦٠/٥٩ .

(٢) سورة العنكبوت : آية ٣٦/٣٥ .

(٣) سورة الحجر : آية ٨٠ .

قالوا لهم إن كانوا ينطقون (١).

وليس من شك في أن هناك أمثلة عديدة لمن أراد استقصاء الظاهرة ،  
فقول عبدالله بن رواحة :

فثبت الله ما آتاك من حسن

تثبيت موسى ، ونصر كالذي نصرنا

فيه استيعاب لآيات كثيرة تحكي قصة موسى عليه السلام وتأيد الله له  
ونصره إياه على فرعون وجنوده ، ومنها قوله تعالى ﴿ وني موسى إذ  
أرسلناه إلى فرعون بسلاطين مبين فتولى بركته وقال ساحر أو مجنون ،  
فأخذناه وجنوده فنبذناهم في السيم وهو مايم ﴾ (٢)

وفي قول كعب بن مالك (٣) :

وأن تك تمل البر بالوهم كلمت

سليمان ، ذا الملك الذي ليس بالعمى

فهذا نبي الله أحمد سمعت

صغار الحصى في كفه بالترنم

لإفادة واضحة من سورة النمل وقصة النبي سليمان مثل قوله جل شأنه :

(١) سورة الأنبياء : آية ٦٢/٦٣ :

(٢) سورة الذاريات : آية ٣٨/٤٠ .

(٣) يشكده . عبدالقادر الفطحي نسبة هذه الآيات لكعب ص ٣٢٠ .



(حق إذا أتوا على واد النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم  
لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون) (١).

وأما شال ذلك كثير ، وحقيقة أنها إشارات موجزة ، لم يحسن الشاعر  
فيها استغلال المنهل القرآني الفياض ، ولكنها البداية التي تشوبها جدة  
المحاولة ، وتتمتع منها سذاجة الريادة ، وهي على أي حال لمحات دالة  
لما تركه القرآن الكريم من تأثير — لغة وأفكارا — وعلى استجابة  
الشعراء الاسلاميين لما يتطلبه التفسير الجذري من تجديد في أسلوب  
بقاء القصيدة العربية .

٤ — اتخذ الشاعر للحمامة أو أحد مظاهر الطبيعة رمزا: الشعر  
إيحاء وملح ، رمز وإشارة ، وكلما ابتعد عن الخطائية والمباشرة ،  
كلما تيمّنت التصريح والإيضاح ، اقترب أكثر من الشعاعية والحماس ،  
واحتوى عنصر الاصل والتميز ، والإنسان دائما بحاجة إلى التأسي ،  
ميل للبحث عن شبيه ونم ، يمثله شجوه ، ويفض له جهمة ويناجيه ،  
يتقارن بين حاله وحاله ، ويوازن بين آلامه وأوجاع نده ، ويستخلص  
الغزاة أو يشبه قوة احتماله وصبره ، والشاعر أكثر الناس حاجة  
إلى ذاك التأسي والسوى ، فهو الأشد إحساسا والأرهم شعورا  
والأرق وجدانا والأوجع قلبا .

وقد كانت الطبيعة دائما أما حزنونا ، يجود الشاعر فيها تعاطفا

(١) سورة النمل: آية ١٨ .

ومهادقة، ويتخذ من ظواهرها - حية وهامدة مستأنسة أو مستوحشة  
يتخذ منها أشباها ونظائر وليست معالم رموزاً وموضوعات، يتخلع  
عليها ما يريد قوله عن نفسه، ويتوصل بها إلى بيان حاله والتمبير عن  
شكواه، لقد هام امرؤ القيس في القفلة المفقودة بلا أنيس ولا صديق  
فالتقى بالذهب الجائع، يشبهه في الفقر والعوز (١) :

فقلت له - لما عوى - إن شأنا

قليل الغنى، إن كنت لما تمول

كلانا - إذا ما نال شيئاً - أفاته

ومن يحترث حرثي وحرثك، يهزله

وعترة، حين مر على أطلال الديار بعد رحيل المحبوبة، هيجت  
دموعه عبارات الحماة (٢) :

أفنى بكاء حمامة في أيك

ذرفت دموعك فرق ظهر المحمل

كالدر أو فمض الجمان تقطعت

منه عقائد سالك، لم يوصل

وفي قصيدة أخرى يحاور الطير مقارناً بين حالهما فيجد نفسه  
أكبرهما وأحزن قابلاً (٣) :

(١) الشعر الجاهلي بين القبلية والذاتية : د. اخلاص بخري ص ٩٧ .

(٢) موسوعة الشعر العربي : مطاع صفدى : ص ٤٥٩ .

(٣) المرجع السابق ص ٥٥٨ .

كيف السلو، وما سمعت مماثما  
 يندبن إلا كنت أول منشد  
 وسألت طير الدوح: كم مثلي شجا  
 بأنيته وحزنه المتردد ؟  
 ناديته ، ومدامعي منهلة  
 أين الخلى من الشجي الحكمة  
 لو كنت مثلي ، ما لبثت ملاوة  
 وهتفت في غصن النقا المتأرد  
 ويتأسى النابغة بالحمامة أيضا (١) :  
 أسألك ، وقد سفحت دموعي  
 كأن مفيض من غروب شن  
 يسكاه حمامة تدعو هديلا  
 مفجعة ، على فنن تغنى

لكن تلك الاشارات الموجزة العجلى في الشعر الجاهلي تنمو مع  
 تطور الثقافة ، وارتقاء الفن الشعري ، فنجدها في العصر الاسلامي  
 تتحول إلى صورة شعرية رائعة ، يتخذ الشاعر فيها من الحمامة رمزا

---

(١) في الشعر الاسلامي والاموي : د. عبد القادر القط ص ٦٣ .

أو معادلا موضوعيا ويمكن على تفصيل المقارنة بينهما من جوانب  
متعددة لينخلص في النهاية إلى تماثلهما في الآلم . يقول حميد بن ثور  
الحلالي ، وهو شاعر مخضرم أدرك عمر بن الخطاب (١) :

وما حاج هذا الشوق إلا حمامة  
دعت ساق حر ، ترحمة وترنما  
تبيكي على فرخ لها ، ثم تغنسي  
مولودة تبغى له الدهر مطعمها  
تقول منه مؤنس لا أفرادها  
وتبيكي عليه إن زقا أو ترنما  
عجبت لها ، أنى يكون خناؤها  
فهي حما ، ولم تفقر بمنطقة فما  
فلم أر عزونا له مثل صوتها  
ولا عرييا شاقه صوت أعجمها  
كمثل إذا غنيت ، ولكن صوتها  
له عولة ، لو يفهم العود أرزما

(١) المرجع السابق : ض ٦٣ ، ساق حر : ذكر الحمام القمري  
أعجمها : لا يفصح ، ويقصد الحمامة ، العود : الجمل المسن ، أرزما :  
حن وتشوق .

ويتكرر الرمز في أبيات وقصائد أخرى ليصبح أداة فنية جديدة يستعين بها الشاعر الإسلامي على مريد من التأمل والابتهال، ويبتعد بها عن الخطابية والمباشرة ، وهو يوقع في رموزه مستلهما كل مظاهر الطبيعة، يقول ابن الغريزة النهشل أثناء معركة جوزجان ببلاد فارس (١) :

وما بي أن أكون جوعت ، إلا

حنين القلب للبرق البهاني

والبرق أيضا يهيج الذكرى والمؤمن عند شاعر آخر أحسن غربة الروح بمد غربة البدن حين يخرج غازيا بعيدا عن نجد ، ليس البرق وحده الذى شاقه من الوطن ، بل أفقار وجرة ، وريح الخزامى ، وريا حبيبة القلب، كلها رموز للوطن تشير الشاعر وتحرك شجونه ، ويتحدث عنها فيصور من خلال الحديث أشواقه وشجونه (٢) :

أتبكي على نجد وريا ولن ترى

بمينيك ريا ما حديث ولا نجدا

ولا مشرقا ما عشت أفقار وجرة

ولا واطئا من تربن ترى جمدا

ولا واجدا ريح الخزامى تسوقها

رياح الصبا تملو دكادك أو وهذا

---

(١) نظرات في الشعر الإسلامي والاموي : ص ٦٣

(٢) الأدب في عصر النبوة والراشدين : ص ٣١٢

ألا أيها البرق الذي بات يرتقى

ويجملو نجى الظلماء ذكرتنى نجيذا

ويقتسح الرمز ليشمل الأرض بكل ما عليها : التراب والمطر  
والزهر، بل والنخيل أيضا فهي ومن السكن والأهل والدفء والحنان ،  
لأنه شاعر لم يعم بتشبيته اسمه في ذاكرة الرواة ، كفاه أن زفر حنينه  
واستراح (١) :

سوفينا إلى أرض كأن ترابها

إذا أمطرت ، هرد مسك وعذير

بلاد كأن الأفحوان بروحه

ونور الأقاليم ، وشى برد محير

أحنّ إلى أرض الحجاز وما جتى

طرف يقصر

١٣١ بنساختر فصل رقيق في ديوان الشعر العربي سوف ينظم عبر  
العصر الإسلامي الأول ، ثلاثيه في عهد النبوة والراشدين ، ثم  
يستوى داني القطاف عبر العهد الأموي ، وتتفرع منه دوحة عظيمة  
باسقة تظلل سماء الشعر الأندلسي ، فصار يجمع إلى رقة المعاني ورقة  
اللغة أدوات فنية ناضجة تعتمد الرمز والإيحاء ، مستلهمة رموزها  
من الطبيعة بكل عناصرها الناطقة والصامتة من طيور مختلفة ونباتات

---

(١) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

محبابنه وسبيل ووديان وأنهار وبحار ورياح وأمطار ، وتوزع  
أغراضه بين الغزل العذري الشفيف وبين الحنين إلى الوطن .

(٥) مقطوعات وقصائد في أوزان مختلفة : يرى الدكتور شوقي  
ضيف أن أغلب شعر الفتوح مقطوعات قصيرة موجزة ، ارتجلها  
المجاهدون بلا روية أو أناة ليصوروا أحداث الغزاة ذات الإيقاع  
السريع ، فهي أشبه بتقارير وبلاغات تصدر من الميدان حاملة أخبار  
المعركة ، موجزة أحوال المحاربين ، مبشرة بالنصر ، مطمئنة للأهل  
والوطن . كما يرى الأستاذ الكبير أن الرجز هو الوزن الغالب على  
شعر الفتوح ؛ لأنه اللحن المناسب للمواقف السريعة والأحداث  
المتتابعة (١).

وفي تصوري أن هاتين الملاحظتين تصدقان على بعض شعر الفتوح  
وليس كله ، لأن فيه قصائد طوال كما ضم أوزاناً متنوعة غير الرجز .

أما الشعر الإسلامي عامة ، فقد حوى كل الأنواع بين مقطوعات  
قصار، وقصائد متوسطة ، وأخرى طويلة ، وكذا سبج الشعراء المسلمون  
في أغلب البحور الشعرية ونظموا في جميع الأوزان حسب تنوع  
الأغراض وتعدد المواقف .

(٦) الناطق والانتقال : من المسلم به أن توهج الشعور وإثارة

---

(١) راجع : المصنف الإسلامي : ص ٦٦/٦٧

المعاطفة وحدة الانفعال ، كل ذلك هو العامل الأول والأهم في انبثاق الشعر وتفجير ينباءه .

وإذا كانت الحمية والصراع في الحروب القبلية من أهم عوامل ازدهار الشعر الجاهلي ، حتى أن مكة لم تعرف شعراء لأنها ظلت بمنأى عن الصراع إلى بعث الرسول ﷺ ، فكيف وقد غدت المعارك القبلية الصغيرة حروباً طويلة متجددة مع أمم أخرى ، وكيف وقد صار الصراع عقائدياً بين الإيمان والكفر ، بين التوحيد والشرك ؟ وكيف إذا أصبح النصر بإعلاء كلمة الحق ونشر لواء الدين أو الاستشهاد في سبيل الله هو الغاية ؟

كيف يكون الشعر إذا توافرت له كل تلك البواعث المشيرة ؟ ثم توافرت له بالإضافة لها بواعث الحنين والاضطراب برحيل المجاهدين ، وبواعث الدهشة والانهار بالبلاد الجديدة المفتوحة ؟

وكيف إذا صمرت قلوب الشعراء مع كل ذلك بالدين القيم ، وسمعت نفوسهم بالقيم الأخلاقية والإنسانية الرفيعة ؟ لقد تفاعل ذلك جميعه ليولد موهبة الشعر لدى عشرات أو مئات لم يكونوا من محترفي الشعر ، بل كانوا يقولونه في لحظات من الانفعال القوي لفقد عزيز أو اغترابه في الفتوح ، أو لحنين جارف إلى موطنهم الأول ، أو للفخر بفروسياتهم وبأسمهم في حروب الفتح ، (١) .

(١) في الشعر الإسلامي والاموي : ص ٤٩/٥٠



ومن هنا تناثرت عشرات ، بل مئات المقطوعات في كذب الشعر والمغازي والتاريخ والأدب لشعراء لم يعرفوا قبلها بالشعر ، وإنما حفزهم إلى نظمهم وقدة انفعال الموقف عنيف عبر معركة أو سفرة لذلك جاءت أشعار هؤلاء المقلين تلقائية في مقطوعات قصيرة أقرب مما تكون في لغتها وصورها إلى طبيعة الحياة المصرية حينذاك ، مع شيء من التوتر الذي يستدعيه الانفعال القوي .

وبخلاصة ما يقال في مجال البناء الفني للقصيدة :

(١) ظل المطلع كما كان في الجاهلية : إما غزلياً صريحاً أو يمزج الغزل بالأطال ، أو بالخمر ، لكن أكثر القصائد يدخل الشعراء الإسلامي إلى عرضه دون مقدمات .

(٢) أول ما يلاحظ من تطور في البناء الفني للقصيدة الإسلامية ظهور وحدة الدلالة ووحدة النبرة الشعرية في عدد منها .

(٣) والتطور الثاني هو الإفادة من قصص القرآن الكريم ، وإن كان ذلك في بدايته بسيطاً ومحدوداً .

(٤) اتخذ الشعراء لاحد مظاهر الطبيعة رمزاً ، وكانت له بدايات قليلة في الجاهلية ، لكن الإسلاميين توسعوا فيه وأحسنوا استغلال الرمز في رسم صور فنية .

(٥) قسم كبير من شعر الفتوح صيغ في مقطوعات قصيرة وبعضه على وزن الرجز ، لكن الشعر الإسلامي عامة ضم القصائد بأطوال مختلفة ومن أوزان متعددة .

(٦) توافرت للشعر الإسلامي بواعث جديدة من التجارب الشعرية والاحاسيس المتنوعة والانفعالات القوية .

## المصادر والمراجع

- ١ - القرآن الكريم :
- ٢ - الأدب الأموي : د. محمد فتوح أحمد ، مكتبة الشباب ، القاهرة ١٩٩٠ .
- ٣ - الأدب في عصر النبوة والراشدين ، دار الثقافة ، القاهرة ١٩٩٩ .
- ٤ - الأغاني : أبو الفرج الأصفهاني : تحقيق إبراهيم الإبياري . دار الشعب ١٩٦٩
- ٥ - البيان والتبيين : أبو عمرو عثمان بن بحر الجاحظ ، تحقيق : فوزي عطوى ، دار صعب ، بيروت ١٩٦٨
- ٦ - تاريخ الشعر العربي في العصر الإسلامي : د. يوسف خايف ، دار الثقافة ، القاهرة ١٩٩٠
- ٧ - تاريخ الشعر العربي ج ١ : د. محمد عبدالعزیز الكفراوي ، نهضة مصر ١٩٨٨
- ٨ - التطور والتجديد في الشعر الأموي : د. شوقي ضيف ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٧٧
- ٩ - التأثير النفسي للإسلام في الشعر : د. عبدالرحيم زلعل ، دار الفكر العربي

- ١٠ — جبريل ونقائه مع شعراء عصره : د. محمد عبد العزيز السكفراوي  
منهضة مصر ، القاهرة ١٩٥٨
- ١١ — حديث الأربعاء ج ٢ د. طه حسين ، دار المعارف ،  
القاهرة ، ١٩٥٨
- ١٢ — الخطيئة ، البدوي المخترف : د. درويش الجندى ، منهضة مصر  
القاهرة ١٩٦٢
- ١٣ — الحيوان : أبو عمرو عثمان بن بحر الجاحظ ، تحقيق وشرح :  
عبد السلام هارون ، دار الجيل ، بيروت ١٩٨٨
- ١٤ — دراسات في أدب ونصوص العصر الإسلامي : د. محمد عبد القادر  
أحمد ، المنهضة المصرية ، القاهرة ١٩٨٦
- ١٥ — دراسات في الأدب العربي : د. عمر الطايب السامى ، دار  
الشروق ، جدة ١٩٧٨
- ١٦ — ديوان حسان بن ثابت : تحقيق د: سيد حنفي حسنين ،  
دار المعارف ١٩٨٧
- ١٧ — ديوان الأعشى الكبير : شرح وتعليق : د. محمد حسين ،  
مكتبة الآداب ، القاهرة
- ١٨ — شرح النبري على «بانت سعاد» تحقيق وتعليق : د. عبد الرحيم  
الجل ، مكتبة الآداب ، القاهرة ١٩٩٠

- ١٩ — شعر عصر صدر الاسلام : د. محمد عادل الهاشمي ، مكتبة  
المنار ، الأردن ١٩٨٦
- ٢٠ — الشعر والشعراء أبو محمد عبد الله بن قتيبة ، تحقيق : د. مفيد  
قيحمة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٨٥
- ٢١ — العصر الاسلامي : د. شوقي ضيف ، دار المعارف ، ١٩٨٩
- ٢٢ — العقد الفريد شهاب الدين بن عبد ربه ، تقديم خايل شرف  
الدين ، دار مكتبة الهلال ، بيروت
- ٢٣ — في الأدب الاسلامي والاموي : د. ابراهيم عبد الرحمن ،  
مكتبة الشباب ، القاهرة ١٩٩٠
- ٢٤ — في الشعر الاسلامي والاموي : د. عبد القادر القط ، مكتبة  
الشباب ، القاهرة ١٩٩٠
- ٢٥ — فيض التقدير على شرح الجامع الصغير : العلامة المناوي ،  
دار احياء السنة المحمدية ، القاهرة
- ٢٦ — قراءة في الأدب الاسلامي والاموي : د. محمد عبدالعزيز  
الموافي ، مطبعة التقدم ، القاهرة ١٩٨٣
- ٢٧ — قضايا الشعر في النقد العربي : د. ابراهيم عبد الرحمن ،  
مكتبة الشباب القاهرة ، ١٩٧٧
- ٢٨ — لسان العرب : ابن منظور ، دار المعارف ، القاهرة

٢٩ — المفجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم : محمد فؤاد عبد الباقي

مؤسسة جمال للنشر ، بيروت

٣٠ — مقدمة ابن خلدون : عبد الرحمن بن خلدون ، دار الشعب بالقاهرة

٣١ — من قيثارة الشعر العربي : د. فتحي محمد أبو عيسى ، دار

المعارف ١٩٨٠

٣٢ — نحو أدب إسلامي معاصر : أسامة يوسف شهاب ، دار البشير

عمان ١٩٨٥

٣٣ — نظرات في الشعر الإسلامي والأموي : طاهر الفاسحي ، دار

النفائس ، بيروت ١٩٧٧

## كتب أخرى للمؤلفة

- ١ — الطائر المهاجر : شعر ط ١ دار الشروق جدة — ١٩٨٦ ، ط ٢  
مكتبة الآداب القاهرة ١٩٩١
- ٢ — وكذا الرجال : شعر مكتبة ذات النطاقين القاهرة ١٩٩٠
- ٣ — الشعر الجاهلي بين القبيلية والذاتية : دراسة أدبية مكتبة الآداب،  
القاهرة ١٩٩١
- ٤ — قراءة نقدية في الشعر العربي المعاصر نقد أدبي : مكتبة الآداب  
القاهرة ١٩٩٢
- ٥ — في القصة القصيرة والرواية : نقد أدبي : مكتبة الآداب ١٩٩٢
- ٦ — الاسلام والشعر دراسة موضوعية : مكتبة الآداب ١٩٩٢

## تحت الطبع

- ١ — شاعر عبقري ، شفيق المملوك ، دراسة أدبية
- ٢ — الحنين والغربة في شعر المهجر : دراسة أدبية
- ٣ — في صحبة شعراء المهجر : نقد أدبي
- ٤ — الشعر وهموم الإنسان المعاصر : نقد أدبي
- ٥ — قبل فوات الوقت : شعر

رقم الإيداع ١٩٩٢/٧١٦٥

الترقيم الدولي -063-241-977 I.S.B.N°



## الإِسْلَامُ وَالشَّعْرُ

- ① ليس في القرآن الكريم تحريم لنظم الشعر، أو تحفيره، إلاّ حين يتعلّق طريق الهدى، ويحيد عن الخلق والدين.
- ② لا يمارى القرآن الشعراء ولا يذمهم، إلا إذا انحرفوا عن الحق وأساءوا للغير.
- ③ تنفخ السنة المشرفة مع القرآن، فتدعّب بالشعر منبعثاً من نفس المؤمنة الحريّة، وتضجّ مكاناً للشعراء إن ابتعدوا عما يفضّل الله ورسوله.
- ④ ساروا بسدود وصحابة على مزج القرآن والسنة فنزّلوا الشعراء أمراً ما لم يجاروا الله ورسوله ويؤذوا المسلمين، وأخذوهم بالسدة حماية للدين والمجتمع.
- ⑤ الإسلام - مثلاً في القرآن والسنة وسلك التابعين والخلفاء - رصب بالشعر فنّاً إنسانياً مهذباً، يدعو للخير والحق والجمال.
- ⑥ لا يمكن لدعوة عالمية ترسم منبراً حياة جديدة للإنسانية أن تسقط الشعر من حسابها وسيلة للدعوة وسلاماً للجهاد ومجالاً للبداع الفني.